الدكيتورامحت بن عبود

جوان من البواقع الأندلسي في القرن الخامس المهجري

تقديم: الاستاذ محدالمنوني

تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي

خطط وجه الكتاب: الاستاذ المنصور الهلالي

جـوانب من الـواقـع الأندلسي فـي القـرن الخـامس الهجـري جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري

تطـوان 1408ه. ـ 1987م.

جميع الحقوق محفوظة للمسؤلف

مطبعة النور - شارع عبدالكزيم الخطابحير درب بوردان رنم 4 تطوان - المغربس

محتوى الكتاب

1			٠		•	•		كتاب	وى ال	ے ۔
۵					•				حک ر	<u>.</u>
À				•		وني	د الها	تاذ محما	ديم الاس	_ نئا
									قدمة	
		\	الأذ	_	الاو تساه			مصبية	31	
9			•		الطوا					
15						ئى	بتهاه	ب الاح	لتركي	1 (1
20	,		-				ä,	والحاء	عصبية	1 (2
26							ـة	والعباد	لعصبية	1 (3
33									لعصبية	
45									اهصبية	
64									لأساتسا	

الفصل الثاني

85		طوائف	ول الد	عهد دو	ني	اس	الأند	في	صاديا	الإقت	ناهات	الإتج
						اسية	الأس	ادية	لإقتص	س ا	الخصائه	(1
91		,		ادية	الد	وات	والثر	11.	العــا	اليد	1)	
96							'ي	ازراء	طا	لنشا	ب) ا	
98			•				مي	لصناء	ط ا	لنشا	ع) ا	
100							ی	لتجار	ط۱	لنشا	1 (.	
102				•	ي	داخل	ي ال	صادع	11/82	باط	الإنحط	(2
111							2	ـديــا	النق	عل	المشاح	(8
118											التبعية	
130										ä_	لخسلاصه	.1 _
				الث	<u>الث</u>	ل	فص	11				
	ć	السيير	الأند	العلما	عی ا	إجتما	ي والإ	باسو	الس	لدور	1	
141				لمو اكف	**							
152						ف	نكر	وال	سانمي	الثق	الدور	(1
168											الدور	

174	ä	e-fu	****	1.10	. II Z.	الفرد	سياسية	قف ال	المدا	(1	
175	•	٠	٠	•		نعي	الھ_وز	٩^	ב ומ		
176				٠	•		للح	ن الم	ـ ابر		
177							صيرة				
179	•		•				د البر	ن عبا	_ ابر		
181		٠		•		•		حزم	ابن		
185					عي	الجما	ياسي	الس	الدور	ب)	
					ti	1	11:-				
			(١٠ع	الر	مل	الفص				
215							في عدد		-	_	
218				سي	لاندا	ري ا	ي والفك	ثقافح	اث ا	الميسر	(1
222	. س	الخام	جرى	ن الم	القر	ة في	بة البارز	الثقاف	بيات	الشخم	(2
228		داع	والآب	لثقافي	أف ا	الانص	لتعبير و	ير وال	التفك	حرية	(8
233						مة.	دة متخص	ته ماد	غ بصة	التاريغ	(4
244					ری	الزير	، بلقين	الله بر	عبد	مثال	(5
									100	الفحرس	edł 2
							مطبعية	لما ال	الأخد	تصحيح	'AA
								di ib	oboine	le olna	dur
								1 1	v	1 - 46	gq
							nebioo	partie.		list - a	
							Historica	, buo	Banab	bammar	PM
						- Suppo	- (pn	imosilii	, (Fo	as State	list

شكر

إنني أدين بالشكر العميق لبعض الاصدقا على مراجعتهم اللغوية لمجتلف ضول هذا الكتاب التي أنجزت أصلا بالانجليزية ونشرت في شكل مقالات في مجلات تاريخية متخصصة (1). لقد وزعت هذه الفصول بعد قيامي بتعريبها على الاساتذة: إبراهيم الخطيب وخديجة حركات وعبد العزيز السعود وعبد السلام الشكريوي والعياشي حدوش باستثنا القصل الثاني الذي نقلته الاستاذة زبيدة بورحيل من الفرنسية إلى العربية ثم قمت بمراجعة تلك الترجمة انطلاقاً من الاصل الانجليزي مع تغييسر الأساوب حتى ينسجم مع الفصول الأخرى ويمكن القول إنني أحببت اللغة العربية بفضل مثل هؤلا الاصدقا فشكراً لعم جهيماً.

¹⁾ فيما يلمي إحالات المقالات المنشورة باللغات الاوربية :

M'hammd Benaboud, Asabiyya and Social Relations in Al-Andalus during the Period of the Taifa States Hespéris - Tamuda, vol. XIX, (1980 - 1981), pp. 5 - 45.

Mhammad Benboud, Tendances économiques dans Al-Andalus durant la période des Etats - Taifas, Bulletin Economique et Social du Maroc, n° 150 - 151, 1984, pp. 171 - 81.

M'hammad Benaboud, The Socio - Political Role of the Andaluian 'Ulmá' during the Period of the Taifa States, Islamic Studies, (Pakistan), vol. XXIII, nº 2, Summer - 1984, pp. 103 - 41

M'hammad Benaboud, El papei Social y politico de los 'Ulmá' en al-Andalus durante el periodo de los Taitas, Cuadernos de Historia del Islam, nº 11, 1984, pp. 1 - 46.

M'hammad Benaboud, L'Historiographie d'Al-Andalus durant la périede des Etats - Taifas Revue l'Occident Musulman et de la Méditerranée, (Aix), 1985. M'hammad Benaboud, Historiography in Al-Andalus during The Period of the Taifas States, (Forthcoming), Hespéris - Tamuda (1986).

تقديم

العلامة الاستاذ محمد المنوني

بسم الله الرحمن الرحيم

يتصاعد اهتمام المغرب بمصير الأنداس إلى ما قبل منتصف القرن الخامس الهجري. ومن أول مرة كان تحرير الأندلس من العدوان الاسباني في طليعة هموم المرابطين، فيرسل ابن الأثير عنهم هذه القولة: ه... ثم إن الصحرا ضاقت عليهم، وأرادوا إظهار كلمة الحق، والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الحكفار، ويذكر نفس المصدر أبا بكر بن عمر لما خرج إلى السوس، فيسجل خطابه لأهل المنطقة: وإفتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس، ونجاهد أعدا الإسلام، ومن جهة أخرى، كان للمغرب الفضل الجزيل في حفاظه على بموعة من تراث الأندلس المكتوب في عهد ملوك الطوائف. ومن نماذج ذلك: ديوان ابن دراج، وديوان ابن عمار، و كتاب التبيان، نماذج ذلك: ديوان ابن دراج، وديوان ابن عمار، و كتاب التبيان، لعبد الله بن بلكين، ولما يذكر عبد الواحد المراكشي كتاب المنافري، للامير ابن الافطس يعقب قائلا: ووقفت على أكثره، وتستمر هذه الاهتمامات عبر العصور التالية _ بشكل متقطع، لتنبعث _ بالمغرب _ خلال القرن العشرين، وفي أواخر السبعينات

تأخد طريقها نحو التخصص، فيلمع إسم باحث شاب يتخصص في التاريخ الأندلسي (القرن الخامس الهجري)، حيث يؤلف الدكتور تحد ابن عبود والتاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف، ويكتبه بالانجليزية ليكون موضوع أطروحة الدكتوراه من إدنبرة، ثم يعربه فيفوز بجائزة المغرب لسنة 1983.

ويتابع الأستاذ الدكتور نشاطه ، فيساهم بالأبحاث المعمة في عدد من المنتديات الدولية بأوربا وأمريكا والبلاد العربية وتركيا ، كما ينشر في مجلات تاريخية متخصصة : باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية ، فضلا عن المجلات العربية .

ومن هذه الأبحاث تخيرالاستاذ المنوه به، أربع دراسات تتكامل مواضيعها، فترجمها إلى العربية وأصدرها بعنوان: ‹ جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس العجري · .

وقد جائت هذه المجموعة _ وهي تركز أكثر على التاريخ الاجتماعي _ تمثل تأليفا مرتباً ترثيباً معقولا، ومترابط الحلقات. ويمتاز المؤلف _ مع هذا _ بالعمق في أبحاثه، والحدة في منهجيته، وبالأصالة في اختيار أوثق المصادر الأندلسية، وخصوصاً المعاصرة للحقبة المدروسة، مع مقارنتها وتكميلها بالمراجع العربية والأجنبية المتعددة اللغات.

وبعدًا فإن الكتاب يعتبر إضافة جديدة ومعمة ، لتعزز الدراسات عن عصر ملسوك الطوائف ، فليهنأ الدكتور محمد ابن عبود بعده المساهمة الطيبة ، وليهنأ البحث الأندلسي بظهور كتاب: • جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري • .

(محمد البنوني)

تقديم

الاستاذ المستشرق وليم مونتفومري واط

لقد درس تاريخ الاندلس إلى حين سقوط الدولة الاموية في سنة 422 ه. / 1031 م ، دراسة موسعة من طرف هنده منن الباحثين وعلى رأسهم إيقارست ليقي بروقنصال غير أته بالنسبة للفترة التي ثلتها لم ينجز في المقد الآخير إلا القليل من الدراسات الملائمة . ومع ذلك ما زلنا نفتقر إلى دراسة شاملة تفطى بحسوع الغترة إلى غاية ستوط فرناطة . وزيادة على ذلك للاحظ أن فترة الخمسين أو الستين سنة التي ثلت سقوط الأمويين إبان حجم ملوك الطوائف الاندلس ، قد أهملت من طرف البؤرخين أعشر من إهمالهم غرناطة إلتي عهد النصريين ، ويعود هذا دون شك إلى تعقيد مجريات الاحداث خلال ثلك السنين حينما كانت السلطة موزعة بهن مراكز معلية متبايئة . وأبدأ يسرني بمالخ السرور أن أحث وأوصى جمعور القراء المتنورين على الاهتمام بعده الدرامة ، فهي قائمة على بحث مديدق البصادر التاريخو.ة الاساسية عما تقدم عرضا جازما ومكينا لوجه من فترة ملوك الطوالف وستحكون ذات قيمة عظمي للمؤرخين المقبلين في محاولتهم ميافة نظرة تركيبية شاملة لتلك العقبة .

ن

FOREWORD

The history of al-Andalus (Islamic Spain) up to the fall of the Umayyad dynasty in 422/1031 has been fairly fully studied by a numbrer of scholars, and most notably by Evariasta Lévi-Provençal. For the subsequent period, however, there have been hardly any adequate studies until the last decade, and there is still no comprehensive work covering the whole period to the fall of Granada. The fifty or sity years after the fall of the Umayyads, when Islamic Spain was ruled by Mulük-at-Tawā'if, has been even more neglected by historians than the Granada of the Nagrids. This is doubtless due to the coplexity of what was happening during these years when power was shared between many different local centres. I have therefore great pleasure in commending the present study to a scholarly audience. It is based on careful study of the sources and gives an authoritative account of one facet of the events of the period of Muluk at Tawa'if, and will be of great value to future historians attempting to frame a synthetic and comprehensive view of this period.

> W. Montgomery Watt, Edinburgh, 4th May, 1979,

جـوانب من الـواقـع الأندلسي فـي القـرن الخـامس الهجـري

المقدمة

يتجلى الهدف الرئيسي من كتاب: • جوانب من الواقع الاندلسي في القرن الخامس العجري • في إبراز أهم عناصر التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الأندلسي خلال عصر ملوك الطوائف.

لسنا بحاجة للإشارة إلى ما يعانيه التاريخ الاجتماعي الأندلسي من النقص ليس في المغرب فحسب، حيث لا يزال الجيل الجديد من المنخصصين الجامعيين في التاريخ الاندلسي يبذل محاولاته الاولى، بل وعلى المستوى العالمي. ويعود هذا النقص إلى عاملين أساسيين، أولهما : اعتنا المؤر ذين المتخصصين في التاريخ الأندلسي بعصوره المختلفة، وعلى رأسها العصر الأموي، على حساب عصر الطوائف، وثانيهما : التركيز على التاريخ السياسي، على حساب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. لا نريد هنا أن نتطرق السباب هذا الانجاه،

بل سوف نكتفي بالاشارة إلى كونه بدأ يتغير مؤخرا لما يلاحظ من اهتمام المؤرخين بعصر الطوائف وبالتاريخ الاجتماعي الاندلسي بالدات.

إن الواقع الأندلسي الذي نبحث عنه هو الواقع الاجتماعي بالدرجة الاولى ثم الاقتصادي الذي لا يقل أهمية لارتباطه بالمجتمع ؛ وهذا لا ينفي وجود العنصر السياسي وأهميته نظراً لكون الواقع التاريخي متعدد العناصر والأبعاد .

سوف نكتفي في هذا الكتاب بدراسة جوانب معينة من الواقع الأندلسي لسببين ، أولهما : وجود حوانب أخرى من هذا الواقع نرجو أن نتطرق لها نحن وغيرنا مستقبلا ، وثانيهما : أننا نعتبر ما استخلصناه من استنتاجات معينة مسألة ظرفية قابلة للتطور والتغير ، يعني للرفض أو القبول أو التعديل، مع تطور البحث في مجال التاريخ الاجتماعي في الأندلس . وأخيرا ، يعود حصرنا للزمان في القرن الحامس العجري ، أساسا ، إلى التحام جوانب مختلفة من الواقع الأندلسي خلال تلك الحقبة التاريخية .

يشمل هذا الكتاب أربعة فصول، ألف كل فصل منها في الأصل مقالة نشرت في مجلات تاريخية متخصصة باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية. وننشرها لاول مرة بالعربية ضمن هذا الحتاب نظراً لتقاربها وللالتحام الذي يجمع بينها من حيث المواضيع التي عالجناها ونظراً لحكونها تتطرق إلى جوانب مختلفة من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في الأنداس خلال نفس الحقبة التاريخية،

بعبارة أخرى ، تنظرق كل منها لجوانب مختلفة لنفس المجتمع . وهناك تشابه بين تخطيط فصول الكتاب بحيث تنقسم جيعاً إلى قسم عام يعالج الموضوع بطريقة شمولية يتبعه قسم خاص يتطرق إلى أمثلة ملموسة ومحددة تؤكد ما جا في القسم الاول وتدعمه . مثلا ، تطرقنا في الفصل الثالث للدور السياسي والثقافي للعلما الاندلسيين عامة خلال القرن الخامس الهجري ثم عرضنا أمثلة ملموسة في القسم الثاني تعكس التنوع في مواقف العلما السياسية ثم تحولها إلى موقف سياسي موحد ضد ملوك الطوائف إثر ظهور يوسف بن تاشفين بصفته بديلا مقبولا لديهم .

وفيما يخص طريقة التوثيق في فصول هذا الكتاب فقد اعتمدنا أساساً على المصادر الأندلسية الأولية الأساسية ، خصوصاً المعاصرة للحقبة التي نحن بصددها ، لتدعيمها مع الإشارة إلى المراجع الثانوية ليس بالعربية فحسب بل بالاسبانية والانجلبزية والفرنسية حتى يستطيع القاري أن يوسع إطلاعه في المواضيع التي تطرقنا لها .

إن المؤرخ، أي مؤرخ كان، لابعد أن يتأثر ببيئته اللغوية والثقافية والحضارية وبتجاربه الشخصية في تفكيره وفي تتأريخه. وإننا لا ننفي مثل هذا التأثير في كتابنا هذا. إلا أننا حاولنا أن ندرس جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الهجري الخامس كما كان يفعمه الأندلسيون المعاصرون أنفسهم لأننا وإن كنا نقول بضرورة انتقاد النصوص التاريخية وأصحابها فإننا نعتبر نصوص ابن حيان وابن حزم وعبد الله بن بلقين وابن بسام

وغيرهم أعمق في التاريخ الأندلسي في عصر الطوائف من غيرها الخلك أننا لا نفهم الواقع الأندلسي خلال تلك الحقبة على الصورة الحالية إلا بفضل وجود تلك النصوص التاريخية الطريقة والمتميزة . ومن حسن حظ المؤرخ المهتم بالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأندلس في تلك الحقبة أن المصادر الأولية الأساسية غنية جداً ، والمطبوع منها يحتوي على مادة تاريخية غزيرة كفيلة بأن تشغل الباحثين الذين يرغبون في فهم الواقع الأندلسي خلال سنين عديدة. إننا نأمل ، بطبيعة الحال ، أن يمثل كتابنا هذا مساهمة جديدة في عال التاريخ الاجتماعي الاندلسي ، مما دفعنا إلى نشره ، وربما يظهر هذا التجديد في العناصر التالية :

يمالج كل فصل من فصول الكتاب قضية في التاريخ الاجتماعي الأنداسي بطريقة تخالف ما كان سائداً لدى المعتمين بالدراسات الأندلسية . نطرقنا للعصبية والعلاقات الاجتماعية في الفصل الاول فحاولنا أن نثبت أن المجتمع الأندلسي لم يتميز بالعصبية في القرن الخامس للهجرة وأن هناك قوى اجتماعية واقتصادية أخرى كانت بارزة سوا في بنيته الاجتماعية أو في إطار العلاقات بين دول الطوائف . كما لاحظنا غياب العصبية في إطار مواقف أبرز المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة التاريخية . ولا يمكن أن نناقش دور العصبية في المجتمع الأندلسي إلا بعد تحديد طبيعته . هناك تصورات متعددة للمجتمع الأندلسي مثل التصور القبلي والتصور الإقطاعي ، إلا أننا اعتبرناه

عبتمعاً حضرياً بالدرجة الاولى في القرن العجري الخامس مما يفسر موقنا بالنسبة للعصبية .

وقمنا بدراسة الاتجاهات الاقتصادية في الاندلس في الفصل الثاني، وحاولنا أن نتطرق لطبيعة العلاقات الاقتصادية بين دول الطوائف والممالك المسيحية في شمال إسبانيا مركزين على دور الجزية المالية التي كان يفرضها المسيحيون وعلى رأسهم الفونسو السادس ملك قشتالة وليون على ملوك الطوائف وأدت سياسة الفونسو فعلا إلى إضعاف ممالك الطوائف سياسيا وعسكريا وإلى إفلاسهم الاقتصادي. لقد تطرق بعض المؤرخين الإسبان المتخصصين في الممالك المسيحية في شمال إسبانيا لهذه العلاقات الاقتصادية اعتماداً على مصادر مسيحية وانطلاقاً من منظور الممالك المسيحية ، فحاولنا تطبيق نفس النموذج على هذه العلاقات اعتماداً على مصادر أندلسية ومن خلال منظور يركز على دول الطوائف بالدرجة الاولى .

أما الفصل الثالث، فيتجلى الجديد فيه أساساً في كوننا حاولنا أن نحدد الموقف السياسي للعلما "الاندلسيين من ملوك الطوائف وتحوله من مواقف فردية متنوعة ومتعددة إلى موقف موحد معادي لهم بعد أن أصبح الفونسو السادس يهدد ملوك الطوائف بادماج ممالكم في مملكته وبعد ظهور يوسف بن تاشفين بصفته عنصراً قادراً على قيادة الاندلسيين ضد المسيحيين وقادراً على توحيد صفوفهم في إطار شرعى.

ويظهر الجديد في الفصل الخامس في تحليلنا لأبرز عناصر الظروف التاريخية التي مكنت التأريخ الانداسي في القرن الحامس العجري الذي كان يتسم أساساً بالتنوع وبالابداع من اتخاذه اتجاها جديدا قاده إلى أوجه. وتطرقنا لمثال عبد الله بن بلقين ورخا لنبرز أهم العناصر التي ميزت كتابته التاريخية مثل البعد الذاتي والشخصي والذي يظهر مثلا في نقله للحوار المباشر الذي كان يدور بينه وبين رسل أبرز الشخصيات التاريخية المعاصرة له مثل الفونسو السادس ويوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد.

لقد لاحظ عدد من المؤرخين المغاربة في كتابنا: « التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف ، الصادر سنة 1988 م. أننا لم نقطرق فيه بالتفصيل للعلاقة بين الاندلس والمغرب وبعبارة أخرى ، إن المغرب مهمش في كتابنا المذكور . وتنطبق نفس الملاحظة على كتابنا هذا لاننا درسنا إشكاليات وقضايا تهم المجتمع الاندلسي وحده . ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب أساسية ، أولها أننا اخترنا أن نتخصص في التاريخ الاندلسي خلال القرن الخامس العجري بالدرجة الاولى وهذا اختيار مشروع لا نرى ضرورة تبريره ، وثانيهما أن اهتمامنا بالتاريخ الاندلسي محصور من حيث الزمان بعصر دول الطوائف وبظهور دولة المرابطين في الاندلس ومن المعروف أن العلاقة بين الاندلس والمغرب أخذت اتجاها جديداً بعد إدماج الاندلس في الدولة المرابطية ، والسبب الثالث هو أن المقارئة بين الاندلس والمغرب أخذت اتجاها جديداً بعد إدماج الاندلس والمغرب لا يمكن أن تكون متينة إلا إذا اعتمدت دراسات

جادة فعلينا أن نتعمق في التاريخ الاجتماعي في كل من المغرب والاندلس نظراً لخلافهما الجذري خلال القرن الخامس للهجرة قبل أن نقوم بمقارنتهما وبدراسة علاقتهما . لذلك ، نرجو أن يساهم هذا المؤلف في اغنا فهمنا لجوانب من الواقع الاندلسي وقد يساهم ذلك في فعمنا للعلاقة بين المغرب والاندلس على مستويات مختلفة . وهكذا فإن فهمنا لجوانب من الواقع الاندلسي قد يساهم في اقترابنا من واقعنا المغربي في الوقت ذاته .

ومن جعة أخرى، بالرغم من أهمية العلاقة الاندلسية ـ المغربية يجب ألا ننسى علاقة الاندلس بالمشرق من جعة . وبالمالك المسيحية في شمال إسبانيا من جعة أخرى. هناك تفاوت في أهمية هذه العلاقة لانعا متعددة المستويات . مثلا ، كانت العلاقة الاقتصادية بين الاندلس والممالك المسيحية في شمال إسبانيا أهم من علاقتها مع غيرها ويظهر ذلك بوضوح في الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه للانجاهات الاقتصادية في الاندلس في القرن الحامس العجري . وتعود أهمية علاقة الاندلس بالممالك المسيحية على الهستوى العسكري والسياسي المائد المبدد الاقتصادي . إلا أن علاقات المجتمع الاندلسي وينعكس ذلك في الميراث الثقافي الاندلسي الذي تطرقنا له بإيجاز وينعكس ذلك في الميراث الثقافي الاندلس على الطابع العربي والاسلامي ومن الفصل الرابع ، وفي محافظة الاندلس على الطابع العربي والاسلامي ضمن الفصل الرابع ، وفي محافظة الاندلس على الطابع العربي والاسلامي ضمن الفصل الرابع ، وفي محافظة الاندلس على الطابع العربية حتى ضمن الفصل الرابع ، وفي محافظة الاندلس على الطابع العربية حتى

في مملكة قشتالة وليون حيث كان الفونسو السادس يخاطب المعتمد ابن عباد ويوسف بن تاشفين بالعربية في الرسائل الموجهة إليهما وعلاوة على علاقات الاندلس بالمغرب وبالمشرق وبالممالك المسيحية في شمال إسبانيا يجب ألا ننسى العلاقات الاندلسية الاندلسية وهنا يجد المؤرخ نفسه أمام مجموعة من التناقضات التي يحير أمامها أحيانا في تحليل العلاقات بين دول الطوائف مع بعضها الآخر. كانت الاندلس تنقسم إلى دول طائفية تتظاهر بمظهر السيادة السياسية وتقيم علاقات سياسية مع بعضها يطبعها الصراع العسكري والاصطدامات السياسية المستمرة. أما علاقاتها الاقتصادية مع بعضها فلم تقل خطورة ومع ذلك فلاحظ ازدهاراً فكرياً وثقافياً في الاندلس في عهد الطوائف وبالرغم من الانقسام السياسي حافظ المجتمع الاندلسي على أبرز وبالرغم من الانقسام السياسي حافظ المجتمع الاندلسي على أبرز مميزاته كما أنه تميز بطابع الاصالة والابداع وقد عنينا في فصول هذا الحكتاب أن نتعرض لبعض جوانبه بالتحليل لنضرج بتصور لا

ينغي وجود التناقضات المحيرة في الواقع الاندلسي وإنما يفهمها

ويعذبها ويخضعها لقالب منطقي.

الفصل الاول

العصبية والعلاقات الاجتماعية في الاندلس في عهد دول الطوائف

لقد شكلت طبيعة القوى الدينميكية العاملة على تحول المجتمع الاثنية الاندلسي موضوع خلاف شديد، نظراً لتنوع عناصر هذا المجتمع الاثنية وتعقيدها من جهة، ولطبيعته المتحركة والمتطورة من جهة أخرى . لقد تطرق عدد من أبرز المتخصصين في الدراسات الاسبانية والاندلسية باسهاب لموضوع الصراع الاثني أو العرقي بصفته قوة منعشة داخل المجتمع الاندلسي ونتائجه وتأثيره على العلاقات

الاجتماعية . كما يكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة في إطار مغهوم العصبية عند ابن خلدون وهو موضوع حي أثار اهتماماً كبيراً عند المثقفين المحدثين. لقد طبق المنهاج الاثني أو العرقي للمجتمع الاندلسي بصفة خاصة على عهد بني أمية ، ولكن بعض الباحثين ادعوا أن هذا المنهاج نفسه يصلح تطبيقه على المجتمع الاندلسي عامة . إلا أن المجتمع الاندلسي كان قد تغير من عدة نواح خلال عهد دول الطوائف (الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي) . ومن الاهداف الرئيسية لهذا المقال مناقشة مفهوم العصبية والعلاقات الاجتماعية ثم إثبات فكرة جديدة وهي أنه نظراً لتطورات جديدة في المجتمع الاندلسي ، لم يعد المنهاج الاثني صالحاً لتفسير عهد دول الطوائف كما يحتمل عامة .

لقد كان مفهوم العصبية كما تبلورت عند ابن خلدون في د المقدمة ، موضع المناقشة في عدد من التفاسير المختلفة لغلسفة التاريخ عنده . (1)

لقد كان مفهوم العصبية في الاصل يحدد القوة الرئيسية ورا المجتمعات القبلية ثم تطور فيما بعد ليصبح قوة اجتماعية في المدن وتكمن أصالة ابن خلدون بصفته مفكراً في كونه طور هذا المفهوم ليعين به أبرز قوة اجتماعية ورا نهوض الدول والحضارات التاريخية ثم انهيارهما. (2) وهكذا فقد طور ابن خلدون هذا

المفهوم داخل إطار نظري شمولي يعتمد عليه في تحليل الثاريخ الشمولي (Macro-history) ، إلا أن استخدامنا لعذا المفهوم أقل توسعاً .

عند ما نناقش العصبية والعلاقات الاجتماعية في عهد دول الطوائف قد ننظر إلى هذا المفهوم خارج إطاره الخلدوني وقد نغير دلالته المحلاسيكية الشائعة . بل إن انحرافنا عن فعم ابن خلدون المفهوم العصبية وتطبيقه له يأتي على المستوين الزمني والمكاني .

إن عهد الطوائف شمل فترة زمنية مدتها أقل من قرن واحد . وجا اختيارنا لفترة محددة نتيجة اتصافها بظاهرة خاصة بعا ونعني نشأة وتطور دول الطوائف ثم انهيارها . ونتيجة لذلك فإن مشكل تصور العصبية في فترة زمنية تتصف إما بطابع مستقيم (liner) أو بطابع دوري (cyclic) لا يطرح في إطار مناقشتنا . (3)

كما يختلف اعتبار العصبية في الاندلس من الخلفية التي اختارها ابن خلدون عند ما شرع في عمله العظيم الذي تجلى هدفه في تقديم تاريخ العالم كما عرفه. ومع هذا ، فإن تحديد دراستنا في زمن معين لا يشكل عرقلة حقيقية أمامنا ، فإذا كان تطبيق العصبية على التاريخ الشبولي (macro history) أمراً وارداً ، فإن تطبيقها على المجتمعات في إطار مكاني عدود (micro-space) مثل القرى أو المدن أمر ممكن ، بل يمتاز بكونه يمكننا من تحديد التفاصيل الصغيرة بدقة أكثر ، وعلاوة على هذا ، نتوفر على تحديد التفاصيل الصغيرة بدقة أكثر ، وعلاوة على هذا ، نتوفر على

سابقة وهي أن موضوع الصراع العرقي في الاندلس خلال فترة دولة بني أمية قد أثار اهتمام عدد من الباحثين (4) كما يجب ان نشير الى مسألة هامة وهي أن الاندلس كانت قد أصبحت منسجمة وملتحمة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ولهذا فان اختيارنا لهذه المساحة المجنرافية بالذات خلال القرن الهجري الخامس، أمر لا يحتاج الى أي تبرير (5)

ربما كان من الافضل لو تجنبنا استعمال مصطلع العصبية في مقالنا هذا، اعتباراً لارتباط هذا المفعوم بمواضيع شمولية في ميادين علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة ولحكن نظراً لعدم توفرنا على مصطلع أفضل، يمكننا أن نحدد مفعوم العصبية ونحلله في نطاق العلاقات الاجتماعية في دول الطوائف.

يجب أن نؤهد أنه خلافاً للدراسات الاخرى التي تتعلق بمغهوم العصبية بالذات والتي تعدف بلورة ومناقشة المفهوم في حد ذاته ، فإننا نقبل تحديداً معيناً للعصبية مسبقاً كما نعتم على الخصوص بمناقشة حدود تطبيقه على المجتمع الاندلسي في عهد الطوائف وبعبارة أخرى ، إذا كانت الدراسات الاخرى بابن خلدون وبفلسفته التاريخية التي يشكل مفهوم العصبية نواتها ولحمتها ، فإن الهدف الرئيسي لهذا المقال ينحصر في مناقشة مكانة العصبية في المجتمع الانداسي . صحيح إننا نعتبر العصبية مقياساً ، ولكننا سنلقي الاضوا على قوى اجتماعية تفوقها أهمية . وهكذا سئركز على المجتمع الاندلسي أو على تصورنا له ، ويمكن اعتبار سئركز على المجتمع الاندلسي أو على تصورنا له ، ويمكن اعتبار

المنهاج الذي اتخذناه عضاداً لابن خلدون من حيث القيمة المحدودة للعصبية بصفتها آلة أو وسيلة للتحليل التاريخي للمجتمع الافدلسي خلال عهد الطوائف ، إلا أن هذه النظرة ليست صائبة كل الصواب فإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية أخرى ، يصبح منهاجاً مطابقاً لتصور ابن خلدون للعصبية ولدورها في التاريخ العالمي . ألم يدع ابن خلدون بأن العصبية نضعف وتقل عند انحطاط المجتمعات الحضرية المتمدنة كما أنها تتلاشى ندريجياً وبحكيفية ، وقتة مع انحطاط الدولة قبل حدوث عصبية جديدة ؟ إذا تقبلنا هذه الفرضية فإن دور العصبية المحدود في الاندلس خلال القرن الخامس الهجرى يصبع العصبية المحدود في الاندلس خلال القرن الخامس الهجرى يصبع المراطبيعياً بل ومنطقياً ، خصوصاً عند ما نعتبر أن المجتمع الاندلسي كان مشتماً وفي انحطاط سياسي واقتصادي مستمر طوال الاندلسي عهد الطوائف وأن دول الطوائف شكلت نتيجة اللامركزية في الاندلس.

يدل مفهوم العصبية على شعور جماعي لدى فئات اجتماعية يربطها أصل قبلي أو جنسي مشترك أو يربطها وعي مشترك بالانتما الى أصل قبلي مماثل ويؤثر في طبيعة علاقاتها بمجموعات أو بفئات أخرى ذات أصول مختلفة أو بباقي أفراد المجتمع. (6) ونتيجة لعذا ، فإن وجود فئة من أصل عرقي أو قبلي مماثل أو وجود فئة يجمعها الشعور الجماعي بانتما قبلي واحد ليس شرطا كافيا لحدوث الشعور الي العصبية، ذلك أن العصبية لا تحدث إلا عند ما يؤدي هذا الشعور الى ميدان العمل أو التطبيق إما بابتعاد الفئات الاخرى أو عبر الاصطدام ميدان العمل أو التطبيق إما بابتعاد الفئات الاخرى أو عبر الاصطدام

معها وذلك بحثاً عن المصالح المشتركة للفئة الاولى أو دفاعاً عن وجودها. وفي هذه المرحلة فقط ينال مفهوم العصبية دلالته الحقيقية بصفته قوة اجتماعية عركة للمجتمعات، خصوصاً المجتمعات القبلية (mes-tribal societies).

لا يهدف هذا الفصل الى دراسة آثار العصبية كما تعكس في الادب، خصوصاً الشعر، في عهد الطوائف، بل يكمن هدفه في مناقشة وجود أو غياب العصبية على المستويين الاجتماعي والسياسي. وبعبارة أخرى، نريد طرح التساؤل النالي: إلى أي حد تأثرت العلاقات بين مختلف الفئات العرقية بشعور الوعي أو التضامن القبلي، والى أي درجة اعتمدت الفئات التي انعشتها قوى اجتماعية غير عرقية في حصولها على مصالح مشتركة ؟

التركيب الاجتماعي

نجد مشاكل مختلفة أمامنا عند محاولتنا لتحديد نوع أو نعط التركيب الاجتماعي في الاندلس في عهد الطوائف. أولا ، هناك خطر تطبيق نموذج لمجتمع معين على مجتمع آخر بختلف عن الاول اختلافاً جذرياً . فعلى سبيل المثال ، اعتبر البعض أن المجتمع الاندلسي كان إقطاعياً . (7) فلقد ثبنى الدكتور صلاح خالص هذه النظرية في دراسة حول الجوانب الادبية والتاريخية لاشبيلية في عهد الطوائف . (8) وهذا فعلا هو الانطباع الذي نخرج به اعتماداً على المصادر الادبية المعاصرة خصوصاً الشعر ، إلا أن خالصاً ربما اعتمد على المصادر الادبية أكثر من اللازم ودون تمحيصها اعتماداً على النقد التاريخي فتأثر بالمصادر الادبية من جهة وبمعتقدانه الادبولوجية القوية من جهة وبمعتقدانه الادبولوجية القوية من جهة أنية فعلى سبيل المثال ، اذا كانت الطبقة

الحاكمة قد عاشت حياة الترف والرخا والرغد والتبذير، فإن الصورة التي يقدمها خالص لاوضاع الفلاحين لا تعتمد برهان ثاريخي قوي، وعلاوة على هذا فإن البعد الادبي يهيمن على أسلوبه وكثيراً ما يكون ذلك على حساب البعد التاريخي.

ويتجلى المشكل الثاني عند معالجة التركيب الاجتماعي في عهد الطوائف في تنوع هذا الاخير وتناقضه في مختلف أنحا الاندلس فإن كان التقسيم الفظيع للاندلس الى دول طائفية سياسيا في ظاهره فقد كان لذلك نتائج خطيرة على المستويين الاجتماعي والاقتصادي . بل يمكننا أن نتحدث عن التفاوت بين الدول الطائفية وبالتالي عن عدم النشابه في الاوضاع التي طبعت الحياة الاجتماعية من دولة طائفية إلى أخرى فإذا نظرنا من الوجهة الاقتصادية إلى الحياة في إشبيلية مثلا ، وخصوصا في المدينة التي نمتعت باستقرار وازدهار تجاري أكبر ، نجد أنها تختلف عن الحياة في المدن الاخرى مثل قرطبة التي شاهدت التخريب مراراً في القرن الخامس الهجري أو مالقة التي كانت أقل أهمية من الناحية الاقتصادية .

ويتضح هذا التناقض بين الدول الطائفية على مستويين. أولا، لقد كانت الدول الطائفية مستقلة سياسياً وهذا يعني أن مواطني كل دولة طائفية خضعوا ، لنظام ، سياسي خاص بهم . وتتجلى أهمية هذه المسألة عند اعتبارنا للتطورات التاريخية المختلفة في الدول الطائفية في مختلف أنحا الاندلس . فعلى سبيل المثال ،

قمتع سكان قرطبة تحت حكم بني جعور اللين بدرجة أكبر من الحرية من سكان دولة شلب الطائفية حيث لقب الحاكم الجبار أحمد بن جراش بملك الملوك، حتى خلعته رعيته المضطعدة (9). ثانيا، اختلفت الدول الطائفية عن بعضها حيث تناقضت أحيانا بكل وضوح من حيث حجم أراضيعا ومواردها الطبيعية وطاقتها البشرية وقوتها الاقتصادية. كما اختلفت الضغوط الخارجية على دول الطوائف في درجتها وفي شدتها. فعلى سبيل المثال، بينما شكلت إشبيلية تكتلا عسكريا مع جيش ألفونسو السادس ضد دول طائفية أخرى مثل غرناطة، اضطرت هذه الاخيرة إلى شراً السلم حيث أدت جزية سنوية الى الفونسو السادس وصل قدرها إلى 10.000 مثقال (10).

ومع ذلك فالبرغم من اختلاف سكان الانداس في القرن الخامس العجري في مستوى حياتهم وفي تركيبهم الاثني ونظمهم السياسية الغ ... فإنهم شكلوا مجتمعاً امتاز بالتحام ثقافي ولغوي وتاريخي والذي كأن يطبعه التكامل الاقتصادي على عدة مستويات . وكانت المواصلات بين دول الطوائف متطورة كما كانت حركة التنقل ذات أهمية . ولم يكتف الاندلسيون بالسفر الى دول طائفية أخرى بهدف الحصول على العلم أو لممارسة تجارتهم، بل حكثيراً ما استقروا في المدن التي جلبتهم إليها . إلا أن المسألة التي يجب الالحاح عليها هي أن الاندلسيين كانوا المسألة التي يجب الالحاح عليها هي أن الاندلسيين كانوا يعتبرون أنفسهم جزءً من مجتمع أندلسي واحد . ولعل ذلك من

الاسباب الرئيسية التي تفسر لماذا لم يدم تقسيم الاندلس خلال مدة أطول مما كانت عليه.

وختاماً ، فبالرغم من تعدد عناصر المجتمع الاندلسي وتنوعها ، فإن هذا الاخير شكل جزاً موحداً تطبعه بنية اجتماعية شاملة .

هناك طريقتان لتصور التركيب الاجتماعي في الاندلس في عهد دول الطوائف . فيمكننا أن ندرس تصور الاندلسيين لمجتمعهم كمنطقة إنطلاق للخروج بنموذج لتركيبه الاجتماعي، أما الطريقة الثانية الاكثر واقعية فتتجلى في اعتبارنا لطبيعة المجتمع الاندلسي بعد دراسة المصادر التاريخية الاساسية قبل أن نخرج بتصور لنموذج قد يمكن تطبيقه على مجتمعات أخرى بصفة عامة إلا أن تطبيقه على المجتمع الاندلسي في عهد الطوائف خاصة أمر جائز. ثم يمكننا أن نستغل الاطار العام لهذا النموذج في تنظيم وترتيب العناصر الدقيقة الخاصة بفترة اهتمامنا . ومع هذا ، فلعل الاعتماد على المنهجين هو النهج الصحيح لان كليهما يحتوي على جوانب إيجابية وأخرى سلبية ، فتصور الاندلسيين لمجتمعهم يتميز بكونه يعكس درجة الوعي الاجتماعي وطبيعته في المجتمع الاندلسي حيث يمكننا أن نحلله لنخرج باستنتاجات طريفة . ومن جهة آخرى ، فإن تطبيق نموذج يشكله المؤرخ يتميز بكونه يمكنه من التركيز على العناصر والعوامل الاكثر أهمية والتي قد يكون الاندلسيون أغفلوها.

كان نصور الاندلسيين للتركيب الاجتماعي في الاندلس مزدوجاً، فلقد استعملوا مصطلح الخاصة لتمييز الفئة الاجتماعية المحظوظة والتي شملت الطبقة الحاكمة والعائلات ذات النفوذ من الاعيان والنجار والملاكين الكبار، أما باقي أفراد المجتمع من الفلاحين والعمال والعبيد والطبقة الوسطى الصغيرة فأطلق عليها إسم العامة، ومع ذلك فمن حقنا أن نتسائل عن وجود فئة اجتماعية ثالثة هي الطبقة الوسطى التي يعود تاريخ نشأنها فيما يبدو إلى ما قبل القرن العجري الخامس، فغي دراسة ليغي بروفنصال حول المجتمع الاندلسي والتي نقف في نعاية القرن بروفنصال حول المجتمع الاندلسي والتي نقف في نعاية القرن الطبقة الوسطى الاندلسية. (11) وفيما يخص عهد دول الطوائف، الطبقة الوسطى الاندلسية قد وصلت الى درجة كبيرة من النطور والرشد الوسطى الانداسية قد وصلت الى درجة كبيرة من النطور والرشد في المراكز الحضرية حيث تميزت بدور هام في الحال الاقتصادي.

العصبية والخاصة

كانت الطبقة المحظوظة أو الخاصة تشمل الطبقة الحاكمة التي احتكرت الحكم على المستوى السياسي والعائلات التقليدية المسيطرة ذات الثقل الكبير نظراً لثرواتها ولاعتبارها الاجتماعي المتاز (prestige).

وفي إطار الطبقة الحاكمة، تمتع ملوك الطوائف دون غيرهم بدرجة حبيرة من السلطة حيث فرضوا نفوذهم بطريقة مطلقة بواسطة فئة أو طائفة سياسية صغيرة. لقد اختلفت درجة السلطة التي تمتع بها ملوك الطوائف حسب أهمية الدولة الطائفية التي ترأسوها، ولكن هناك عدداً من العناصر المشتركة التي ميزت الطبقة الحاكمة في جميع الدول الطائفية نظراً لتشابه الاسباب أو الدوافع العامة التي أدت إلى وجودها ونظراً لتشابه العناصر التي قررت طبيعة توجيه سياستهم.

بني ملوك الطوائف قصوراً فخمة كما تمتعوا بحياة الرخا ُ في بلاطانهم حيث أاهمتهم الحياة التي تمتع بها حكام بني أمية. ويظهر ذلك جلياً في بالط إشبيلية حيث التحق عدد من أبرز الشعرا في الانداس بإشبيلية، كما برز حكام بني عباد في ميدان الشعر (12) واشتهرت بلاطات إشبيلية حيث نجد عدداً كبيراً من الاشارات إليها في الابيات الشعرية المعاصرة . وكانت المنافسة شديدة بين ملوك الطبوائف ، خصوصاً الاقويا منهم، لجلب أشهر الشعراء، لان المدح كان يشكل وسيلة دعائية بالغة الاهمية. ومن جهة أخرى، حاول الشعرا الحصول على القبول في أقوى الدول الطائفية، لان ذلك يعني ضمان مكافأة أعظم كما كان يعني في بعض الحالات ضمانة وسيلة للصعود الاجتماعي. كان الشعر العربي يعتبر أرقي شكل للتعبير الادبي وأكثرها اعتبارا لدى ملوك الطوائف وذلك كيفما كان أصلهم أو انتماؤهم الاثني وحتى الضعفا من ملوك الطوائف الذين لم تتوفر لديهم الامكانيات المادية الضرورية لجلب الشعرا"، دونوا الشعر وتذوقوه. ولعل أبرز مثال لذلك هو حاكم غرناطة ذو الاصل البربري، عبد الله بن بلقين الذي عبر عن تذوقه للادب العربي كما نقل أبياتاً شعرية مراراً في مذكراته التي كتبها خلال فترة منفاه في المغرب بعد احتلال يوسف بن تاشفين للاندلس (13) .

لا نجد أثر العصبية لدى طبقة الخاصة في الانداس سوا ً نظرنا إلى علاقات الاعضا ً المحظوظين للمجتمع في دولة طائفية معينة فيما بينهم أو مع الاعضا ً المحظوظين في دول طائفية أخرى . لقد كانت

طبقة الخاصة نتكون خلال عهد الطوائف من عناصر جنسية مختلطة لان المجتمع الاندلسي أصبح ملتحماً حيث اندعجت فيه جميع العناصر العرقية من العرب والبربر والصقالبة والإسبان ، كما اختلف التركيب الاثني من دولة طائفية لاخرى، فعلى سبيل المثال، كانت الخاصة في إشبيلية معربة تعريباً كلياً ، كما كان معظم سكان إشبيلية من أصل عربي وإسباني (14) . أما في غرناطة ، فكانت أغلبية الطبقة المحظوظة من أصل بربري (15) ، بينما أغلبية سكان المرية من الصقالبة ، ولكن بالرغم من سيطرة جموعة اثنية معينة في كل دولة طائفية ، لم تتكون طبقة الخاصة في دول الطوائف عموماً من بجوعة عرقية دون غيرها لان أساس وحدتها لم يقتصر على نوعية الاصل القبلي. بل كانت الخاصة تجتمع على مقياس المصلحة المشتركة ، وفي عدد من الحالات ، نجد أن الاصطدام بين أعضا الخاصة كان في الاساس بين شخصين ذوي ارتباط دموي قريب الامر الذي يشير إلى أن مفهوم الشعور بالعصبية كان غريباً عن هذه الطبقة المحظوظة . فعلى سبيل المثال ، نجد صراعات بين الاقارب للحصول على الحكم في عدد من الدول الطائفية ، فحاول إسماعيل ، ابن المعتضد بن عباد ، في إشبيلية أن يقوم بانقلاب ضد أبيه، الامر الذي أدى إلى اغتيال المعتضد لابنه بنفسه وقد وصلتنا رسالة شرح فيها المعتضد الدوافع التي دفعته إلى القيام بهذه الجريمة الفظيعة (16)، وفي قرطبة ، ضم الصراع من أجل الحكم خلال الفترة الاولى من عهد الطوائف كلاً من على بن حمود وأخيه القاسم بن حمود (17) ، وألقي القبض في نهاية المطاف على القاسم بن حمود حيث سجنه قريبه يحيى بن حمود حاكم مالقه آندناك (18)، ويصف عبد الله بن بلقين كيف تمرد يدير على جده باديس في غرناطة إلى أن كشف شيخ اسمه فرقان الخطة التي حاول يدير أن يرشيه ليشاركه في تنفيذها (19)، وفي طليطلة، كان انشغال أعضا عائلة بني ذي النون في الصراع من أجل الحكم من أهم العوامل التي سهلت على الفونسو السادس ممارسة ضغوطه على طليطلة ثم احتلالها.

وكان تدبير المكائد من مميزات بلاطات ملوك الطوائف، فعلى سبيل المثال، إن العداوة بين اعتماد زوجة المعتمد وابن عمار شاعره المفضل معروفة، كما ترك لنا عبد الله بن بلقين وصفاً دقيقاً للمكائد التي كانت تدبر في غرناطة (20).

ونتيجة لهذا، فإن الصراعات من أجل الحكم في دول الطوائف لم تنعشها العصبية بصفتها قوة محركة، ولعل أمثال الأقربا الذين اصطدم بعضهم مع البعض الآخر لاغراض سياسية أحسن مبرر لهذه الحقيقة. ومع ذلك فإن بعض الامثلة تشير إلى عكس ذلك في ظاهرها، لنأخذ قضية حالة القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد وهو عربي حيث قاد مجموعة تضم أبرز الاهائي الاشبيليين ضد حكم القاسم ابن حمود سنة 414 ه. _ 1028 م. (21)، كان القاسم قد ترك ابنه محمداً على رأس إشبيلية عندما فرض حكمه على قرطبة. وبعد الاطاحة الثانية بحكم القاسم بن حمود هرب هذا الاخير إلى إشبيلية ولحكن القاضي بن عباد الذي ثار على محمد منعه من

الدخول إلى المدينة . تبدو هذه القضية في ظاهرها كأنها ثورة عربية ضد حاكم بربري وقد يغرينا تفسيرها بالعصبية بصفتها قوة اجتماعية هامة وراً هذه الثورة ، إلا أن هناك عنصرين يبطلان هذا الرأى .

أولا، لم تنجح هذه الثورة إلا بفضل المساندة التي قدمها قائد جيش محمد بن حود، القائد محمد بن زيري بن دوناس للقاضي بن عباد وللزعما الاشبيليين الذين ساندوا القاضي بن عباد وذلك مقابل اختيار بن دوناس ححاكم على إشبيلية بعد هزم حكام بني حود (22)، فالامر يتعلق بقائد عسكري بربري تحالف مع القاضي ابن عباد وهو عربي الاصل ضد حاكم بربري هو محمد بن حمود، ولكن بمجرد انتها الخطر الذي شكله حكام بني حمود على القاضي ابن عباد، ألقي هذا الأخير القبض على القائد ابن دوناس الذي لم يطلق سراحه إلا بشرط مغادرة الجيش الذي كان يترأسه لاشبيلية بكيفية نهائية (28)، ولعل المسألة الهامة التي يجب علينا أن نسجلها في إطار مناقشتنا هذه هي أن هذا التمرد لم يكن تمرداً عربياً عضاً ذلك أن مشاركة القائد البربري كانت ضرورية لضمان نجاحه.

ثانياً، لم تكن العصبية هي القوة السياسية المنعشة لهذا التمرد، بل لعب الطموح الشخصي دوراً رئيسياً فيها، فبعد نجاح مفاوضات القاضي ابن عباد بشأن إطلاق سراح محد بن حجود بشرط أن يتنازل بن حجود على حصمه في إشبيلية وبعد طرد القاضي ابن عباد لابن دوناس وجيشه من إشبيلية، قام بتصفية الزعما الاشبيليين الآخرين ثم

فرض نفسه حاكماً على إشبيلية (24) .

ويعود سبب غياب العصبية في الصراعات من أجل الحكم وفي العلاقات الداخلية لدى طبقة الخاصة في دول الطوائف إلى هيمنة قوى أخرى ذات أهمية أكبر.

العصبية والعامة

إن وجود العامة كطبقة اجتماعية في عهد الطوائف أمر مؤكد ولكن المصادر لا تعطينا التفاصيل اللازمة لتكوين تصور دقيق لهذه الطبقة ، ولهذا فإن تصورنا لطبقة العامة الاندلسية في عهد الطوائف يرتكز على مصادر ضعيفة كما أن استنتاجاتنا الحالية مبنية على الاستدلال غير المباشر إلى حد بعيد .

كانت العامة الاندلسية من نوعين، الطبقة الاجتماعية الكادحة في الرياف وتلك الموجودة في المراكز الحضرية، ولعله من الصعب تحديد أيعما كانت أكثر تشردا، لان كلتيهما كانت غير مخطوظة، ومع ذلك ربما كانت الحياة في الارياف أكثر قساوة نظراً لامتياز المدن باستقرار أكثر وبدرجات مختلفة من الازدهار الصناعي والتجاري، ومن جهة أخرى. لم تكن أحوال الجماهير الشعبية

الاندلسية أسوأ من أحوال الجماهير الشعبية في المغرب أو في شمال الجزيرة الايبيرية المسيحي حيث كان أقل إنتاجاً اقتصادياً وأقل ازدهاراً تجارياً ودون طاقة فلاحية مماثلة لما كانت عليه الاندلس، ولقد كان الازدهار الاجتماعي والاقتصادي العام في الاندلس فعلا أحد العوامل الرئيسية التي دفعت الفونسو السادس إلى اتخاذه سياسة جديدة متعسفة مع دول الطوائف كما دفعت يوسف بن تاشفين إلى احتلالها بعد أن أنقذها من العدو المسيحى (26).

كانت علاقات العامة بالطبقة الحاكمة يطبعها ميل عام إلى الاستسلام عبر جميع أنحا الاندلس (26) وكانت العامة لا تملك أدنى درجة من الوعي السياسي، وكانت نتيجة ذلك أنها لم تشارك في عملية اتخاذ القرارات السياسية أو في تنفيذها مع أن العامة شملت الاغلبية، وذلك من الاسباب التي أدت بالطبقة الحاكمة إلى تلبية حاجبات العامة إلى أدنى درجة، يعني، حتى لا تثير غضبها فيؤدي ذلك إلى هيجان جماعي، ومع ذلك فقد صاحب الاستسلام العام لدى العامة فيما يخص تحقيق مصالحها، انفجارات عنيفة دورية في مختلف أنحا الاندلس، وتدل هذه الانفجارات على درجة معينة من القلق الاجتماعي مع أنها كانت تستغل في غالب الاحيمان من طرف أشخاص بعدف إنعاش وتحقيق طبوحاتهم الشخصية، ونذكر في الشخاص بعدف إنعاش وتحقيق طبوحاتهم الشخصية، ونذكر في من أجل الخلافة بعد سقوط عبد الرحمن بن أبي عامر سنة 900 ه. _ من أجل الخلافة بعد سقوط عبد الرحمن بن أبي عامر سنة 900 ه. _ 1008

إلى فرض حكم أبي الحزم جعور بن محد بن جهور على قرطبة سنة 422 هـ ـ 31 ـ 030 م (27) ، ومن جملة الامثلة الثورة الشعبية في غرناطة خلال حكم باديس جد عبد الله بن بلقين والتي جائت نتيجة الظلم الذي مارسه الوزير اليعودي القوي يوسف بن النغرالة ابن الوزير إسماعيل بن النغرالة حيث أدت هذه الثورة إلى اغتيال هذا الأخير من طرف عامة غرناطة (28) ، وفي إشبيلية ، حدث ننزاع بين مسلم ويهودي في السوق أدى إلى سجن المسلم وإلى ردود فعل شعبي (29) .

كانت الدولة تشكل عبناً ثقيلا على كاهل المجتمع الاندلسي خضع لضرائب ثقيلة ومتزايدة وكان هذا الحمل أثقل على العامة منه على غيرها . وتعود أسباب هذه الضرائب في دول الطوائف إلى أسباب داخلية وخارجية . فمن جهة . حافظت الحكومات في دول الطوائف على إدارتها الحاصة وجيوشها ومتطلبات أخرى للدولة يفرض تسييرها والمحافظة عليها وجود دخل منتظم جاوزت قيمته دخل دول الطوائف عامة . ومن جهة أخرى ، دفع النهب المستمر والهجومات العسكرية بين دول الطوائف ثم أموال الجزية التي فرضها الملوك المسيحيون في شمال الجزيرة الايبيرية على دول الطوائف بما فيها أقواها مثل إشبيلية أو طليطلة ، كل ذلك دفع ملوك الطوائف إلى فرض الزيادة في الضرائب كوسيلة لمواجهة الضغوط الخارجية أو على فرض الزيادة في الضرائب على ملوك الطوائف الماقل المتحرها مؤقتا . وساهمت هذه الضرائب اللاشرعية الثقيلة في الأتل لحصرها مؤقتا . وساهمت هذه الضرائب اللاشرعية الثقيلة في المارة الدى العامة حتى أصبح الاحتجاج على ملوك الطوائف

شائعاً في الاندلس حلها في نهاية عهد الطوائف ، اعتبر بوسف بن تاشفين الضرائب اللاشر عية الثقيلة مبرره الاساسي لاحتلال دول الطوائف حما سائدتة الجماهير الاندلسية في ذلك مسائدة تمامة وذلك بتحريض من العلما والفقها (80) ، ولكن إذا كانت هذه الضرائب الثقيلة قد أدت إلى اضطراب وقلق اجتماعي في عهد الطوائف (31) ، فإن الموقف العام في الاندلس ظل موقفاً استسلامياً حتى جما الانفجار النهائي الذي أدى إلى احتلال يوسف بن تاشفين للاندلس.

شكلت العامة جزاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي استفادت منه طبقة أخرى أكثر من غيرها وهي طبقة الخاصة . إذن ، لماذا تقبلت العامة مصيرها باستسلام تام وهل كان العصبية بصفتها قوة اجتماعية تأثير في علاقات العامة الاجتماعية ؟ كما قلنا سابقاً ، إن المصادر الاولى لا تمنحنا ما نتمناه من معلومات حول الحجمع الاندلسي في عهد الطوائف ولكن هذا الفراغ أكثر حدة فيما يخص العامة إما نأن الدور القيادي للعامة كان محدوداً ، أو نأن يخص العامة إما نأن الدور القيادي للعامة حكان محدوداً ، أو نأن المؤرخين المعاصرين والمتأخرين اعتبروه كذلك أو لكلا السببين، وفي إطار العصبية يشير الاستسلام المفرط للعامة إلى غياب وعي جاعي وهو شرط أساسي لوجود العصبية . إذن ، لماذا اتخذت العامة هذا الموقف السلبي والمستسلم ؟ .

... لم قتائر أي من العلاقات الاجتماعية لدى العامة ولا علاقات الجاهير الاندلسية مع باقي المجتمع بالعصبية خلال عهد الطوائف.

أصبحت العامة تشحكل جزاً من عبتمع ملتحم مع أنها كانت

تضم بحومات إثنية متعددة، ولا يمكننا أن نحدد درجة العصبية لدى العامة إلا بعد طرح السؤال التالي: هل كانت المجموعات المختلفة يتحد بعضها ضد الآخر أم أنها كانت تتعايش في سلام مع احتفاظ كل منها بخصائصه، أم أنها ذابت في إطار مجتمع ملتحم من الناحية الاثنية، لقد كان الزواج بين بحموعات مختلفة يمارس على نطاق واسع في الاندلس خلال القرن العجري الخامس، إلا أن المجموعات الاثنية المختلفة تعايشت مع محافظتها على شخصيتها، وفي عدد من الحالات، نجد تطابقاً دينياً وثقافياً وتربوياً مع اختلاف في اللغة .

ففي غرناطة ، كانت الاغلبية من العامة من أصل بربري ، كما كانت أغلبية السكان في المرية من الصقالبة (32) ، بينما أغلبية الاشبيليين من أصل عربي وإسباني ، وعلاوة على هذه المجموعات الاثنية المدينة بالاسلام ، ضم المجتمع الاندلسي جاليتي المسيحيين واليهود ، وفي إطار العصبية في الاندلس . فإن المسألة التي تهمنا بالدرجة الاولى ليست. هل اصطدمت هذه المجموعات مع بعضها ؟ هل قامت بذلك بنا أعلى وعيها بالانتما القبلي ، حيث إننا نجد أسباباً أخرى فيما يخص الاصطدامات التي شاركت فيها العامة .

كان سلوك العامة في الاندلس في القرن الخامس للهجرة يبدو أحياناً وكأنه محرك ومنعش بالعصبية ، إلا أن دوافع أخرى خفية أو ظاهرة كانت دائماً حاضرة ، فعلى سبيل المثال ، يبدو قتل عامة غرناطة للوزير اليهودي يوسف بن النغرالة حالة للكراهية العرقية والعنصرية ، إلا أن سبب سقوطه يعود في الحقيقة إلى احتكاره

للسلطة السياسية ولاعماله الاستبدادية ولمكائده الخبيثة (33).
إن عامة غرناطة لم تثر ضد أبيه إسماعيل بن النغرالة الذي

شغل منصب وزير مع باديس الزيري حاكم غرناطة حيث إنه فرض احترام الجميع له بفعاليته وكفائته الادارية (84)، لقد كانت الضرائب الثقيلة سبب ثورة ليوسنة على الامير عبد الله بن بلقين (35)، أما الثورة الشعبية في قرطبة التي أدت إلى فرض يحيى بن جهور حاكماً عليها، فقد اعتبرها البعض رد فعل القرطبيين المعربين ضد جيوش البربر. ومع ذلك فقد كانت هذه الثورة عبارة عن انفجار اجتماعي ناتج عن النهب المستمر الذي خضعت له قرطبة نتيجة الصراعات من

أجل السلطة التي تعود بدايتها إلى سقوط عبد الرحمن بن أبي عامر .

يبدو أن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للعامة في عهد الطوائف هي التي حددت طبيعة وجودها وسلوكها ومواقفها ثم علاقاتها الاجتماعية إلى درجة أنها غطت على أي وعي جماعي محتمل بشعور الانتما القبلي أو العرقي بصفته قوة اجتماعية . وكانت العامة من الناحية العرقية ، تنتسب في أغلبيتها إلى أصل إسباني لان السكان الاوائل في شبه الجزيرة الايبيرية اعتنقوا الاسلام في أغلبيتهم فاندمجوا في مجتمع إسلامي تطبعه اللغة العربية ، وإذا كانت العصبية تطبع العلاقات بين العرب والبربر المنتمين إلى الحاصة والذين حافظوا على سلوكهم وعقليتهم القبلية خلال القرون الثلاثة من الوجود على سلوكهم وعقليتهم القبلية خلال القرون الثلاثة من الوجود في الطبقة الحاكمة - الاسلامي في الانداس - مثلا في الجيش أو في الطبقة الحاكمة - فإنه حقاً من الصعب أن درى كيف تمكن هذا الوعي بالانتما

القبلي من أن يدخل بنجاح وفعالية في المجتمع الاسباني الحديث العهد بالاسلام، خصوصاً وأن هذا الحجتمع تطور إلى ذلك الوقت في خط الحجتمع الاقطاعي في عهد الويز قوت، هناك احتمالان يشيران إلى غياب العصبية لدى العامة الاندلسية.

أولا، هناك تأثير النظام الاقطاعي السابق من عهد الويز قوت الامر الذي يشير تاريخياً إلى أنه لم يحكن من طبيعة عقلية العامة الاندلسية أن تتقبل العصبية .

ثانياً ، لقد ساهم التصور المثالي للامة الاسلامية في تدعيم وتشجيع الالتحام الاجتماعي بدلا من الصراع ، أو على الاقل ، لقد أعطى للصراع طابعاً ومبرراً دينياً وليس قبلياً .

ثالثاً ، لدينا ملامح العامة الاجتماعية والاقتصادية التي أنعشت نموذج علاقاتها الاجتماعية .

العصبية والطبقة الوسطى

لقد كان للطبقة الوسطى المتمدنة في الاندلس نشاط هام ودور منتج في المجتمع، كما قامت بدور المحافظة على التوازن بين الخاصة والعامة حيث ساهمت في تقليص التناقضات بينهما. لقد ملأت الطبقة الوسطى الفراغ الموجود بين الطبقتين الاجتماعيتين المتطرفتين الاخريين بحيث خففت التناقضات بين الفئتين الاجتماعيتين الاكثر والاقل امتيازا، فأصبح اصطدامهما أقل خطورة لكونه غير مباشر. وساهم ذلك في حصر الضغوط الاجتماعية والتقليل منها مع أنه لم يقض عليها نهائياً. وقبل تطرقنا للطبقة الوسطى مباشرة ربما كان من المستحسن أن نقدم نظرة عامة المخفية الحضرية في الاندلس خلال عهد الطوائف حتى نبرز نموها الحضري وسوف نستطيع آنذاك أن نكون فكرة واضحة عن الطبقة الوسطى وأن نقيم دورها الحقيقي.

لقد تميز المجتمع الاندلسي بطابع حضري وريفي معاً حيث إن الطابع الاول أكمل الثاني، إلا أن المدن التي ضمت الاراضي المجاورة لها لتتحول الى دول طائفية ، كانت تشكل الارضية التي انطلق منها النشاط الاجتماعي، فقامت المدن بأدوار متعددة كضمانة المأوى والامن وحماية السكان من العنف والسلب والنهب الشائع آنذاك.

ولكن إذا كانت الحياة صعبة وغير قارة في المدن الاندلسية في عهد الطوائف فإنها كانت أكثر خطورة في البوادي حيث أصبحت الحياة فيها في بعض الحالات مستحيلة ، لذلك جلبت المدن الاندلسية سكان البوادي لاسباب متعددة وعلى رأسها الأمن ، كانت المدن عادة محمية بالاسوار بحيث يستحيل على العدو أن يتجاوزها إلا إذا خدع خصومه فيدخل المدينة عنوة أو بعد المفاوضة . ونجد أمثلة لعدد من مثل هذه الحالات خلال عهد الطوائف ، فبهذه الكيفية سقطت قرمونة في يدي القاضي بن عباد ومحمد البرزالي عند احتلالها من طرف يحيى بن حمود . (36) كما خدع المعتمد بن عباد ابن جهور فدخل الجيش الاشبيلي الى قرطبة واحتلها سنة 643 ه . ـ 1070 م . بعد قيامه بالدفاع عنها ضد المأمون بن في النون حاكم طليطلة . (37) وفشلت جيوش قشتالة في خرق أسوار طليطلة ولم تسقط هذه الاخيرة إلا بعد استسلام القادر بن في النون وتخليه عن المدينة مقابل أمنه وأمن عائلته . (38)

ديياث. (39) وأمثلة المدن التي دافعت عن نفسها بسبب قوة مقدرتها الدفاعية كثيرة، فعلى سبيل المثال، لم يستطع القاسم بن حمود أن يدخل إشبيلية عند طرده من قرطبة سنة 414 ه . ـ 1025م . بالرغم من وجود ابنه محمد داخل أسوار المدينة. (40) ولم ينجح المعتمد بن عباد في احتلال مالقة بحيث طرد جيشه من طرف جيش باديس الزيري الذي أتى ليستنجد به أهل مالقة . (41) كما تخلت جيوش يوسف وبعض ملوك الطوائف عن حصارها لحصن لييط سنة 481 ه. ـ 1088م. بعد أربعة أشهر خصوصاً بعد أن توصلت بأخبار مفادها أن الفونسو السادس كان في طريقه لانجاد هذا الحصن المسيحي المحاصر (42) ومع ذلك فهذا لا يدل على أن الاستيلا على المدن الانداسية كان مستحيلا. بل هناك عدد من الامثلة التي تثبت عكس ذلك . وما تاريخ دول الطوائف إلا تاريخ الكفاح المسلح المستمر إذ كثيراً ما تغير الحكام على رأس الدول الطائفية . ومع ذلك ، كانت المناطق الريفية أحثر خضوعاً وتعرضاً للتخريب خاصة نتيجة الحملات العسكرية التي نظمتها دول الطوائف بعضها ضد البعض وحملات الحكام المسيحيين من الشمال.

وعلاوة على الأمن، فإن التجارة والصناعة والتعليم من أهم الخصائص التي ميزت المدن الاندلسية ومع ذلك لا يمكن فصل الازدهار الاقتصادي للمدن عن البادية نظراً لاهمية الأنشطة الفلاحية. وكانت مختلف وسائل المواصلات تربط بين المدن الاندلسية. فعلى سبيل المثال، لم يستغرق التنقل الى جميع أطراف دولة

إشبيلية الطائفية إلا بضعة أيام، (43) والانعار، علاوة على دورها في الرى ، كانت ذات أهمية بالغة كوسيلة للنقل. (44) وزيادة على ذلك كان عدد القرى في المناطق الريفية كبيراً حيث نجد ما يقرب من إثنى عشرة ألف قرية. (45) ومن منتوجات الاندلس الفلاحية الزيتون واللوز والرمان والبرقوق والموز والنين في أنواع مختلفة . (46) وإلى جانب ذلك ازدهرت منتوجات كانت تستخرج من النبات كالعطور وأخرى كالتوابل مثل الزعفران. (47) واعتبرت المعادن من أهم الثروات الطبيعية التي جادت بها أرض الانداس، فمنها الفضة في منطقة قرطبة بينما كان يتم تحويل الرمال في مدينة لبلة الى زجاج. (48) وبالنسبة للرخام فكان يستخرج من عدة مناطق، فمثلا في قرطبة وجد الرخام الابيض والاحمر، أما الرخام الاسود وهو أقل قيمة من سابقيه فتعددت نواحيه. (49) وزيادة على ما ذكر اشتهرت مواد ومنتوجات أخرى كالخشب والصباغة التي غلب عليها اللون الاحمر خاصة. ومن منتوجات النسيج ثوب حريري ملون عرف باسم المبلد كما كان يصدر الي المشرق زليج ملون ولامع عرف باسم الزايجي. (50) وفي إشبيلية عرفت المنتوجات المعدنية شهرة واسعة ضاهت الشمال المسيحي ومن جملتها صناعة الاقواس والرماح والسهام بالاضافة الى صناعة السرج المزينة . (51)

وساهمت هذه المنتوجات وغيرها في إنعاش الحركة التجارية في المدن الانداسية من جهة وبين الاندلس وكل من المغرب

والمشرق ثم الشمال المسيحي من جعة ثانية . وكان التعليم من بين أهم الاسباب المتي جعلت المدن تجلب الناس إليها فبينما حافظت قرطبة على مركزها الثقافي القيادي ساهمت مدن أخرى مثل إشبيلية في تكوين الفقعا والادبا ، الخ . . . (52)

لقد شكلت الطبقة الوسطى جزاً هاماً من المجتمع الاندلسي، إلا أن خصائصها اختلفت في مختلف أنحا الانداس باختلاف الاوضاع الجغرافية والطاقة الاقتصادية وازدهار المدن الاندلسية، ثم مستوى الحياة وأساليبها، فعلى سبيل المثال، يجب التفريق بين المدن الكبيرة في الدول الطائفية مثل إشبيلية وبطليوس وطليطلة وبين المدن الصغيرة مثل رندة وأركوش وشلب وقرمونة، وازدهرت الطبقة الوسطى ازدهاراً كبيراً في المدن الكبرى نظراً لكونها كانت أحثر حركة كما كانت تتوفر على فرص أحثر لتحسين مستوى العيش وللصعود الاجتماعي كما كانت المدن المدن الكبرى أقتر المحتمر بين الدول الطائفية على مستوى العربي أكثر استقراراً وأمناً وهذا هام جداً خصوصاً خلال فترة تتصف بالصراع والاصطدام المستمر بين الدول الطائفية على مستوى وبين الاندلس بأكملها ومملكة ليون وقشتالة ثم المغرب فيما بعد، على مستوى ثان .

وكانت الطبقة الوسطى متنوعة التركيب من الناحية الاثنية شأنها في ذلك شأن باقي المجتمع الاندلسي الذي اختلفت عناصره الاثنية كما اختلفت نسبة توزيعها عبر مختلف أنحا الاندلس، وبعبارة أخرى، كانت الطبقة الوسطى طبقاً للنمط العام للمجتمع

الاندلسي تتكون من عدة عناصر إثنية مع أنها كانت ملتحمة. وأهم من ذلك، لقد كان تناقض الطبقة الوسطى الاندلسية في مختلف المدن كبيرا فيما يخص حركتها وقدرتها على الانتاج ونوعية انتاجها وطبيعة نشاطها الاقتصادي ومستوى حياتها وتأثير العناصر الاقتصادية في أسلوب حياة الطبقة الوسطى ومطامحها، فعلى سبيل المثال ، لقد أدى الاستقلال السياسي لدول الطوائف الى اتخاذ كل منها حكومته وإدارته الخاصة. وحاول ملوك الطوائف توسيع هذه الادارة حتى يتخذوا لانفسهم مظهر حكام حقيقيين فجندوا عدداً كبيراً من الاطر من الطبقة الوسطى لتحقيق هذا الهدف. كان للادارة دور هام في إطار النظام السياسي في الدول الطائفية الكبرى مثل إشبيلية ويتضح هذا جلياً في العدد الكبير من الموظفين السامين خصوصاً الوزرا والقضاة والكتاب، وقد قام مؤلفون معاصرون بدراسة هؤلا الموظفين حيث ركزوا على أبعادهم الادبية والدينية كما يعثر المؤرخ الحديث على إشارات الى هؤلا الموظفين مع افتقار الى المعلومات المفصلة حول أرضيتهم الاجتماعية ومهامهم الادارية. ومع هذا ، فإن العدد الكبير للموظفين السامين في النظام السياسي في الدول الطائفية الكبيرة والقوية يشير الى وجود عدد أكبر من الموظفين الصغار الذين نفذوا قرارات الموظفين السامين وبرامجهم ولابد أن يكون أعضا الطبقة الوسطى قد شكلوا عنصراً لا يستغنى عنه للقيام بهذه الوظيفة. ومن جعة أخرى ، لقد كان لمواقع الدول الطائفية الجغرافية تأثير

عظيم على الطبقة الوسطى وأنماط حياتها. فلم تحةق أبة دولة طائفية الازدهار الذي حققته إشبيلية نتيجة عدة عوامل منها الاراضي الخصبة في غرب الاندلس وارتباطها التجاري بأنحا أندلسية أخرى وبغيرها ثم الثروات التي تراكمت بوسائل مختلفة كالغنائم. وعلاوة على ذلك، لم تساعد الاراضي الصغيرة والاوضاع الجغرافية القاسية بعض دول الطوائف على النمو ومنها غرناطة الواقعة في منطقة جبلية. أما الطبقة الوسطى في المدن المزدهرة فقد كانت أحثر نجاحاً لان المدن كانت تجلب الموهوبين من جميع أطراف الاندلس وذلك لأسماب تجارية وتعليمية وسياسية.

لم يصلنا أي أثر لدور العصبية في تقرير طبيعة العلاقات الاجتماعية لدى الطبقة الوسطى خلال ععد الطوائف ويمكننا أن نذكر عدة عناصر لتفسير غياب العصبية هذا. فخلافاً للخاصة ، لم تأخذ الطبقة الوسطى زمام السلطة والحكم وخلافاً للعامة ، لم تشكل الطبقة الوسطى الاندلسية طبقة مسحوقة في القرن العجري الخامس. لذلك كانت آمالها وطموحانها للصعود الاجتماعي موضع المصداقية. ومن جهة أخرى ، كانت الطبقة الوسطى نشيطة جداً في القطاع التجاري والاداري بحيث لم تؤثر التقلبات السياسية خلال القرن الخامس العجري مباشرة فيها كما كان شأن الخاصة والعامة ، كما كانت العلاقات بين الطبقة الوسطى وكل من الخاصة والعامة أقل اصطداماً الامر الذي نقص أو حصر تشجيع إنعاش العصبية نحو

المجموعات الاثنية الاخرى سوا كانت أقل مركزاً أو أعلى مركزاً اجتماعياً.

ومع ذلك، فبالرغم من تناقضاتها، كانت الطبقة الوسطى تتصف بدرجة معينة من الانسجام الناتج عن الاسس الاقتصادية المشتركة للمجتمع الاندلسي. لذا يحق لنا أن نتصور التنوع الاثني للطبقة الوسطى الاندلسية في نطاق الوحدة الاجتماعية الشمولية، الأمر الذي يدفعنا الى طرح مسألة العصبية والعلاقات الاجتماعية لدى الطبقة الوسطى.

ربما كان الشرح الرئيسي لنفسير مكانة العصبية في العلاقات الاجتماعية لدى الطبقة الوسطى هو أن المجموعات الاثنية التي تعتبر ضمن هذا الصنف بسبب نشاطها الاقتصادي ومستوى معيشتها أو مركزها الاجتماعي كانت منكبة على نشاط منافس بحيث كان هدفها الاساسي تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، والكن طبيعة أنشطتها في إطار الطبقة الوسطى كان تحكيليا وليس صراعا، فعلى سبيل المثال، كانت الانشطة التجارية تتطلب ممارسة علاقات طيبة مع كل من من شأنه أن يقدم أعظم المنافع وأدنى الاثمان وأعلى الارباح ويلبي مطالب السوق إلغ . . . ويعني هذا أن التجار كان مفروضاً عليهم أن يتعاملوا مع تجار آخرين من أصول إثنية مختلفة من مدينتهم أو دولتهم الطائفية أو أنحا أندلسية أخرى أو المغرب . وفي الادارة، كانت المنافسة لاحتكار أو لتحسين وضعية الافراد والمجموعات كثيراً ما تتطلب التعاون

بين أشخاص مختلفين من أصول إثنية مختلفة. وهذا لا يعني أن المجموعات من أصل إثني معين لم تتعامل بهدف تعقيق أهداف وأغراض معينة ، ولكن السؤال الذي يجب طرحه في إطار مناقشتنا: هو هل كان محركها الاساسي هو الوعي الاثني الجماعي ؟ وهل كان ذلك موقفاً معادياً للمجموعات الاخرى من أصل عرقي مختلف؟ بل لعل مجرد قبولنا لفكرة الطبقة الوسطى يؤكد حقيقة هامة وهي أننا فتوفر على مقاييس لتمييزها ولتحديد طبيعتها مثل الاوضاع الاجتماعية المشتركة ومستوى المعيشة والمركز الاجتماعي والانشطة الاقتصادية. وتختلف كل هذه المقاييس عن المقاييس الاثنية ؛ ومع ذلك ، فإن وجود الطبقة الوسطى ليس معبراً عنه على مستوى الوعي الجماعي بالافتما الى طبقة خاصة ولهذا فإن قطور الوعي الجماعي بالافتما الى طبقة خاصة ولهذا فإن قطور الوعي الجماعي بالافتما الى طبقة خاصة ولهذا فإن قطور الوعي الجماعي بالافتما الى طبقة خاصة ولهذا فإن قطور الوعي المجموعة المتحديث مستوى الوعي المحموى العصرى.

شكلت النخبة الثقافية والدينية المنتمية في أغلبيتها الى الطبقة الوسطى مجبوعة ضغط هامة في المجتمع الاندلسي. ونظرا لتنوع الاصول الاثنية للفقها حيث إنهم شكلوا جزا من عجتمع ذي عناصر متنوعة فيهمنا أن نبحث عن وجود أو غياب الشعور بالعصبية عند هذه الفئة. لا يمكننا اتخاذ أية مناقشة حول العلما دون اعتبار الارضية الادبولوجية التي عاشوا فيها والمذهب الفقهي المسيطر نظرا لعيمنة المذهب المالكي الذي أصبح مذهبا رسمياً في الاندلس منذ سنة 170 ه. _ 785 م (63) ، طبق معظم الفقها مذهب مالك مهما

كانت انتما اتهم الاثنية ، ولم يشكل وجود الحركات المذهبية الانفصالية في الانداس في عهد الطوائف مثل المذهب الظاهري الذي أحياه على بن حزم خطراً على مذهب مالك . (54) كما أن العصبية لم ذكن سبب معارضة ابن حزم لملوك الطوائف وانحرافه عن مذهب مالك . لذلك فإنه من العبث أن نبحث عن العصبية بصفتها أساس مذهب ابن حزم الظاهري كما أنه من العبث أن نبحث عنها لدى النخبة الدينية لان اتحاد هذه الاخيرة كان مبنيا على أساس عقدي وليس على مبادئ عرقية . وبامكاننا مناقشة أصول الفقها حسب أسمائهم ولكن ذلك سوف يواجه صعوبتين:

أولا، إن مجرد أسمائهم ليست كافية لاثبات انتمائهم العرقي. ثانيا، إن أصلهم وانتمائهم الاثني لا يثبت بالضرورة وعيهم بهذا الانتمائك كما أنه لا يثبت عملهم الجماعي على أساس وعي عرقي جماعي .

لقد بالغ عدد من المستشرقين في أهمية الحركات المعارضة في الانداس ولم نشاهد التركيز على المذهب المالكي وآثاره الاجتماعية في الاندلس ثم معالجته بطريقة موضوعية إلا حديثاً (55) وفيما يخص القرن الهجري الخامس فلقد عولج حديثاً الدور الاجتماعي للعلما وتأثيرهم في المجتمع وذلك انطلاقاً من زاوية غير زاوية الصراع العرقي (66) فلا يمكن لنا أن نوضع الارضية الحقيقية للعلما ونعتبر الحركات المعارضة في مكانة ثانوية إلا بعد رفض اعتبار

المذهب المالكي مذهباً رجعياً وقوة تعسفية. ونطرح بعد ذلك سؤالا، هو: هل ساند الفقها الاندلسيون ملوك الطوائف أم عارضوهم؟ وعلى أى أساس؟ إن الجواب عن هذا السؤال ليس واضحاً كل الوضوح، فمن جعة ، نجد أن العدالة في دول الطوائف كانت مبنية على المذهب المالكي رغم أنها كانت تتمتع باستقلال نسبي ولذلك ساند معظم الفقها ملوك الطوائف. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما كان ملوك الطوائف يبررون أعمالهم وأنشطتهم السياسية بمساندة قانونية من طرف الفقها". ومن جعة أخرى ، نجد بعض الفقها" الساخطين على الاوضاع والذين عبروا عن هموم ومطالب الشعب، ومن بين هؤلا نذكر أبا الوليد الباجي الذي زار مختلف ملوك الطوائف فحاول أن يقنعهم بضرورة توحيد الانداس سياسياً (57) ، وعلي بن حزم الذي استنكر سلوك ملوك الطوائف علانية وتعجم عايهم (58)، وأبا ابراهيم إسحاق البيري الذي حرض عامة قرطبة على الثورة ضد الوزير اليهودي يوسف بن النغرالة . وعلاوة على هدا ، أصبح الفقها عامة في نهاية عهد دول الطوائف مناهضين لنظام دول الطوائف نفسه ولم ينحصر دورهم في ممارسة ضغوط قوية على ملوك الطوائف بعدف الاستنجاد بيوسف بن تاشفين عسكريا ضد الفونسو السادس، بل كان لهم دور هام في إقناع يوسف باحتلال الاندلس وضمها للمغرب بعد معركة الزلاقة . بل مما هو أهم من هذا أنهم أعطوا لتدخل يوسف بن تاشغين تبريراً قانونيا عند ما أدانوا سياسة ملوك الطوائف في مجال الضرائب بحيث اتهموهم بالتعامل مع النصارى وبالفشل في حماية رعاياهم. (69)

وهكذا نلاحظ أن الدين شكل قوة هامة لدى مسلمي الانداس ولدى المسيحيين في شمال الجزيرة الايبيرية خلال القرن الخامس العجري ومع ذلك كثيراً ما حاول كل من المسيحيين والنصارى تحقيق مصالحهم الاقتصادية والسياسية على حساب مبادئهم الدينية. إن الامثلة للتعاون بين الاشخاص المتدينين بأديان مختلفة كثيرة كما أن لدينا أمثلة للاصطدامات بين أشخاص من نفس الدين. في الختام، ربما لم يكن الوعي الديني أهم قوة اجتماعية في الاندلس، إلا أنه ساهم في كبت وتجميد العصبية وحصر آثارها خصوصاً لدى الطبقة الوسطى.

العصبية والعلاقات بين ملوك الطوائف

لقد نظر جل المتخصصين في الدراسات الاسبانية إلى العلاقات بين ملوك الطوائف في إطار العصبية كما افترض هؤلا أن البعد العرقي كان يشكل جزا لا يتجزأ من تركيب دول الطوائف البشري، لهذا لم يتبن أو يرفض أحد الاساس العرقي لدول الطوائف بصفته قوة اجتماعية متحركة، بل لم تطرح هذه المسألة قط، وكان أبرز مؤرخي القرن التاسع عشر مثل راينهارت دوزي وأشهر المستشرقين في القرن العشرين مثل ليفي برفنصال قد بلوروا موضوع الوعي العرقي الجماعي بصفته قوة اجتماعية هائلة كما نجد صداه عند المؤرخين العرب العصريين المعتمين بعهد الطوائف (60).

إن المنهج الشائع لدراسة العلاقات بين دول الطوائف يرتكز على التقسيم العرقي إلى ثلاث جموعات رئيسية يسيطر العرب أو

البربر أو الصقالبة على كل واحدة منها ، ومن الآرا المقبولة الرأي القائل بأن دول الطوائف كانت تشكل تحالفات تسيطر هذه الجموعات عليها بهدف الدفاع أو الهجوم على دول طائفية فردية أو على تحالفات أخرى ، ولعل نظرة سريعة إلى خريطة الانداس في القرن الهجري الخامس تثبت هذا الرأي .

كانت الدول الطائفية العربية مثل إشبيلية، مركزة في الغرب وكانت الدول الطائفية البربرية مثل الجزيرة الخضرا ومالقة مركزة في الجنوب في غالب الاحيان، أما الدول الطائفية التي سيطر عليها الصقالبة مثل دانية فكانت توجد في الشرق، يبدو أن بعض الدول الطائغية مثل طليطلة وبطليوس تلبي شروط الدولة الطائفية العربية والبربرية معاً، حيث إن انتما حكامها إلى البربر ينعكس في أسما بني ذي النون وبني الافطس مع أن هـؤلا كانوا معربين ثقافياً ، ونتيجة لذلك ، قبلت هذه الدول بصفتها دولا طائفية عربية إلا أن درجة عروبتها كانت أقل من درجة عروبة دول طائفية أخرى مثل إشبيلية في عهد بني عباد . وبعبارة أخرى ، حصل اتفاق جميع المؤرخين بشأن الاطار العام للدول الطائفية العربية والبربرية والصقلبية أما الخلافات فدارت حول إمكانية اعتبار دولة طائفية معينة ضمن مجموعة معينة أو غيرها ، واعتباراً لتركيز مجموعات مختلفة من الدول الطائفية الملتحمة إثنيا في مناطق خاصة فيترتب على ذلك أنها اصطدمت بعضها مع بعض وأن هذه الاصطدامات كانت مبنية على أسباب تحركها، وتنعشها قوى اجتماعية أطلق عليها أحياناً عبارة

العصبية ، لهذا نجد أن فكرة بجموعات متطاحنة من الدول الطائفية الملتحمة إثنيا قد جا تصورها في إطار نظري يعتبر الصراع العرقي فيه أهم قوة اجتماعية يمكن استخدامها لتفسير التطور الاقتصادي والاجتماعي في الانداس خلال عهد الطوائف ، ومن الغريب حقا أنه لا توجد أية إشارة إلى الدول الطائفية الاسبانية التي يطغى عليها وعي جماعي إسباني ، ولكن إذا كانت العصبية تكتسي الاهمية التي أعطيت لها في تحديد العلاقات بين دول الطوائف عامة فلابد أن تكون للسكان الاصليين للاندلس الذين شكلوا الاغلبية خلال القرن تكون للسكان الاصليين للاندلس الذين شكلوا الاغلبية خلال القرن دول طائفية خاصة بعم على أساس تضامن عرقي ، وحتى تتجنب التعقيدات الناتجة عن هذه المسألة بالنسبة للمنهج العرقي في دراسة دول الطوائف فقد أهمل الدور السباسي للاندلسيين من أصل إسباني دول الطوائف فقد أهمل الدور السباسي الماندلسيين من أصل إسباني بحيث أعتبر هؤلا وجزا من المجموعة العربية في غالب الاحيان .

لم يتسائل أحد عن قضية استعمال مصطلحات معينة مثل الدولة الطائفية العربية ؟ الطائفية العربية أو البربرية ، فماذا نعني بالدولة الطائفية العربية ؟ وماذا نعني بالدولة الطائفية البربرية ؟ هل يجب على الحاحم أن يكون عربياً حتى نعتبر دولة طائفية عربية. أم يجب على الرعية أن تكون عربية ؟ أم يجب تحقيق الشرطين ؟ فإذا كان ملك طائفي عربياً ولم تكن رعبته من العرب، فيستخلص من ذلك غياب عصبية عربياً ولم تكن رعبته من العرب، فيستخلص من ذلك غياب عصبية عربية بحيث انها تفرض وجود شعور جماعي بالانتما للى أصل عرقي مشترك، ومن جهة أخرى، لا يعقل تصور حاكم عربي يحركه تضامنه مع

جموعة من أصل عرقي يختلف عن أصله ، ومع هذا ، يمكننا أن نتجنب الكثير من التدقيق فنعتبر كل دولة سبطر عليها العرب خصوصاً على المستوى السياسي دولة عربية ، ويمكن القول انسه اعتباراً للسلطة السياسية المطلقة لملوك الطوائف فإن الوعي العرقي عند الحاكم وعند الطبقة الحاكمة هو ما كان يقرر السياسة مع الدول الطائفية الأخرى ، إلا أن هذا الموقف يصعب الدفاع عنه لاننا نجد سياسيين وإداريين من أصول عرقية مختلفة في بلاطات ملوك الطوائف العرب والبربر معا كما نجد يهوداً في مناصب وزارية في غرناطة في عهد بني زيري ونجد بعض النصارى في بلاط بني عباد بإشبيلية (61) .

هل تعكس الفرضية المبنية على هيمنة العرب والصقالبة والبردر والتي انتشرت على نطاق واسع لدى المثقفين العصريين في كتابات المؤرخين المعاصرين احهد الطوائف؟ من الافضل أن نناقش مواقف المؤرخين المعاصرين ونظرتهم إلى ملوك الطوائف وعلاقاتهم في ضو العصبة في إطار الاشكالية التي نطرحها، ولكننا سوف نكتفي باختيار مؤرخين بارزين هما: خلف بن حيان وعبد الله بن بلقين أولهما عربي. وثانيهما بربري الاصل، لقد عاصر كلاهما عهد دول الطوائف وارتفع مستوى رواياتهما التاريخية على غيرها، ويكتسي موقف ابن حيان تجاه المجموعات الاثنية المختلفة أهمية بالغة نظراً لتأثير تاريخه في كتابات المؤرخين الذين عاشوا بعده بحيث نقلوا عنه حثيراً فعكسوا نظرته إلى ملوك الطوائف، كما يكتسي ابن

حيان أهمية خاصة نظراً لاقتراب تكوينه وأرضيتة الثقافية العربية من تحكوين أغلب المؤرخين الذين اهتموا بعهد دول الطوائف بحيث يمكن اعتباره رمزاً لهم كما يمكن اعتبار شعوره نحو المجموعات الاثنية الأخرى مماثلا لشعورهم، ولا نحتاج إلى تبرير هذه المقيقة إلا من خلال نصوص أعمال ابن حيان التي نقلها المؤرخون اللاحقون على نطاق واسع.

ومن جهة أخرى ، يكتسي البحث عن احتمال وجود الشعور بالعصبية عند عبد الله بن بلقين قيمة نمثيلية لأنه أحمد الانداسيين البرابر الذين وصلتنا كتاباتهم ، وعلاوة على هذا ، نعتبر مذكرات عبد الله خارقة للعادة، ليس فقط لكونها تمدنا بمعلومات دقيقة وهامة حول العلاقات الاجتماعية في غرناطة وحول علاقات الامير عبد الله مع بعض ملوك الطوائف مثل المعتمد بن عباد ثم مع الفونسو السادس ولكن لكون الامر يتعلق بحاكم يصف هذه العلاقات ويحللها بنفسه وهذا أمر لم يعرف قبل ذلك في حوليات تماريخ أوربا . لقد اعتبر عدد من الدؤرخين الغربيين ابن حيان أعظم مؤرخ أندلسي (62) ، عدد من الدؤرخين الغربيين ابن حيان أعظم مؤرخ أندلسي (26) ، حكما اجتمعوا على اعتبار وصوله إلى قمة نضجه كمؤرخ رائع في حكا اجتمعوا على اعتبار وصوله إلى قمة نضجه كمؤرخ رائع في معاصر متين لدراسة عهد دول الطوائف ، وفعلا ، وصل المؤرخ البارز سانشيس البورنوث إلى الاستنتاج التالي بشأن « المتين » : « في سانشيس البورنوث إلى الاستنتاج التالي بشأن « المتين » : « في الواقع ، لقد عبر ابن حيان بحرية تامة عما شعد عصره من أحداث مؤلمة في كتاب : « المتين » بعبقريته بصفته مؤرخا وتجاوز حدود مؤلمة في كتاب : « المتين » بعبقريته بصفته مؤرخا وتجاوز حدود

التأريخ في عهده ليقترب إلى النصورات العصرية للتاريخ ، (63) . يبدو أن أصل هذا الكتاب قد ضاع نعائياً (64) ، إلا أن بعض الاقتباسات منه منقولة في عدد من الكتب، فعلى سبيل المثال ، رغم تركيز ابن بسام على التقديم والتعليق الادبي في كتابه : « الذخيرة في عاسن أهل الجزيرة ، فكثيراً ما استشهد بان حيان فيما يخص المعلومات التاريخية كما نقل معظم المؤرخين المسلمين المتأخرين النين درسوا الاندلس اقتباسات عن كتاب : « المتين ، (65) .

لم يحكن منهاج ابن حيان في دراسة دول الطوائف وعلاقاتها مبنياً على العصبية لأنه كان مؤرخاً منهجياً له نظرة واضحة إلى عهد الطوائف.

إن المؤرخ الذي تهيمن العصبية على مواقفه ونظرته وتفسيراته ينظر إلى التاريخ بالعاطفة، ولكن ابن حيان كان مؤرخاً عقلانياً، لم يكتف ابن حيان باعتبار العلاقات بين ملوك الطوائف بكيفية نقدية بل كانت نظرته إلى ملوك الطوائف وإلى علاقاتهم مبنية على تأمل عقلاني عميق للاسباب الظاهرة والخفية الحركة لها، ونتيجة لذلك، ليس هناك مكانة للعصبية في فكر ابن حيان التاريخي ومنهجه، لو اعتبر الدول الطائفية من زاوية عرقية لما أصبح المؤرخ الموضوعي والحايد الذي تعترف به الاغلبية الساحقة من المتخصصين في الدراسات الاندلسية، لذا قد يكون مفيداً لو فحصنا منهجه التاريخي كما عبر عنه في كتاباته، ورغم غياب البعد الاجتماعي والعمق الفلسفي لمقدمة ابن خلدون من مقدمة ابن حيان لتاريخه والعمق الفلسفي لمقدمة ابن خلدون من مقدمة ابن حيان لتاريخه

3) نجح ابن حيان بصفته ،ؤرخا غير متحيز وموضوعياً ، وتتضع هذه الحقيقة خاصة في تقييمه وتحليله لملامح الشخصيات التاريخية البارزة التي درسها. ونظراً لتركيز مؤرخي القرون الوسطى على أولئك الذين شغلوا مناصب النفوذ والسلطة، فقد يكون من المستحسن او فحصنا مقدرة ابن حيان على تقييم ملوك الطوائف. يمكن الرجوع إلى موقفه من المعتضد بن عباد لنوضيح روحه الانتقادية الحمادة وفعمها . إذا كانت بعض الاقتباسات من كتب ابن حيان تعكس موقفه الايجابي من المعتضد، فأن اقتباسات أخرى تعكس انتقادات شديدة له ، بحيث لابد من دراسة المادة التاريخية بطريقة شمولية حتى ندرك أن هدف ابن حيان الأخير كان يتجلي في الوصول إلى وصف موضوعي لشخصية المعتضد دون أفكار مسبقة ، ففي رسالة بعثها للمعتضد بمناسبة انتصاره على أبن ذي النون ، لجأ فيها إلى الاطناب في المدح واستخدام الالقاب الشرفية مثل الحاجب سراج الدولة (70) ، فماذا نقعم من هذه الرسالة ؟ هل كان صادقاً عندما عبر عن إعجابه بالمعتضد، أم أن استعماله أسلوباً رسمياً كان ضرورياً لضمان وجوده ولحماية نفسه من حاكم مستبد وطاغية ؟ يبدو الاحتمال الثاني أكثر اقتراباً من الحقيقة خصوصاً إذا اعتبرنا التقييم التالي للمعتضد بقلم ابن حيان: ١٠٠٠ وأطمع ما كان في الاحتوام على الجزيرة، محتفزاً لها عند تشميره الذيل بفتنة لا كفا الها... > (71) ولم يتردد ابن حيان في التطرق إلى أدق الجوانب في حياة المعتضد وأكثرها حساسية ومنها اغتياله إبنه إسماعيل (72) ، ومع ذلك فقد

للاندلس في عهد الطوائف التي وصلتنا محفوظة في «الذخيرة»، فانها تشمل العناصر التالية المعبرة عن خصاله الرائعة كمؤرخ؛ 1) لقد هيأ ابن حيان نفسه بدقة قبل عتابة تاريخه لدول الطوائف، يعني كتاب: «المتين»، فبعد أن عاش خلال فترة تميزت بعدم استقرار تام ومستمر، انتظر ابن حيان حتى هدأ الاهتياج العظيم بين دول الطوائف الامر الذي مكنه من الكتابة في جو أكثر هدوا ومن اتخاذ منهاج أكثر موضوعية (66)، وعلاوة على ذلك، درس جميع المصادر التاريخية الموجودة وانتقد المعلومات على ذلك، درس جميع المصادر التاريخية الموجودة وانتقد المعلومات الضعيفة لعدد من معاصريه (67).

2) حاول ابن حيان أن يكون مؤرخاً صادقاً وغير متحيز وذلك نتيجة محاولة واعية ، وربسا كانت عقيدته الاسلامية دافعاً هاماً ورا رغبته الاكيدة في البحث عن الحقيقة التاريخية (68) ، ورغم قيوده ومهما كانت الدوافع بذل ابن حيان أقصى جهوده عن وعي ليصبح مؤرخاً صادقاً ، غير متحيز، وموضوعياً . وتتضع هذه النية في بوضوح في الاقتباس التالي من مقدمة كتاب : • المتين ، :

* ووصلت القول فيما فاتني قبل من ذكر انبعاث تلك الفتنة ، وأخبار ملوكها ، ومشهور حروبها مما أصبت به عندي تذكرة ، أو أخذته عن ثقة ، أو وصلتني به مشاهدة ، أو حاشته إلي مذاكرة ، حتى نظمت أخبارها إلى وقتي مكملة ، وجئت بها على وجوهها ، وأوردتها على سبوغها ، ناشراً مطاويها ، ومعلناً بخوافيها ، غير محاب ولا خائف في الصدق عليها ، سالكا سبيل من ائتسيت به من مستأخري أصحاب التاريخ بالمشرق ، (69)

3) نجح ابن حيان بصفته ،ؤرخاً غير متحيز وموضوعياً ، وتتضع هذه الحقيقة خاصة في تقييمه وتحليله لملامح الشخصيات التاريخية البارزة التي درسها. ونظراً لتركيز مؤرخي القرون الوسطى على أولئك الذين شغلوا مناصب النفوذ والسلطة، فقد يكون من المستحسن او فحصنا مقدرة ابن حيان على تقييم ملوك الطوائف. يمكن الرجوع إلى موقفه من المعتضد بن عباد لنوضيح روحه الانتقادية الحمادة وفعمها . إذا كانت بعض الاقتباسات من كتب ابن حيان تعكس موقفه الايجابي من المعتضد، فأن اقتباسات أخرى تعكس انتقادات شديدة له ، بحيث لابد من دراسة المادة التاريخية بطريقة شمولية حتى ندرك أن هدف ابن حيان الأخير كان يتجلي في الوصول إلى وصف موضوعي لشخصية المعتضد دون أفكار مسبقة ، ففي رسالة بعثها للمعتضد بمناسبة انتصاره على أبن ذي النون ، لجأ فيها إلى الاطناب في المدح واستخدام الالقاب الشرفية مثل الحاجب سراج الدولة (70) ، فماذا نقعم من هذه الرسالة ؟ هل كان صادقاً عندما عبر عن إعجابه بالمعتضد، أم أن استعماله أسلوباً رسمياً كان ضرورياً لضمان وجوده ولحماية نفسه من حاكم مستبد وطاغية ؟ يبدو الاحتمال الثاني أكثر اقتراباً من الحقيقة خصوصاً إذا اعتبرنا التقييم التالي للمعتضد بقلم ابن حيان: ١٠٠٠ وأطمع ما كان في الاحتوام على الجزيرة، محتفزاً لها عند تشميره الذيل بفتنة لا كفا الها... > (71) ولم يتردد ابن حيان في التطرق إلى أدق الجوانب في حياة المعتضد وأكثرها حساسية ومنها اغتياله إبنه إسماعيل (72) ، ومع ذلك فقد

حان رأي ابن حيان في المعتضد متنوعاً كما نرى في الاقتباس التالي:

د . . . المعتضد عباد زعيم جماعة أمرا الاندلس في وقته ، أسد الملوك ، وشهاب الغتنة ، وداحض العار ، ومدرك الاوتار ، وذو الانبا البديعة ، والحوادث الشنيعة ، والوقائع المبيرة ، والعمم العلية ، والسطوة الأبية . . . ، (73) .

وأخيراً إن استنتاج ابن حيان بشأن المعتضد واضح ونقدي مع رفضه أو تساؤله عن مدى صحة بعض الآرا المبالغ فيها والتي لم تبن على أسس متينة :

وتجاوز الحدود، والابلاغ في المثلة، والأخذ بالضنة، والاخفار للذمة، وتجاوز الحدود، والابلاغ في المثلة، والأخذ بالضنة، والاخفار للذمة، حكايات شنيعة لم يبد في أكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها، فالقول ينساغ في ذكرها، ومهما بري من مغبتها فلم يبرأ من فضاعة السطوة وشدة القسوة، وسو الاتهام على الطاعة، سجايا من جبلة لم يحاش فيها ذوي رحم واشجة ، (74).

4) رغم حدوده في مجال التحليل العميق، فإن تاريخ ابن حيان لعهد الطوائف غني بالتعاليق، كما أنه احتفظ بقيمته كشهادة تاريخية معاصرة. فمع استمراره في الاطار العام للمؤرخين المسلمين، كان يعتم بالتاريخ السياسي لدول الطوائف بالدرجة الاولى. ومع ذلك، لم يحصر جهوده في وصف الاحداث وجردها بل صنف معلوماته وتسائل في الدوافع المحركة للزعما، وفي الاسباب العامة لانحطاط الدول الطائفية ويظهر ذلك بوضوح في الاقتباس التالي:

و فركبت سنن من تقدمني فيما جعته من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية ، ونظمته وكشفت عنه وأوعيت فيه ذكر دولهم المضطربة ، وسياستهم المنفرة ، وأسباب كبار الامرا المنتزين في البلاد عليهم ، وسبب انتقاض دولهم ، حال فحال بأيديهم ، ومشعور سيرتهم وأخبارهم ، وما جرى في مددهم وأعصارهم ، من الحروب والطوائل ، والوقائع والملاحم ، إلى ذكر مقاتل الاعلام والفرسان ، ووفاة العلما والاشراف ، حسب ما انتهت إليه معرفتي ، ونالته طاقتى ، (75) .

وبعد اثباتنا لمكانة ابن حيان كمؤرخ (76)، يمكننا الآن أن فعلل موقفه من العرب والبربر وتقييم درجة تأثير التقسيم الازدواجي العربية ـ البربرية، في نظرته إلى الاندلس خلال القرن العجري الخامس. كيف كان موقفه تجاه البربر؟ إننا نجد في مقدمته تعجمات عنيفة على العناصر البربرية بصفتها فتنة ومخربة ومسؤولة بالدرجة الاولى عن انهيار خلافة بني أمية في قرطبة . فعلى سبيل العثال ، يشير ابن حيان إلى م... هذه الفتنة البربرية الشنعا المدلعمة ، المفرقة للجماعة ، الهادمة للمملكة المؤثلة ... ، (77) . وعلاوة على ذلك ، إنه يعتبر البربر مسؤولين قبل غيرهم على استمرار تقسيم الاندلس إلى دول طائفية طوال القرن العجري الخامس . ومع ذلك ، فإنه إلى دول طائفية طوال القرن العجري الخامس . ومع ذلك ، فإنه تعجيل انحطاط خلافة قرطبة فلم نعد مسؤولية بدئه إليهم وإنما شاركوا غيرهم في هذا الانهيار. كما أن ابن حيان لم يدع أن مسؤولية بدئه إليهم وإنما شاركوا

تخريب خلافة قرطبة تعود إليهم دون غيرهم ، وهكذا فاعتماداً على مصادر نقلت عن ابن حيان بالتفصيل يمكننا أن نثبت أن البربر لم يتحملوا وحدهم اللوم لاشعال الفتنة .

لقد كانت • الفتنة البربرية ، التي أصابت قرطبة بعد أن فرض على بن حود حكمه عليها سنة 407 هـ 1016م في جوهرها نتيجة منطقية لدكتانورية بني أبي عامر غير البربرية التي قضي خلالها على دولة بني أمية بطريقة تدريجية وفعالة ، وعلاوة على ذلك، فإن محمد بن عبد الجبار المعروف بالمهدي وهو ليس بربرياً هو الذي وضع نهاية لآخر حاكم من بني أبي عامر وعزل هشاما الثاني الخليفة الاموي الرمزي، كما اشتهر بعنف مفسرط تمثل في تخريبه لمدينة الـزهرا التي عرفت بالمدينة الـزاهرة في عهـد بني أبي عامر (78) ، وكان ابن حيان واعياً بمساهمة المعدى في القضا" على خلافة قرطبة عندما قال: • محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر، (لقبه) المعدي، (كنيتة) أبو الوليد، ولقب نفسه المهدي ولقبته العامة المنقس لعشاشته (79) ، وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق . . . ، ، ولم يكن الناصر سليمان بن الحكم الذي جا " بعد المهدي ففرض حكمه على قرطبة سنة 403 ه . _ 1012 م . أقل عنفا كما يظهر ذلك بكل وضوح في التخريب الذي قام به جيشه بين سنة 400 ه. _ 1009 م. وسنة 403 ه. _ 1012 م. عندما حاصر قرطبة التي حكمها هشام الثاني -المغلوب على أمره (80) ، ولم يظهر بربري على ساحة قرطبة إلا في سنة 407 ه. ـ 1016 م. وهو علي بن حمود ، بل لم يصبح علي بن حمود حاحماً جباراً وطاغية إلا بعد تهديد حكمه بحيث كانت الشهور الثمانية الاولى من حكمه مثالية يطبعها السلام والامن . (81)

بعد أن قمنا بمناقشة بعض مصادر ابن حيان أصبحنا أحثر تأهلا للحكم على منهج ابن حيان التاريخي دُم تقرير وجود أو غياب البعد العنصري في فكره وبالتالي في منعجه . اعتبر ابن حيان العنصر البربري عنصرا أساسيا ولكن غير منفرد للانحلال الذي أصاب الاندلس خلال القرن العجري الخامس. ومع ذلك ، لا يمكننا أن نفسر ظاهرة الانحلال هذه بطريقة مبسطة بوضعنا كل المسؤولية على عاتق البربر والعرب، بل يجب علينا أن نضع القضية في إطار أندلسي واسع لأن التناقضات والصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت تميز الانداس عامة دون أدنى ميز عنصري. ولو كان التخريب الذي قامت به العناصر البربرية أعظم من النخريب الذي سببته العناصر الاثنية الاخرى فسوف يصعب على ابن حيان - وعلى غيره من المؤرخين - تحديد أسبابها في إطار عنصري ضيق. وعلاوة على ذلك، لقد كان لملوك الطوائف من أصل بربري ارتباط متين بغيرهم من ملوك الطوائف على المستوى الثقافي حيث اعتنقوا الاسلام في الباطن أو في الظاهر وتعلموا اللغة العربية . فكانت لهم جميعاً عوامل ثقافية مشتركة . لهذا ، . عند ما انتقد ابن حيان البرابرة كان يقصد ملوك الطوائف من أصل بربري بحيث إننا لا نجد أدنى إشارة للميز العنصري بمفهومه

العصري. ويبدو واضحاً من خلال انتقادانه الشديدة لملوك الطوائف من أصل غير بربري أنه كان واعياً كل الوعي بأن لومة الزعما البربر كانت تعود الى نقصهم كزعما وليس بصفتهم بربر. لذلك يمكننا أن نستنتج بأن منهج ابن حيان لعهد الطوائف كان شاملا بحيث انتقد جميع العناصر الاثنية المسؤولة عن اندلاع الفتنة وتشجيع انفجار الاوضاع العامة في الاندلس وتقسيم الابدلس الى دول طائفية متعددة شبه مستقلة ، لقد كان النبوذج المثالي للوحدة عنده عبارة عن رد فعل للصراعات المنتشرة والتقسيم الذي أصاب الاندلس خلال القرن الخامس الهجري. كما أن ابن حيان عبر عن إعجابه وحنينه للدولة الاموية المنقرضة في إطار مفهوم الوحدة . وأخيرا يعتبر تاريخه عبارة عن محاولة لفهم عصره ، ومحاولة لشرحه وأخيرا يعتبر تاريخه عبارة عن محاولة لفهم عصره ، ومحاولة لشرحه للاجيال اللاحقة بأسلوب تاريخي مهتاز .

يلقي و كتاب التبيان وهو عبارة عن مذكرات الامير عبد الله بن بلقين أضوا كثيرة على العلاقات بين ملوك الطوائف وذلك بكيفية مباشرة وواضحة . (82) وفي هذا الاطار ، يمتاز هذا العمل بقيمة خاصة وفريدة حبث يقدم لنا حاكم شارك في الاحداث مباشرة علاقاته مع ملوك الطوائف ثم العلاقات بين حكام آخرين .

تختلف القيمة التاريخية « لكتاب التبيان » لعبد الله بن بلقين عن قيمة « المتين » لابن حيان من عدة نواح ، إلا أن هذا لا يقلل في شيء من أهميته . فعلى سبيل المثال ، لا نجد في « المتين » مثل روايات عبد الله بن بلقين لاحداث بارزة في القرن الخامس

الهجري مثل معركة الزلاقة في سنة 479 ه. 1086 م. أو احتلال يوسف بن تاشفين للاندلس نظراً لوفاة ابن حيان سنة 469 ه. 1076 م. أي قبل حدوثها. ومع افتقار عبد الله لخصائص ابن حيان كمؤرخ وعلى رأسها منهجه التاريخي القويم امتاز حاصكم غرناطة بصدق كبير في روايته للعلاقات بين ملوك الطوائف. ونظراً لحتابة مذكرات عبد الله وهو في المنفى في المغرب إثر احتلال يوسف بن تاشفين الانداس، فقد وصف علاقاته بملوك الطوائف بحرية مطلقة ، مع أنه كان حذراً يزن كل كلمة تتعلق بيوسف ابن ثاشفين . وعلاوة على ذلك ، تمتاز المعلومات الواردة في حتاب « التبيان » بدقة كبيرة حيث إنها تشال تفاصيل متعددة غير موجودة في المصادر الاخرى. إن أسما الشخصيات التي يذكرها عبد الله متعددة وتعكس إدراكه العميق للتطورات السياسية في القرن العجري الخامس. مثلاً ، لم يكتف بمنحنا دون غيره أدنى التفاصيل المتعلقة بأنشطة الثوار مثل كباب بن تميت أو مؤمل، بل يصف لنا مفاوضاته مع مبعوثي الفونسو السادس المسيحيين مثل بيدرو أنسوريث (Pedro Anaurez) وألفار هانيث (Alvar Hañez) وسيسناندو دافيديث (Simando Davidiz) الذين تذكرهم المصادر المسيحية . (88) وفي الخنام ، لا يمكن أن نشك في القيمة التوثيقية العظمى لمذكرات عبد الله لانه كان شخصية معاصرة للععد الذي أرخ له ولانه لم يتأثر بمعظم الاحداث التي تطرق لها عند ما كتب عنها في مذكراته ولان معظم الحقائق التاريخية والتعاليق والتحاليل

الموجودة في مذكراته يمكن مقارنتها بمصادر أخرى من المصادر التاريخية المتينة. وعلاوة على ذلك، يمتاز و كتاب التبيان، بمهمة تحكميلية حيث إنه يحلل التطوات التي أدت الى أبرز أحداث القرن الخامس العجرى بعمق عظيم (84).

يعتبر تحليل عبد الله لطبيعة العلاقات بين ملوك الطوائف فريداً كما أنه يخص مستويين. فمن جهة ، يحلل البعد السياسي والاديواوجي ومن جهة ثانية ، يحلل البعد النفسي. يتطرق عبد الله للعلاقات بين ملوك الطوائف في إطار سياسة القوة حين يصبح الضعفا ضحية للاقويا (86) كما اعتبر خلافات ملوك الطوائف وتقسيمهم أمراً لا يمكن إصلاحه ، (86) حيث ساهم ذلك في تشجيع هيمنة الفونسو السادس على الانداس لتأخذ تدريخياً شكل سياسة تعسفية نهدف الى إخضاع ملوك الطوائف.

بعتبر • حتاب النبيان • لعبد الله بن بلقين فريداً حيث إنه يحلل البعد النفسي عند ملوك الطوائف محكشفاً دوافع قراراتهم وأعمالهم . ومما هو أهم من حل هذا ، ان عبد الله يعبر عن أفكاره ودوافعه الداخلية من خلال عدد من القرارات الهامة التي اتخذها ، (87) حكما تطرق ادوافع الشخصيات التي اصطدم أو تفاوض معها مثل المعتمد بن عباد . (88) بل ذهب الى أن نقل لنا اقتباسات من بعض الشخصيات البارزة التي كان له بها صلة ، (89) فيعكس لنا عقلية الفئات الاندلسية المختلفة الأمر الذي لم يفعل أي كانب غيره .

ولا يمكن لنا من خلال رواية عبد الله أن نعتبر العصبية قوة اجتماعية بارزة ورا الاصطدامات الداخلية في غرناطة أو العلاقات بين ملوك الطوائف. فعلى سبيل المثال ، كان حكم جد عبد الله ، باديس بن زيري ، قد عرف عدداً من مكائد البربر وحيلهم الذين حاولوا الاطاحة به الامر الذي دفعه الى الاعتماد على اليهود حيث استوزر بعضهم ، بل لم يشعر عبد الله نفسه بأمن مع رعيته البربرية وقد نظمت عدة محاولات للاطاحة بحكمه . (90) وقد وصل شكه في وزرائه وعدم ثقته بهم الى درجة أنه جعل كلا منهم مسؤولا أمامه مباشرة . (91) وهكذا كانت الدواقع الشخصية وليس العصبية الحرك الاساسي للصراعات الداخلية من أجل الحصول على الحجكم في غرناطة .

وعلى النطاق الخارجي، أقام عبد الله علاقانه بملوك الطوائف الآخرين على أساس المصلحة بدلا من الجنس أو العرق. فعلى سبيل المثال، لم يعتبر خلافاته مع المعتمد بن عباد ناتجة عن الغوارق العرقية بل عبر عن اندهاشه عند ما هجم عليه هذا الاخير بالرغم من انتمائهما لنفس الدين. (92) بل أكثر من ذلك، مدح عبد الله المعتمد شخصياً ثم اعتبر سياسته التعسفية ناتجة عن أطماع ابن عمار وهيمنته المفرطة داخل البلاط الاشبيلي. (98) إن الامثلة متعددة سوا" لاصطدامات عبد الله مع ملوك الطوائف من أصول إثنية مختلفة أو لعلاقاته الطيبة معهم.

إن النظرة الايجابية لمؤرخين نعو بجوعات إثنية غير بجوعتهم لا تعتبر كافية في حد ذاتها لاثبات دور العصبية المحدود كقوة اجتماعية محركة ، إلا أن العلاقات بين ملوك الطوائف من أصول إثنية مختلفة كانت عدائية أحياناً وسلمية في أحيان أخرى ، لقد كانت هذه العلاقات مبنية على عوامل متنوعة ولذلك يستحيل بعد فحص دقيق ، قبول نمط واضع للتحالفات العرقية للدول الطائفية التي امتاز سكانها بالتحام إثني وذلك بالرغم من انتشار هذا النبط لدى عدد من المؤرخين العصريين ، وعلاوة على ذلك ، هناك أمثلة للتحالفات بين بعض ملوك الطوائف ، الذين تحالفوا مع ملوك طوائف من أصل عرقي مخالف ضد آخرين من نفس أصلهم العرقي .

ولعل أقوى دليل ضد المنهج المبني على العرقية في معالجة علاقات ملوك الطوائف يكمن في كون الامثلة المأخوذة من الواقع التاريخي للاندلس في عهد الطوائف تثبت عكس ذلك، إن حقيقة واحدة تفسر صراع ملوك الطوائف من أصول إثنية مماثلة والعلاقات السلمية بين آخرين من أصول إثنية متناقضة وهي أن قوى أخرى غير العصبية هي التي أنعشت علاقات ملوك الطوائف. فعلى سبيل المثال، ساند القاضي ابن عباد وهو عربي حاكم قرمونة البربري محمد البرزالي عند ما أطاح بربري آخر هو يحيى بن حبود بحكمه مند 1040 م. (94) إن الصراع العربي العربي لدى مند 1040 م. (94) إن الصراع العربي العربي المراك الطوائف واضع في احتلال المعتمد بن عباد لقرطبة التي ملوك الطوائف واضع في احتلال المعتمد بن عباد لقرطبة التي

حكمها بني جهور الى استيلا بني عباد عليها سنة 463 . 1070 م . (95) وبعد مدافعة الجيش الاشبيلي على قرطبة ضد هجومات المأمون بن في النون دخل العاصمة الاموية ثم قرر المعتمد بن عباد أن يقضي على حكم بني جهور فوضع له نهايته . ومن بين الامثلة البارزة للصراع البربري - البربري ، الاصطدام بين عبد الله بن بلقين وأخيه تميم حاكم مالقة . لقد أخذ نزاعهما شكل المواجهة العسكرية واستمر خلافهما حتى بعد وقوع معركة الزلاقة سنة 479 ه . - 1086 منهما بالآخر ليوسف ، (96)

إن أمثلة الصراع بين ملوك الطوائف من أصل عرقي مماثل لا يثبت في حد ذاته غياب العصبية كقوة محركة للعلاقات بين ملوك الطوائف، إلا أنها تشير الى أن هذه العلاقات لم تحكن مبنية على نمط عرقي واضح لمجموعات متحالفة من ملوك الطوائف العرب والبربر والصقالبة. هناك أمثلة للصراع بين دول طائفية من أصول عرقية مختلفة. فعلى سبيل المثال، كان كل من المعتضد وابنه المعتمد ابن عباد معادياً لجيرانهما البربر الذين حكموا دول طائفية صغيرة مثل رندة أو قرمونة. ومع ذلك، لم يحكن احتلال إشبيلية للدول الطائفية الضعيفة المجاورة لها راجعاً الى العصبية بقدر ما كان يعود الى تناقض إشبيلية وهذه الدول الطائفية في حجمها وقوتها، والى سياسة إشبيلية الخارجية التعسفية والتوسعية.

وكانت المصلحة الشخصية تفرض نفسها على المعاييس الاخرى عند ما لجأ ملوك الطوائف في عدد من الاحيان الى مساندة

الفونسو السادس أو يوسف بن تاشفين ضد ملوك طوائف آخرين . وبعد معركة الزلاقة شعر يوسف بن تاشفين بان دول الطوائف غير قادرة على تشكيل وحدات سياسية واقتصادية قائمة بنفسها. ومن جهة أخرى ، فإن هزيمة الفونسو السادس في معركة الزلاقة لم تمنعه من القيام بحملات عسكرية تخريبية في أراضي عدد من الدول الطائفية مباشرة بعد عودة يوسف الى المغرب. لقد أصبح هناك سؤال يطرح نفسه بالحاح في تلك الظروف وهو هل سيحتل الغونسو السادس أو يوسف بن تاشفين دول الطوائف التي فشلت إطلاقاً في توحيد صفونها؟ وساعدت الظروف والاوضاع الداخلية يوسف فأخذ المبادرة وفي ظرف سنوات قليلة احتل جميع دول الطوائف باستثناء سرقسطة التي قامت بدور الحد الغاصل بين الاندلس وبعض الممالك المسيحية في شمال الجزيرة الايبيرية . وفي إطار العصبية ، نلاحظ أن يوسف قام باحتلال دول الطوائف دون أدنى تمييز فيما يخص أصول ملوك الطوائف العرقية . فعلى سبيل المثال ، جا انهزام بعض ملوك الطوائف البربر قبل ملوك طوائف آخرين من العرب والصقالبة . مثلا ، بينما استسلم عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة سنة 483 ه. - 1090 م. انهزمت إشبيلية وسقطت في أيدى المرابطين سنة 484 ه . ـ 1091 م .

الخاتمة

بعد مناقشتنا للعلاقات الاجتماعية في الاندلس في القرن الهجري الخامس على ثلاثة مستويات من فقاتها الاجتماعية وبعد تحليل العلاقات بين ملوك الطواقف، نرى بأن عوامل أخرى غير العصبية كانت تحرك العلاقات والمعاملات بين المجموعات والافراد على السوائل إن احتمال التقسيم إلى الخاصة والطبقة الوسطى والعامة قد يواجه اعترضا على أساس أن مفعوم الطبقة الاجتماعية يفترض وجود الاستغلال والوعي الطبقي مع أن الوعي الطبقي لم يكن موجوداً في الاندلس. ومع ذلك، كانت الطبقات الاجتماعية في الاندلس نتصف بامتزاج ومع ذلك، كانت الطبقات الاجتماعية في الاندلس متفاعلة في الاندلس متفاعلة ومتجانسة ومرتبطة بعضها مع البعض.

لقد وحد الطبقات الاجتماعية وعي ثقافي من جهة كما وحد

الحجتمع الانداسي حكل من جعة ثمانية . إن الاسلام هو الذي كان ورا سير الحياة في المجتمع الاندلسي مع احترام الجاليتين المسيحية واليعودية في الاندلس وهذا ما لم نشاهده لدى المسيحيين في شمال إسبانيا . بل إن حركة الاسترجاع المسيحي (reconguista) حانت مبنية في مراحلها الاولى على اديولوجية ترذكز على الذات بحيث اعتبرت مصالح الغزاة المسيحيين دون غيرهم وذلك قبل بحيث اعتبرت مصالح الغزاة المسيحيين دون غيرهم وذلك قبل تأسيس هيئة الحاكم الدينية (inguisition) بقرون .

لقد كان المجتمع الاندلسي رغم فوارقه الطبقية والاجتماعية يشكل مجتمعاً يتركب من عناصر إثنية متنوعة إلا أنه كان يتصف بالتحام اجتماعي. كانت الحركية الاجتماعية العمودية التصاعدية والتنازلية من بين العناصر الرئيسية بحيث نجد من وصل إلى منصب سام كالوزارة عن طريق التعليم كما كان حال ابن عمار في بالاط المعتمد كما نجد لدى آخرين من ضاعت له دروات عظيمة ونفوذ قوي.

ومن جعة أخرى ، يمتاز مفعوم العصبية بمرونة حبيرة بحيث يمكن لبعض القرا أن يرفضوا التحديد الذي أعطيناه في هذا الفصل ، بل قد يمكن إعادة تحديده ثم إظهار أهبيته حقوة اجتماعية عركة هامة في الاندلس في القرن الخامس العجري إلا أن أي تحديد جديد لمفعوم العصبية يجب أن يعتمد فيه على المصادر التاريخية ثم استعمالها وتفسيرها الصحيح ، يشير تمحيصنا في المقالة الحالية لنصوص بقلم أبرز مؤرخ عربي وأبرز مؤرخ بربري عاصرا عهد الطوائف إلى غياب العصبية حقوة اجتماعية محركة في عهد الطوائف ولن يغير هذا

الموقف إلا اكتشاف برهان جديد . وعلاوة على هذا ، لقد كانت أعمال هذين المؤرخين وغيرهما في الماضي موضع التفسير من طرف مؤرخين غير متخصصين في عهد دول الطوائف لتدعيم بعض الفرضيات التي انتشرت على نطاق واسع مع أنها لا تنطبق على القرن الهجري الخامس . وأخيرا ، ربما نحكون قد طلبنا كثيراً إذا اعتبرنا هدف هذا الفصل الوحيد هو تغيير نظرة للقرن الخامس الهجري دافع عنها أبرز المؤرخين الاوربيين والعرب خلال قرن بأكمله . ومع ذلك ، فإننا لا ذرغب إلا في رأينا مع غيرنا عندما طرحنا إشكالية قديمة في ضو برهان جديد وتفكير جدي ، لذا نرجو أن ينظر إلى قضية العصبية في الاندلس في عهد دول الطوائف بحذر ينظر وألا تعتبر حقيقة مسبقا ، وبنظرة قبلية .

الهوامش

1) هناك نفارتان مختلفتان في الموضوع ، أنظر كتاب و فكر ابن خلدون الواقعى و لناصف ناصر :

Naszii Naszar, La pensée réaliste d'Ibn Khaldun, Paris, 1967, pp. 173 - 175.

وكتاب « فلسفة التاريخ عند ابن خلدون » لمعسن المعدي: Muhsin Mahdi, Ibn Khaldun's Philosophy of History. Chicago, 1964 pp. 193 - 204.

بينا ناقش ناصر العصبية في إطار السياسة والقوة عالجها المهدي في إطار الثقافات البتحضرة . ومن جهة أخرى و يجب التأكيد على الثقافات المتحضرة . ومن جهة أخرى و يجب التأكيد على أن مفهوم العصبية مأخوذ من حقاب « المقدمة » بدلا من حقاب « العبر » أو قاريخ ابن خلدون ، وثقد حاول ناصر دون نجاح أن يبرر الفرق الشاسع بين « المقدمة » و « حقاب العبر » . (ناصف ناصر و المصدر السابق و صفحات بين « المقدمة » و « حقاب العبر المناصر المتعددة التي حان لها تأثير في « المقدمة »

وذلك بلجوته الى سيرة ابن خلدون الذاتية ثم تحديد عناصر هامة في حياته مثل بيئته الاجتماعية وتكوينه وتجاربه وتعليمه وشيوخه والظواهر الاجتماعية الحارقة التي عايشها والانهيار الاجتماعي العام ثم أزمة الحضارة الاسلامية في عهده (محسن المهدى المصدر السابق اصفحات 8 ـ 34 و 128] .

- 2) ركز الجابري أساساً على دور الدولة في فلسفة ابن خلدون الثاريخية (أنظر محمد عابد الجابري ، « فكر ابن خلدون : العصبية والدولة ، معالم خلدونية في الثاريخ الاسلامي » ، الرباط ، 1979 ، صفحات 209 ـ 360) .
- 8) لقد انتقد الخطيبي نظرية ابن خلدون اللولبية (cyclic) للزمان بشدة عند ما وصفها بالعبارات التالية « . . . تلك الاسطورة » و « ، ، ، نبط منعط للتاريخ » :

Abdel kebir Khatibi, Hiérarchies pré-coloniales les théories—Bulletin Économigne et social du Maroc. numbers 120 - 121, (1971). p. 32).

وخلافاً للخطيبي لقد بنى أرئولد توينبي كتابه الشهير « دراسة في التاريخ » على النبوذج اللولبي للزمان فكان مدحه « للمقدمة » مطلقاً عند مدا وصف هذا العمل ك « . . . أعظم عمل من نوعه . . . »

... the greatest work of its kind ..)

أرتولد توينيي الا دراسة في التاريخ عاد (أرتولد توينيي الا دراسة في التاريخ عاد). Arnold Toynbee, A Study of History, vol. 3, London, 1935, p. 322).

4) لقد خصص المستشرق راينهارت دوزي مكانة بارزة لهذا الموضوع في القرن التاسع عشر في كتابه « تاريخ مسلمي إسبانيا » :

Reinhart P. A. Dory, Histoire des musulmanes despagne.

كما أخذ ليفي بروفنصال نفس الموضوع بعده في كتابه « تاريخ إسبانيا الاسلامية »:

E. Lévi - Provincal, Histoire de l'Esagne musulmane) vol, 3. Paris 1953, pp. 167 - 188.

وتناول بيير كيشار في أحدث دراسة انتربلوجية حول الاندلس الارا" السائدة للعصبية في الاندلس بطريقة جديدة ، ومع ذلك وفإنه ثم ينف وجود العصبية في الاندلس في عهد دول الطوائف إذ جا" في حد تعبيره :

« لا يمكن القول بأن الشعور بالانفراد ، بل بالمعارضة بين العرب وغير العرب حان قد انقرض في عهد الطوائف ،

("On ne peut pas dire que le sentiment d'une différence, et même d'une opposition, entre Arabes et non Asabes ait disparu à l'épagne des Taifas. "(Pierre Guichard, Structures sociales orientales et occidentales dans l'Espagne musulmane, Paris, 1977, pi 315).

وهناك تمحيص للادوار التي قامت بعا مختلف المجموعات الاثنية في الحياة السياسية والاجتماعية في عهد الطوائف. (نفس المصدر، صفحات 314 ـ 324).

قد اندهش عدد مث المعتمين بالدراسات الاندلسية أمام الوحدة الثقافية في الاندلس والتحامها ومن بينهم هينري بيريس الذي قال:

« إنها حقيقة مدهشة : في الاندلس هذه • المناصر الاثنية متنوعة ولحكن الثقافة واحدة » .

("Fait remarguable: dans cette Espagne musulmane.. Les eléménts. éthiniques, sont héterogénes, mais la culture est une") (Hecri Pérés,

Le éléments de l'Espagne musulmane et la langue arabe au Ve) x le siècle; in Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi - Provinçal. Vol. 2, Paris; 1962. p. 718).

6) طبقاً لبثال ناصر ، ترجم الخطيبي مفهوم العصبية الى الفرنسية عند العصبية الى الفرنسية عند (solidarité socio-agnatique)) (عبد الحكبير الخطيبي ، المعدر السابق ، ص . 92) . أما محسن المعدي فقد احتفى بنقل هذا المفعوم الى

الانجليزية بمبارة ((solidarily)) ثم قام بمناقشة مختلف التراجم التي خصصت لهذا المصطلح من طرف أبرز المتخصصين في ابن خلدون (عسن المهدي المصدر السابق ، ص . 196 ، هامش رقم 1) .

8) صلاح خالص، إشبيلية في القرت الخامس الهجري دراسة أدبية تاريخية لدولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الادبية فيها (414 ه - 141 ه .) ، يبروت ، 1966 ، صفحتا 89 ـ 40 . ومحمود سعيد ، • الشعر في ظل بنى عباد » . بغداد ، 1972 ، صفحات 50 ـ 52 .

حما يخرج القارى بانطباع وجود مجتمع إقطاعي في الاندلس من خلال دراسة هائلة للمجتمع الاندلسي في القرن الخامس العجري اعتماداً على الشعر أنظر هينري بيريس عد الشعر الاندلسي باللغة العربية القصحى في القرن الحادى عشر للميلاد عد عمر الميلاد عد المعادى عشر الميلاد عد المعادى عد المعادى عد المعادى عد المعادى المعادى عد المعادى المعاد

Henri Pérés la poesie andalouse en arabe classigne au XIe siecle: ses aspects généraux et sa valeus documentaire 2 nd ed Paris 1953

لقد ركز جبيع المؤلفين الذين ذكرنا أسباهم أعلاه على الثرا" والبذخ في أسلوب حياة الخاصة الا أن مقياسهم الوحيد في الحكم على الطبقة

المحفاوظة الاشبياية في عهد الطوائف بصفتها أرسطةراطية ينحصر في ثرواتها المقرطة وتناقض هذه الثروة مع فقر الجماهير، ومع ذلك يجب أن نؤكد أن المقاييس التي تنطبق على النظام الاقطاعي لم توجد في الاندئس لان الادلة والبراهين الناريخية الموجودة لا تشير الى وجود نظام إقطاعي فيه طبقة من النبلا الذين امتازوا عن غيرهم بوراثة مركزهم وبثروة مفرطة حصاوا عليها من خلال استغلالهم عرق غيرهم في مزارع ضغمة مقابل منحهم أدنى وسائل الميش والحماية، وعلاوة على ذلك وفإن وجود طبقة وسطى في إطار حضري الميش والحماية، وعلاوة على ذلك والنام عمير الى نبط إجتماعي مخالف في الاندئس خلال القرب الهجري الخامس يشير الى نبط إجتماعي مخالف النموذج الاوربي الذي انتشر في القرون الوسطى.

9) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي ، دالبيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب ، تحقيق إ . ايفي بروفنصال ، ج . 8 ، باريس ، 1980 ، صفحنا 216 ـ 216 .

10 عبد الله بن بلقين ، « كتاب التبيان » ، تحقيق إ. ليفي بروفنصال ، القاهرة ، 1956 ، ص . 77 .

11) [، ليفي بروفنصال ٠ « تاريخ إسيانيا الاسلامية α ؛

E. Lévi -Provençal Histoire de l'Espagne musulmane vol 3 Paris 1953 p.p. 196-197

وبالرغم من وجود مستوى محدود للحياة في الممالك المسيحية بشمالك إسبانيا وهيمنة اقتصاد فلاحي مبني على الاحتفاء الذاتي، رأت هذه الممالك نبو طبقة وسطى في مدنها . ومع ذلك ، فإن تعالف ملك لبون وقشتالة الذي ازدادت مكانته قوة مع الحنيسة الحاثوليكية حين فرضت مذهبها على حساب مذهب المعربين ، وضع حدا بطريقة تدريخيمة لتطور الطبقة الوسطى وذلك نتيجة القطع الارضية الشاسعة التي حصلت عليها الحنيسة بعيث عرقل ذلك نمو المدن ، وظهرت نتيجة هذا الصراع في إسبانيا المسيحية في القرن الهجري الخامس ، ولدراسة أصول الطبقة الوسطى في إسبانيا المسيحية أنظر حستاب وأصول البرجوازية في إسبانيا الوسطى ، لغارثيا دي فالديانيا :

Garcia de Valdeavellano, Origines de la burguesia en la Espana medieval, Madrid, 1969.

12) هناك دراسة حديثة حبول الشعر الاشبيلي في إطاره الاجتباعي (كمد ماجد السعيد ، المصدر السابق) ، ومن جعسة أخرى ، شكلت الوحدة في شعر المعتبد بن عباد موضوع أطروحة لنيل الدكتوراه وبرزت هذه الدراسة كعمل مركز وأصيل « الشكل والتركيب في شعر المعتبد بن عباد » لرايموند شايندلين :

Raymond Scheindlin, Form and Struveture in the Poetry of al-Muctamid Ibn - (Abbad, Leiden, 1974).

كما قام الدكتور رضى السويسي بدراسة المواضيع الواردة في شعر البعتبد:

Ridha Souissi, Al Muctamid Ibn Abbad et son oeuvrs poetigue, étude des thêmes, Tunis, 1977.

18) عبد الله بن بلقين ، « كتاب التبيان » ، المصدر السابق ، صفحات . 191 ، 177 ، 176

14) تعكس درجة تعريب الخاصة مثلا في روعة الشعر المعاصر إلا أن هذا الامر لا يلغي احتمال استعمال الخات أو لعجات أخرى في الاندلس وخصوصاً عند اعتبار ضالة المصادر التي وصلتنا حول الدارجات المستعملة في الاندلس إذ يصعب علينا حالياً الوصول إلى استنتاجات نعائية في الموضوع .

15) أسس بنو زيري دولتهم في غرناطة واستمر حكمهم طوال عهد الطوائف حتى استسلم عبد الله بن بلقين للمرابطين سنة 443 ه. ـ 1090 م . حتاب التبيان » المصدر السابق ، صفحات 151 ـ 154 .

16) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، « الذخيرة في عماسن أهل الجزيرة » ، القسم الثالث ، ج 1 ، تحقيق د . إحسان عباس ، ليبيا ـ تونس ، ص 136 ـ 143 .

17) أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، « الذخيرة في كاسن أهل الجزيرة » ، القسم الاول ، ج 1 ، تحقيق د . إحسان عباس ، ليبيا _ تونس ، ص 481 .

وابن عذاري ، « البيان المغرب » ، ج 3 ، المصدر السابق ، صفحات 124 ـ 125 ـ 135 ـ 126 .

- 18) عبد الله بن بلقين · كتاب التبيان · · المصدر السابق · ص 32 . 19) نفس المصدر .
- 20) هناك أوصاف مختلفة لهذه المجموعة من الوزرا في عدة مصادر منعا: ابن عذاري و البيان المغرب و و المصدر السابق و من 15 و أبو عمد و الذخيرة و القسم الثاني و 1 المصدر السابق و من 15 وأبو عمد عبد الواحد المراحشي و المعجب في تلخيص أخبار المغرب و تحقيق عمد العربي العلمي و القاهرة 1949 و من 37 .

وأبو عبد الله عمد بن عبد الله بن الابار ، « الحلة السيرا" » ، ج 1 ، تحقيق حسين مؤنس ، القاعرة 1963 ، ص 37 .

- 21) « الذخيرة » القسم الثاني ع 1 المصدر السابق ، ص 16 . وأبو زيد عبد الرحن بن محمد بن خلدون ، « كتاب العبر . . ، ع 4 ، القاهرة 1284 ه ، ص 156 .
 - . 22) نفس المصدر
- 28) ابن عداري ع 3 المصدر السابق ص 195. والمراحكشي المعجب ه المصدر السابق ص 51. وأبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين المخطيب « أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما ينجر لذلك من شجون الحكلام ه تحقيق إ . ليغي بروفنصال الرباط 1984 ص 178 و و المصدر السابق ع ص 386 .

24) ومن جعة أخرى و كانت كل من مبلكة ايون وقشتالة تحت حكم الفونسو السادس والمغرب تحت حكم يوسف بن تباشفين أرقى من مجموعة دول الطوائف عسكريا وقد أبرز (الوري (Elouria) أهمية البعد العسكري في إسبانيا المسيحية في مقالة تحمل عنوات و مجتمع منظم للحرب: إسبانيا في القرون الوسطى »:

E. Lourie, A Society Organised For War: Spain in the Middle Ages, Past and Present, no 5. (1966) pp. 54-79.

وذهب د . أنجوس ماكاي في نفس الاتجاه في كتابه : « (سبانيا في القرون الوسطى ، من منطقة حدود إلى (مبراطورية ، 1000 ـ 1000 ء : Angus Mackay, Spain in the Middle Ages, From Frontier to Empire: 1000 — 1500

London and Basingstoke 1977 pp: 15 - 35.

26) ومع ذلك هناك عوامل أخرى إضافة إلى المستوى الاقتصادي والثقاني المنتطور دفعت يوسف بن تاشفين إلى احتلال دول الطوائف ومن أهمها المامل الاديواوجي، ومن جهة أخرى، يصعب تحديد الدافع الحقيقي لاتضافه قرار احتلال دول الطوائف لانه كان قليل الكلام، فعلى سبيل المثال، انظر جوابه المغتصر لرسالة الفوفسو السادس تحداه فيها لمواجهة عسكرية قبل معركة الزلاقة سنة 478 ه. _ 3000 م. (مؤلف عجدول، ه الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق إ. س ، علوش الرباط 1986، صفحتا 29 _ 30 وشهاب الدين محبود بن سليمان الحلبي، « كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، القاهرة 1298 ه. ص 4) .

26) يصف الامير عبد الله بن بلقين رفض الاندلسيين للمشاركة في المشؤون السياسية وترددهم للانضمام الى الجيش و وحمثال لذلك و يذكر المعاهدة بين المنصور بن أبي عامر والفلاحين الاندلسيين يحيث أعفاهم المنصور من الخدمة العسكرية مقابل ضرائب سنوية ساهمت في مساندة الجيش (عبد الله بن بلقين و حتاب التبيان و المصدر السابق و ص 17) ،

- 27) الذخيرة . . . ٥ القسم الاول ، ج 2 ص . 602 .
- 28) نظم يوسف بن النفرالة مخططاً للاستيلا" على غرناطة إلا أنه فشل في تنفيذه الامر الذي أدى الى ثورة العامة ومجزرة ذهب اليهود في غرناطة ضحية أها، وذلك في يوم 10 من شعر صفر 459 ه. .. 1069 م. (عبد الله بن بلتين ، « كتاب التبيان » ، المصدر السابق ، صفحتا 54 .. 55) .
- 29) وكانت النتيجة أن عبد الله بن سلامة الذي شغل منصب صاحب المدينة عند وقوع هذه الحادثة في 18 من شهر ذي الحجة 462 ه . _ 1072 م . المدينة عند وقوع هذه الحادثة في عباد الذي كان يوجد في قرطبة فكلف هذا بالمبيلية السنجد بالمعتضد بن عباد الذي كان يوجد في قرطبة فكلف هذا الاخير وفدا هاماً بحل هذا النزاع ووضع نهاية للاضطرابات الاجتماعية الناتجة عنه (ه الذخيرة . . . ، القسم الاول ع . 1 المصدر السابق و ص . 418) .
- 30) مثلا ، وجهت اتهامات ضد المعتمد بن عباد بشأن فرضه ضرائب غير شرعية على رعبته وتعامله مع الملك المسيحي الفونسو السادس مما دفيع العلما متحريض يوسف بن تاشفين وأمره باحتلال إشبياية (عبد الله بن بلقين ، و كتاب التبيان * ، المصدر السابق ، صفحتا 169 ـ 170) .
- 31) كانت ثورة ليوسنة في دولة غرناطة الطائفية في عمقها عبارة عن احتجاج على الضرائب الثقيلة التي فرضها عبد الله بن بلقين على سحكانها وبمجرد انتباه عبد الله الى الاسباب العميقة لعده الثورة وفضل مفاوضة زعمائها بحيث وافق على تحديد قيمة الضرائب (نفس المصدر وص . 131).
- 92) إن مصطلع الصقالبة يمنى المبيد البيض الذين عملوا في بلاطات حكام بني أمية بحيث تمنعوا بنفوذ سياسي كبير. وحصم الصقالبة في عهد دول الطوائف بعض الدول الطائفية في شرق الاندلس مثل المرية ودانية. وهناك دراسة حول هذه المجموعة للدكتور العبادي (أحمد مختار العبادي وهناك دراسة في إسبانيا > مدريد ، 1963).

- 38) تطرق الأمير عبد الله بن بلقين لاستبداد يوسف بن النغرالة بالحكم في عهد باديس بن زيري ولاغتياله بلقين بن باديس (وهو والد عبد الله) نظراً للمدا الذي أظهر بلقين نحو ابن النفرائة (عبد الله بن بلقين ، « كتاب التبيان » ، المصدر السابق ، ص ، 40) .
- 34) يتناقض الشتم الذي لجأ اليه عبد الله كلما ذكر يوسف بن النغرالة (مثلا يصفه بالخنزير، نفس المصدر، ص. 50) مع إعجابه بأبي إبراهيم إسماعيل بن النغرالة والد يوسف (نفس المصدر، صفحتا 81 ـ 32).
 - 35) نفس المصدر ، ص ، 131 ،
- 36) ابن عذاري المراكشي ، ه البيان المغرب . . . ، ، ، ج . 8 ، المصدر السابق ، ص . 312 . وعبد الله بن بلقين ، ه كتاب التبيان ، ، المصدر السابق ، صفحات 90 _ 95 .
- 97) ه الذخيرة * القسم الاول ع . 2 المصدر السابق ع ص . 610 . والقسم الثاني ع ج . 1 ع ص . 269 . وابن الخطيب ه أعمال الاعلام > المصدر السابق ع صفحتا 178 ـ 174 .
- 38) هناك احالات لاحتلال الفونسو السادس تطليطلة سنة 478 ه . 1086 م. في عدد كبير من المصادر (أنظر مثلا ألغونسو الماشر وسائشو الرابع والماريخ هام لاسبانها »:

Alionso X and Sancho IV, Primera cronica general de España, ed, by Ramon Menéndez Pidal, vol. 2, Madrid, 1955, pp. 530 - 31 . 169 - 163 . ص نقط الماه على المنظم الرابع على المنظم الرابع على المنظم المنطق المنظم المنظم

- 1988 _ 1972 ، صفحت 27 _ 28 . وأبو الحسن على بن معمد بن الاثهـر ، الكامل في التاريخ ، ، ع ، ق ، بيروت ، 1967 ، ص ، 138) .
- 99) عبد الله بن بلقين " « كتاب التبيان » " المصدر السايق " صفحتا . 176 _ 176
- 40) ه الذخيرة » القسم الرابع ، ج ، 2 ، المصدر السابق ، ص ، 94 . وابن عداري ، ه البيان المغرب » ، ج ، 3 ، المصدر السابق ، صفحتا 138 ـ 134 . والمراكشي ، ه المعجب » ، المصدر السابق ، ص ، 31 . ومؤلف مجهول ، ه الحلل الموشية » ، المصدر السابق ، ص ، 36 .
- 41) عبد الله بن بلقين « كتاب التبيان » النصدر السابق ص 43 . 42) نفس النصدر صفحتا 112 ـ 113 و « تاريخ رودريكي » لمؤلف عبدول الاسم :
- Anonymous, Historia Roderici, ed, by Ramón Menéndez Pidal in La España del Cid, vol. 2, Madrid, 1929, pp. 930-31.
- 48) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي « صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ع المصور عن طبعة العامرية) القاعرة 1963 ص 185 .
 - 44) نفس البصدر ،
- 45) أبو العباس أحمد بن عمد المقري « نقح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الحطيب » ج 1 تحقيق محمد عي الدين عبد الجميد القاهرة 1949 ص 210.
 - . 186 من المصدر ص 186 .
 - . 185 منس المصدر ص 185 .
 - 48) نفس المصدر صفحتا 186 ـ 187 .
 - 49) نفس البصدر ص 187 ،
 - 50) نفس المصدر صفحتا 187 ـ 188 .
 - 51) تغس البصدر ص 188 .

- 52) يتحفنا ابن بشكوال في « كتاب الصلة » بسيرة مثات الاشخاص من الطبقة المثقفة الحضرية الاندلسية من مختلف المدن في ععد الطوائف ، فعلى سبيل المثال ، ذكر أكثر من سبعين فقيعاً من إشبيلية .
- 53) القاضي عياض بن موسى السبتي ، « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » ج 1 تحقيق عمد بن تاويت الطنجي الرباط 1965 ص 27 .
- ٤٤) ما تزال دراسة ميكيل اسين بلاثيوس حول ابن حرم التي تركز على فكره السياسي ومذهبه الشرعي أهم دراسة من نوعها (ميكيل اسين بلاثيوس ه ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي لللافكار الدينية »):

Miguel Asia Palacios, Abenhàzam de Cordoba y su Historia critica de la ideas religiosas, vol 1. Madrid, 1927)

55) انظر في موضوع الدور السياسي للفقهـ أ في الاندلس إلى نهـ اية خلافة قرطبة « دور الفقها في الانداس إلى نعاية الحلافة » :

Hussain Mones, Les hommes de religios dans l'Espagne musulmane jusqu'à la fix du Califat, Studia Islamica. vol. XX (1946), pp 47 - 88.

ونلاحظ أن حسين مؤنس بالغ في عاولته لاثبات فضل المذهب الشافعي على الاندلس واحتمال تأثيره في المذهب المالكي بالاندلس عما أن هناك دراسة هائلة حول دخول المذهب المالكي ورسوخه في الاندلس والمغرب للدكتور محمد العروسي عبد القادر تحمل عنوان :

Muhammad al-Aroosi Abdul - Qadir, The Reception and Development of Malikite Legal Doctrine in the Western Islamic World, unpublished Ph. D. thesis, Edinburjh, 1973.

57) • الذخيرة • القسم الثاني ع 1 المصدر السابق ص 96 . وقد المنال ، أحرقت كتب ابن حرم علائية بإشبيلية

(* الذخيرة * القسم الاول ج 1 المصدر السابق ص 169 ـ 171) كا عبر عن غضبه إثر ذلك الحادث في أبيات شعرية (نفس المصدر ص 171) .

59) مشلا ، اشتكى هبد الله بن بلقين حاجم غرناطة من الفقيه ابن سعل ، ومن آخرين عندما شوه هذا الأخير صورته أمام يوسف بن تاشفين ورسم صورة سودا اللطريقة التي مارس بها عبد الله حكمه وللاوضاع في غرناطة عامة (عبد الله بن بلقين «كناب التبيان» المحدر السابق صفحنا 169 ـ 170).

60) • واستطاع البربر بزعامة بني حمود ، أن يسيطروا زها ثلث قرن ، على المثلث الجنوبي في شبه الجزيرة الاسبانية ، وأن يقيموا لعم ملكاً وخلانة... وأسغر النضال بين هذه القوى الخصيمة ، بعد فوز البربر برئاسة المناطق التي سبق ذكرها ، عن فوز الاسر العربية بمعظم القواعد الكبرى ، مثل قرطية وأشبيلية وسرقسطة وبلنسية والمرية ، واستطاع الفتيان العامريون أن يبسطوا سلطانعم على معظم المناطق الشرقية وعلى المرية لفترة قصيرة ، (60) .

(محمد عبد الله عنان ، « دول الطوائف » الطبعة الثانية القاهرة 1969 ص 14) إلا أن بعض المؤرخين العرب انتقدوا المنعج العرقي لدراسة دول الطوائف منهم حسين مؤنس الذي قال : « هل يمحكن تصنيف الممالك حسب انتمائهم الاثني : طوائف عربية وطوائف بربرية وطوائف صقلبية ؟... لا يمكن اعتبار أي منعج من المناهج التي اتخذت إلى يومنا مقبولا أو ملائما... » ؛

«Se pueder clasificar los reyezuelos según su filiación étnica i Taifas árabes, Taifas beréberes y Taifas eslavos?... Ninguno de los métodos seguidos hasta ahora es ceptable ni

resulta adecuado » (Hussayn Monés, Sobre la época de los Reyes de Taifas, Al-Andalus, vol. XXXI (1969) p. 320 '.

61) لقد عمل سيسنندو دافديث في البداية في بالأط المعتضد بن عباد ثم التحق فيما بعد بيلاط فرناندو الأول ثم الفونسو السادس ، حول سيسنندو انظر • الكوت المستعرب سيسنندو دافيث وسياسة الفونسو السادس مع الطوائف»

الغرسيا غومز ومنتديث بيدال:

Ramón Menéndez Pidal and E Garcia Gómez, El conde mozárabe Sisnando Davidiz y la política de Alfonso VI con los Tailas, Al-Andalus, vol. XII, (1947), pp. 27-41.

62) وصف بونس بويكيس ابن حيان كالتائي :

« بتصويت أغلبية المعتمين بدراسة التأريخ العربي - الاسباني ، يحتل هذا الكاتب الغزير الانتاج مئزلة مفضلة بين مؤرخينا المسلمين » :

"Por voto unanime de los que se han occupado en el estudio de la historia grafia arabigo - española, ete Fecundo escritor . . . occupa el puesto de preferencia entre nuestros historiadores musulmanes » (Francisco Pens Boigues, Los historiadores y geóg.aíos arábigo - españolas, repr. Amsterdam, 1972, p. 158).

وحتى نؤكد هذه القضية نشير إلى اقتباسات أبدر المؤرخين الاوربيين في الدراسات الاندلسية منها ما يلي: * ابن حيان المؤرخ الحكم للاندلس ":

« Abenhayán el juicioso historiador de la España musulmana » (Miguej Asir y Palacios, Abenházam de Cordoba y su historia

crifica de la ideas religiosas vol. 1. Mardrid. 1927 p. 208).

و « يظهر المؤلف - ابن حيان - روحا متطورة وصدراً رحبا وحرية ورشداً حتى اننى أذهب إلى القول إنها تقريباً مأخوذة من الروح العلمية الاوربية > :

« L'auteur (Ibn Hayyan) montre un esprit dévoloppé et étendu. libre et male, je dirai presqu'il est empruné de l'espéer » (R. P. A. Dozy Bayano, l Mogreb, p. 73, cited by Claudio Sanchez-Albornoz En torno al l'eudalismo, op cit. p 257)

63) كلاوديو سائشيس اليورنوث: « حول أصول الاقطاع » :

Claudio Sanchez - Albonoz En torno a los origines del Fendalismo, opicit, p.p. 260 — 61.

- المتين عنى ستين الله فكر كارل بروكلمان أن نسخة من كتاب « المتين عنى ستين عنى ستين عند : عند موجودة في مكتبة تونس ولكنعا ضاعت ولم يعثر عليها بعد : (Carl Brockelman, Geschichte Der Arabicher Litteratur. G 1 p. 338)
- 65) نجد ذكر كتاب « المتين » ونقل اقتباسات منه في عدد من الكتب ومنها الكتب التالية : « الدخيرة » و « الحلة السيرا" » و « المغرب في تلخيص أخبار المغرب » و « أعمال الاعلام » و « المغرب في حلى المغرب » و « نقح الطيب في غصن الاندلس الرطيب … » وإن هذه المناوين التي اخترناها تمكس التأثير العميق لكتاب « المتين » على مؤلفين في عالات مختلفة عبر مدة تفوق خسة قرون .
 - 66) الذخيرة ، القسم الأول ع 2 المصدر السابق ص 87 .
 - 67) نفس البصدر .
- 68) افتتح ابن حيان مقدمته بأسلوب يطغى عليه الشعور بالتقوى والتدين بحيث عبر عن علاقة الانسان بربه وما إلى ذلك .
 - (نفس البصدر ص 85 _ 88) .
 - 69) نفس البصدر ص 87 .
 - 70) نفس البصدر ص 90 .
 - 71) د الذخيرة ٥ القسم الثاني ج 1 نفس المصدر ص 25 .
- 72) « الذخيرة » القسم الثالث ع 1 المصدر السابق ص 136 _ 143 .
 - 73) * الذخيرة ، القسم الثاني ج 1 المصدر السابق ص 24 .
 - 74) نفس المصدر ص 25.
 - 75) * الذخيرة ، القسم الأول ج 2 المصدر السابق ص 578 .
- ابن حيان ، راجع مثلا مقالة « ابن حيان القرطبي وتاريخه للانداس » ؛ المتخصصين في المن حيان ، راجع مثلا مقالة « ابن حيان القرطبي وتاريخه للانداس » ؛ Melchor Aniuña Ibn Hayyan de Cordoba y su historia de la España musulmana, Cuadernos de Historia de España, vol IV (1945) pp. 5-71

77) « الذخيرة » القسم الأول ج 2 المصدر السابق ص 576 .

78) أبو العباس أحمد بن عداري المراحشي ، « البيان المغرب في أخيار ملوك الانداس والمغرب » ، ج 3 تحقيق (، ايفي بروفنصال باريس 1930 ص 59 ـ 62 ـ 62

- . 80 ص المصدر ص 80 .
- 80) تفس البصدر ص 112 ،
- 81) * الذخيرة * القسم الأول ج 1 ص 481 _ 482 .

82) أشار إفرست ليفي بروفنصال محقق « كشاب التبيان » إلى أهبية مذكرات عبد الله بن بلقين بالعبارات الثالية : « يتعلق الأمر في الوقت ذاته بوثيقة سيكولوجية من الدرجة الاولى بحيث تمكننا أكثر من غيرها من التواريخ المتأخرة وأن نحكم على حالة التفكك الاجتماعي والسياسي لاسبانها الاسلامية تبل معركة الزلاقة وعلى التطور الذي حققه خلال تلك الفترة ابطال حركة الاسترجاع المسيعى. وتعتبر رواية الاحداث التي سبقت حجم الامير عبد الله نفسه جديدة للفاية وكثيرة الاهمية . ويجب اعتبار مذكرات عبد الله اميار غرناطة منذ الغترة التي ينتهي فيها تاريخ ابن حيان صلة وصل عبر التاريخ المرتبك لملوك الطوائف ... » : « C'est en même temps un decument psychologique de premier ordre, qui permet beaugoup mieux que les chroniques postérieures, de juger de l'état de décomposition sociale et politique de l'Espagna musulmane avant la bataille d'al-Zallaga et des progés accompits à cette épaque par les champions de la Reconguête chretienne, La récit, des évenements antérieurs au propte règne de l'émier Abd Allah est également fort nouveau et fort important, les Mémoires du prince de Grenade doivent être considerées à partir de l'épogne ou ou prand fin la chronique d'Ibn Hayyan, comme un filconducteur á travers l'histoire confure

(* كتاب التبيان * الصدر السابق ص 5) :

des Tawaif. (Abd-Aliah b. Buluggin, Kitab at - tibyan, op eit p.5

- 83) نفس المصدر ص 69 _ 78 _ 95 _ 100 _ 138 _ 198 .
 - . 106 _ 104 _ 77 _ 76 ص 76 _ 104 _ 104 .
- 85) وكان عبد الله واعياً بخطورة السلطة التي يتشع بها الفونسو السادس وباستغلاله الحلافات بين ملوك الطوائف اصالحه .
 - (نفس المصدر ص 69)،
- 86) اصبحت الخلافات بين ملوك الطوائف واضحة وضوحاً تاماً عندما استمرت بعد انتصارهم على الفونسو السادس في معركة الزلاقة بالرغم من المحاولات التي قام بعا يوسف بن تاشنين بعدف توحيد صفوفهم . (نفس المصدر ص 106 ـ 107) .
- 87) ولا نستغرب في خون عبد الله كان يعبر عن شكوكه ودوانمه الخ . . . على المستوى الشخصي في كتابه اعتباراً لكونه كان يشكل مذكراته .
- 88) نجد التباسات مباشرة توضع نوايا القونسو السادس في إطار تطرق عبد الله المفاوضة المباشرة مع الفونسو، (نفس المصدر ، ص ، 72 ـ 73) .
- 89) مثلاً نقل الما اقتباساً مباشراً نسبه الى سسناندو دافيديث الذي أخبره بنوايا الفونسو لاحتلال الاندلس " وحكنا تحن تعلم هذا من مذهبه على ما كان يغير به وزراؤه ولقد قال ذلك ششلاند في حال هذه السفرة وشافعنا بذلك وقال : إنما كانت الاندلس للروم في أول الامر عتى غليهم العرب وألحقوهم بأنحس البقاع : جليقية ؛ فهم الآن عند التمكن والمعين بأخذ ظلاماتهم ا فلا يصح ذلك إلا بضعف الحال والمطاولة وحتى إذا لم يبقى مال ولا رجال وأخذناها بلا تحلف ا " (نفس المصدر و ص . 73) .
 - 90) نفس المصدر ، ص ، 196 _ 188 .
 - . 86) نفس المصدر اص . 86 .

- 92) « ومثى كان الممتمد يسمى في تعدين الأمر ، ونروم معه الصلح ، أو تنشأ معادنة ، لا ينام (ابن عمار) في نقضها وإشعال نار الفتنة » . (نفس المصدر : ص . 72) .
 - 93) نفس المصدر ، ص . 82) .
- 94) ابن عذاري « البيان المغرب » · ج . 3 · المصدر السابق · ص . 199 . وعبد الله بن بلتين · د كتاب التبيان » المصدر السابق · ص . 90 _ 95 .
- 95) « الذخيرة » ، القسم الأول ، ج ، 2 ، المصدر السابق ، ص ، 610 . وابن الخطيب ، « أعمال الاعلام » ، المصدر السابق ، ص ، 106 ـ 107 .
- 96) مبد الله بن بلقين ، « كتاب التبيان x ، المصدر السابق ، ص . 106 ـ 107 .

الفصل الثاني

الاتجاهات الاقتصادية في الاندلس خلال فترة دول الطوائف

إن المعرفة المتوفرة لدينا عن العوامل الاقتصادية ، والتحولات ، والاضطرابات التبي أثرت في تاريخ الاندلس أثنا القرن الخامس للهجرة عدودة ، ومثل هذا يصح أن يقال أيضاً بالنسبة لتاريخ الاندلس بوجه عام ، ومن المسلم به أن العوامل الاقتصادية لعبت دوراً أساسياً في تطور تاريخ الاندلس خلال فترة الطوائف ؛ غير أن الدراسات المتمحورة حول المعطيات الاقتصادية والمالية ومساهمتها في الوضع

العام نادرة. إلا أن أهم الاتجاهات الاقتصادية لتلك الغترة تتضح لنا أكثر كلما ازداد فهمنا للتاريخ السياسي وأكتمل مفهومنا عن المجتمع الاندلسي في ذلك العصر خاصة من خلال الدراسات التاريخية والادبية المتأخرة. ونلاحظ أن المؤرخين الاسبان قد أولوا اهتماماً ملحوظاً للتاريخ الاقتصادي للاندلس حديثاً. ونشير إلى أن هذا الفصل سيحاول أن يبرز الانجاهات الاقتصادية الاساسية التي ظهرت في القرن الحامس للهجرة وذلك على ضو الخطوط العامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو الخطوط العامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو الخطوط العامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو الخطوط العامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو الخطوط العامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو المحمدة وذلك على ضو المعامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهجرة وذلك على ضو المعامة المهم المهامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهرة وذلك على ضو المهامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهامة التي رسمها هؤلا المهامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهامة التي رسمها هؤلا المهامة التي رسمها هؤلا المهامة التي رسمها هؤلا المؤرخون المهامة التي رسمها هؤلا المهامة التي المهامة المهامة التي المهامة المهامة التي المهامة التي المهامة التي المهامة التي المهامة المهامة التي المهامة التي المهامة المهام

كثير من مؤرخي القرون الوسطى أغفلوا الواقع العام للعوامل الاقتصادية وتأثير هذا الواقع في تطور التاريخ الاندلسي خلال عصر دول الطوائف وذلك لعدة أسباب يمحكن تحديدها، لذلك فالمؤرخ الذي يحاول أن يحلل الجوانب الاقتصادية لثلك الفترة لابد وأن تعترضه عدة صعوبات، أهمها ندرة المصادر على الرغم من أنها إذا قيست بمصادرنا عن فترة بني أمية كانت أوفر عدداً. ولا يمكن الحصول على المعلومات حول المعطيات الاقتصادية إلا بشكل فير مباشر. إن نقص المعلومات في المصادر التاريخية الاولية إنما هو ناتج أساساً عن شكل المعالجة التي تبناها مؤرخو العصر الوسيط، سيما وأنهم قد أهملوا البعد الاقتصادي لاعتبارهم أنه لا صلة له بالموضوع، مركزين اهتمامهم في مقابل ذلك على الجوانب السياسية والدينية للحياة الاجتماعية.

إلا أنه لا يصح لنا اعتبار مؤرخي العصر الوسيط مسؤولين كلية عن جعلنا النسبي في هذا الشأن ، ذلك أن المختصين الغربيين في

الدراسات الاسبانية كانوا غالباً عاجزين عن تخطي صعوبة مهمة هي تناولهم المباشر للمصادر الاولية . ويعود ذلك إلى معرفتهم المعدودة للغة العربية أو جعلهم لها ، وبعكس ذلك فالمؤرخون العرب الذين كان في متداولهم الوصول إلى المصادر الامصات ام يظهروا قدرة حبرى على الافادة من تلك المصادر في كتاباتهم. أضف إلى ذلك أن مؤرخي العصر الوسيط المحدثين ينقصهم التحكوين في المجال الاقتصادى وذلك ما يجعلهم يغفلون أهمية هذا البعد في البحث. ونجد في ذات الوقت أن الاقتصاديين وقد تسلحوا بشكل أفضل لدراسة التطورات الاقتصادية المعاصرة يتجعون إلى دراسة النطورات الحديثة لأنها أمتع من دراسة تلك النطورات التي حدثت في القرون الماضية . ونحن نولي الاهتمام - عادة - للتطورات والمشاكل الاقتصادية المعاصرة أحكثر من نوليه للتطورات الاقتصادية التي حدثت في الماضي ، وذلك لأنها تمس بشكل مباشر حياتنا وذلك ينتفي بالنسبة للماضي. ونستطيع نظريا أن نباشر دراسة العمليات الاقتصادية للعصر الوسيط بصفة أحثر موضوعية لاننا نمتاز بخصيصة التفات إلى الخلف: (Hind Sight) فالاحكام المسبقة وأحكام القيمة. والافكار الجاهزة التي تطبع حتما كل تناول للاحداث المعاصرة، لا تنطبق هنا على المسارات الاقتصادية الماضية . وحين يتعلق الامر في النهاية بالماضي فإن المتخصص في التاريخ الاجتماعي يمتاز بالقدرة على دراسة الاتجاهات الاقتصادية في شحكلها الاعم ، أنى حين تصل إلى مرحلتها النهائية أو على الاقل مرحلة يسهل تصورها بصفة شمولية .

وبما أن الانجاهات الاقتصادية قد كونت بعداً بالغ الاهمية في مجال التطورات التاريخية العامة خلال حقبة دول الطوائف فإنه يجب دراستها بصغتها عنصرا مكملا للابعاد الاجتماعية والسياسية لا ينبغى الاستغنا" عنه . فكل هذه الابعاد تحدد العوامل الاقتصادية تطوره الداخلي الخاص بكل دولة _ طائفية كما أنعا تحدد العلاقات بين الاندلس _ باعتبارها كيانا _ وإسبانيا المسيحية من جعة ، والمغرب الكبير من جهة أخرى . كانت دول الطوائف دولا هشة ومنقسمة داخليا لافتقادها قاعدة تضمن لها تكوين كيان سياسي صلب له وجود اجتماعي مستقل، وبذلك كانت معرضة للهجوم سيما وأنها كانت غالباً ما تتبادل العدا". وإنها برغم استقلالها الذاتي سياسياً فقد كان وجودها السياسي معدداً باستمرار سوا على الصعيد الحلي أو الخارجي، وكان تكوينها ذاته ضعيفاً ، إذ تعوزها الشروط الاساسية لدولة ذات سيادة دون أن تكون مرتبطة بسلطة مركزية بصفتها مناطق شبه مستقلة أو مرتبطة في شكل اتحادات. يعتبر سكان دول الطوائف - اجتماعياً - جزاً من المجتمع الاندلسي مرتبطين به بموجب الإرث اللغوى والثقافي المشترك وبفعل تكوين بنيوى مشترك أيضاً ، بالاضافة إلى ذلك وبغض النظر عن الحدود الترابية التي تفصل مختلف دول الطوائف، فقد كان يوحدها شعور بهوية جماعية واحدة فأعضا بالاط بني عباد في إشبيلية مثلا وهيشة الفقها" الذين كانبوا يقيمون بعذه المدينة طيلبة تلك الفترة ، كل ذلك يعكس، عند التفحيص، التنوع الكبير لاصول الشخصيات المرموقة

التي كانت تقيم بالمدينة والتي وفدت من مناطق مختلفة من الاندلس. وكذلك الامر بالنسبة لباقي دول الطوائف. وقد كانت العجرات داخل الاندلس ظاهرة عامة ، وانتشار الحركية الاجتماعية العمودية ذاتها جد واسع في عهد ملوك الطوائف. وإذا كانت التناقضات العديدة التي تتجاذب قلك الدول قد أعطت الحجال لظهور وضعية عامة من عدم الاستقرار ، فإن ذلك لم يؤثر كثيراً على الاندماج الاجتماعي، غير أن ذلك اللا استقرار العام ساهم يطريقة لها دلالتها في الاسراع في الانحطاط الاقتصادي .

وتتجلى الاتجاهات السياسية والاجتماعية العامة (1) بوضوح في السباق الشامل للعلاقات بين دول الطوائف والدول المسحية في الشمال الايبيري. لقد كان المجتمع المسيحي قرويا في حين أن المجتمع الاندلسي كان - حضريا - إلى حد بعيد، ويبدو التعارض بين المجتمعين أوضح فيما يتعلق بالثروات ومستويات العيش إذ كان المجتمع الاندلسي يعد من أكثر المجتمعات تمدنا ورفاهية في العالم الاسلامي. غير أن التعارض في الحال العسكري كان لصالح المسيحيين إذ كانوا أفضل تجهيزا واستعدادا للمعازك بفعل وحدة قوية تحققت على الخصوص، حول عرش ليون وقشتالة في حين أن القدرة العسكرية لمدى دول الطو ثف، وقد كانت محدودة إذ ذاك، قد العسكرية المدى دول الطو ثف، وقد كانت محدودة إذ ذاك، قد المياسة ابتزاز الجزية التي كانت تمارسها الدول المسيحية على دول الطوائف طيلة الجرء الاكبر من ذلك القرن كل قبوة تلك الدول

على الصعيد المالي (2).

وكانت النتائج السياسية والاقتصادية أخطر من ذلك إذ أدت بدول الطوائف إلى تفككها تمهيدا الغزوها، إلا أنه إن كانت الجوانب الاقتصادية لهذه السياسة أوضح فإن للجوانب السياسية والعسكرية أهمية قصوى أيضاً. فنتيجة للقوة العسكرية المتصاعدة لألفونسو السادس وللسيد رودريكو دياث (Rodrigo V. Díaz) وكونث برشلونة برنكر الثاني (Beangeur) تمكنوا من الضغط على دول الطوائف لترضخ فتدفع جزية تتزايد شروطها قساوة وكذلك نتيجة للمناورات السياسية الذكية التي قامت بها الدول المسيحية وسلسلة المساومات التي كان ملوك الطوائف يستسلمون لها فيقبلون شروطاً غير معقولة بتاتا.

إلى جانب ذلك كانت سياسة فرض الجزية مبرمجة بدقة ومنفذة وذلك بقصد الوصول إلى أهداف قصيرة المدى هي الحصول على أقصى ما يمكن من النقود من دول الطوائف بشكل انفرادي بدل أن يكون جماعياً، وإما بغرض الوصول إلى أهداف بعيدة المدى تتمثل في إضعافها إلى درجة يصبح معها غزوها ضرورة مفروضة.

ولم يستطع الفونسو السادس أن يغزو دول الطوائف بسبب التدخل الخارجي الذي قام به يوسف بن تاشفين (موقعة الزلاقة سنة 479 ه. _ 1086 م. وغزو الاندلس الذي تلاها) . غير أن ميزان القوى مال في تلك الاثنا الصالح إسبانيا المسيحية انطلاقاً من يوم احتلال طليطلة سنة 478 ه. _ 1085 م. بحيث انطلقت منها الحرب البعيدة المدى لاستعادة الانداس .

وفي ختام هذه المقدمة يجدر بنا أن نشير إلى تحديد غاية هذه الدراسة. وهي تتمثل في مناقشتنا العوامل الاقتصادية وتحليلها غير أننا لا نئوي اعتماد منهج ، نقدي ، أو ، ماني ، يفسر مصير دول الطوائف . من الصعب تقنيا أن نقوم ثقل العوامل النقدية بالنسبة لثقل العوامل غير النقدية . فتناول مثل هذا يفترض أنه باستطاعتنا تحديد عملة المحاسبة التي تقدمها دولة طائفية ما حتى نستطيع حساب مجموع انخفاض القيمة ، ومبدئيا كان يمكن أن نفعل ذلك لو أن عملة المحاسبة لم توجد بصفتها عملة جارية ، وذلك باستخدام المعطيات المتعلقة بوزن القطع النقدية المتداولة وطبيعة معدنها، وبعبارة أخرى فإن تزييف العملة يمكن أن يبرز لنا بداهة انخفاض القيمة ، وفي

مع اعتبار المتغيرات السكانية من وجعة أخرى غير أن مصادرنا الحالية لا تسمح لنا بالقيام بهذه المعالجة ، التي تتضمن خطر تحريف الحقيقة التاريخية ، وذلك بإخضاع التاريخ الوسيطي للتحليلات الاقتصادية الكلاسيكية . وكذلك لن نستند إلى العوامل النقدية إلا لكي نلقي الضو على الاتجاهات الاقتصادية في السياق الشامل للخلفية الاجتماعية والسياسية .

هذه الحالة نستطيع أن نكون فكرة عن حصيلة التضخم في الاندلس

1 _ الخصائص الاقتصادية الاساسية:

أ _ اليد العاملة والثروات المادية .

لقد كانت اليد العاملة والثروات المادية طيلة القرن الخامس الهجري قادرة على توفير اقتصاد مزدهر ومتطور وكان المستوى

الرفيع من التعليم الادبي والعلمي في الانداس سوا في الاوساط الحدينية أو غيرها يساير المستوى الرفيع أيضاً في الحرف المختصة وتقنيات السقي ودنامية النشاط التجاري. وكان الرصيد القيم للاندلس إذن هو الامكانات البشرية التي كانت نسمج باستغلال فعال للثروات المادية وربما كان السر في الرخا النسبي الذي عرفه الاندلسيون يعود بدرجة أولى إلى مهاراتهم أكثر مما يعود إلى وفرة المدوارد. وفيما يتعلق بالموارد البشرية والمادية كان الاندلس يمثل تناقضا مثيراً للدهشة مع المناطق المسيحية الجبلية غير الآهلة في الجرز الشمالي من شبه الجزيرة الايبرية التي كانت مواردها الطبيعية نادرة من جهة ، ومع المناطق الشحيحة من المغرب الكبير من جهة أخرى .

غير أنه بالرغم من أن المجتمع الاندلسي كان مندمجاً غير أن وضعيته الاقتصادية كانت مضطربة مما كان يؤثر حتماً على الانتاج في الاندلس. وأسباب هذا الاضطراب تعزى إلى مختلف العدوامل البشرية ولكن هذه المسألة نادراً ما نوقشت في إطارلغة اقتصادية وهكذا قطيلة القرن الخامس الهجري وبعكس ما أدعي غالباً فإن السبب الرئيسي لالوان الصراع والانقسامات داخل المجتمع الاندلسي لم يكن هو الصراع العرقي (3). فالعرب والبربر والصقالبة والعناصر الاسبانية تمازجت بصفة شاملة في مجتمع متجانس ثقافياً رغم انعدام التجانس العرقي فيه والصراع الديني والايديولوجي كان مهماً في المواجعة بين ملوك الطوائف والملوك المسيحيين في الشمال ولكن

على المستوى الداخلي لم يسمح لليهود والمسيحيين الموجودين في الاندلس بممارسة شعائرهم الدينية فقط بل كانوا محترمين ومحمين شرعيا، ومن وجهة نظر اقتصادية كانت مساهمتهم إيجابية خاصة في القطاع التجارى والادارة المالية (4).

ويمكن أن نفهم بشكل أفضل الاهمية الاقتصادية للطاقة البشرية في المجتمع الاندلسي إذا وضعنا في الاعتبار مختلف الشرائح الاجتماعية واعتمدنا مستويات الحياة ومصادر الدخل والوضعية الاجتماعية معايير لدراسة هذه الشرائع. كان كل من الطبقة المحظوظة (الخاصة)، والطبقة المتوسطة وطبقة الدهما المحرومة (العامة)، تسهم في نظام اقتصادي مزدوج يرتكز على الزراعة والتجارة الحضرية.

وكانت مختلف الشرائع الاجتماعية تنعش مصالحها الخماصة وتدافع عنها ولكن رغم الطابع التناقضي لهذه المصالح فإنها لم تكن نتصادم بصفحتها جماعات مصلحية ربما لغياب وعي جماعي. وبالاضافة إلى ذلك فإن الصراع الاجتماعي كان يحد منه الطابع المرن للمجتمع الاندلسي نظراً لكون الحركية الاجتماعية العمودية كانت جد مهمة طيلة فترة اضطرابات دول الطوائف. وفي النهاية كانت الاتصالات بين سكان مختلف أجزا الاندلس جد متطورة وكذلك العجرة خاصة إلى المدن الكبرى المتميزة بالاستقرار والازدهار، ويشعد على ذلك عدد كبير من الشخصيات الادبية والسياسية والقانونية المرموقة والتي يدل ما نجده مقروناً بأسمائها والسياسية لهذا البلد أو ذاك من بالاد الاندلس على مواطنها من نسبة لهذا البلد أو ذاك من بالاد الاندلس على مواطنها

الاصلية وهو ما أثر في تطور مجتمع أندلسي أكثر تفتحا وتجانسا.

وكانت العلاقات بين سكان المدن والمناطق القروية قوية ومتطورة أيضاً ، فرغم وجود مزارع مترامية الاطراف في بعض دول الطوائف مثل غرناطة ، فإن عدد القسرى المزدهرة والحصون في دول أخرى مثل إشبيلية ، يكشف عن أن المجتمع الانداسي لم يكن عجتمعاً إقطاعيا . فالبنيات الاقتصادية لدول الطوائف كانت متنوعة واكنها كانت دائما تؤلف اقتصادا زراعيا وحضريا حيث كان القطاع الزاعي والتجاري متكاملين . وكانت المناطق القروية توفر المواد الاولية الاساسية التي تجد سوقها في المدن، والتعاون والتبادل بين المناطق القروية والحضرية كان يؤلف حافزاً إيجابيا في الازدهار الاقتصادى، ويتعلق الامر هنا مع ذلك بصورة عامة تختلف جزئياتها حسب تنوع مناطق الاندلس: وهكذا ففي حين أن بعض المناطق مثل دولة إشبيلية الطائفية كانت جد متمدنة نجد أن مناطق أخرى مثل غرناطة كان يطغى عليها الطابع القروي، بالاضافة إلى ذلك كان التعاون والتواصل غالباً محدودين ليس فقط بفعل حالة الحرب المستمرة بين دول الطوائف ولكن أيضاً بفعل العزلة السياسية والجغرافية التي كانت تعيش فيها تلك الدول، وبعبارة أخرى إن الاستقلال الذاتي السياسي لكل دولة طائفية يعني إلا حد ما كون نظامها الاقتصادي بالرغم من علاقاتها التجارية ، نظاما اقتصاديا يضمن الاكتفامُ الذاتي . فالاستقلال الذاتي السياسي لدول الطوائف كان يواكب بالتالي، انعزالا اقتصاديا نسبيا مثلما كان الصراع العسكرى

بينها ملازما لصراعها الاقتصادي . وتعتبر الموارد المادية في الاندلس وفيرة نسبيا . ولم يعد ذلك إلى كون المناطق الاندلسية كانت مخطوظة جغرافياً بالمقارنة مع مناطق المغرب العربي وشمال إسبانيا ، بل لانها كانت تستغل بطريقة أفضل نظراً للمؤهلات الهائلة التي امتاز بها أهل الاندلس . وإذا استثنينا السهول الخصبة في جنوب غرب الاندلس المعروفة بمنطقة الغرب (Algarve) والمناطق الحيطة بضفتي الوادي الحجبير ونعدر الابرو (Ebro) علاوة على الحزام المحون من الجيز الجنوبي والشمالي من شواطي البحر الابيض المتوسط والجنز الغربي والجنوبي والشمالي من شواطي المحيط الاطلسي ، المتوسط والجنز الغربي والجنوبي من شواطي المحيط الاطلسي ، فإن إسبانيا تغطيها الجبال في الغالب إذ يصل علو بعضها إلى أكثر من ألف متر كما تغطيها أراضي جبلية وعرة يتراوح علوها ما بين أربعمائة وألف متر .

لقد نتجت الثروة المتراكمة في الاندلس طيلة القرن الخامس الهجري إلى حد بعيد عن الازدهار الذي كانت تعرفه الاندلس عندما كانت موحدة في ظل سلطة الخليفة الاموي، وهكذا كان نظام الري المتطور في القرن الخامس الهجري مأثوراً عن القرون السابقة . ومما زاد في تشجيع الاستغلال الفعال للارض وللمواد الطبيعية تسهيلات وسائل النقل البري علاوة على وسائل الاتصال النهرية ، خاصة عن طريق الوادي الكبير. وكانت التجارة بين دول الطوائف من جهة وبين الاندلس والمغرب الكبير وإسبانيا الشمالية من جهة أخرى ، تنعش النشاط الاقتصادي إلا أنه بالرغم الشمالية من جهة أخرى ، تنعش النشاط الاقتصادي إلا أنه بالرغم

من استمرار الانتاج خلال القرن الخامس للهجرة فإن الموارد الاندلسية لم تكن مستغلة بطريقة مثلى ، ويعود ذلك إلى سببين أساسيين : أولهما غياب بنية اقتصادية شاملة نتيج فرصة التنسيق والتكامل بين غتلف المناطق حتى يطبعها سير ملتحم ، وكان ذلك ناتجاً عن التجزئة السياسية للدول الطائفية. والسبب الثاني للحد من الامكانات الاقتصادية للاندلس هو النهب والتخريب وتحويل الموارد إلى الخارج بواسطة الضغوط السياسية والعسكرية التي كان يمارسها الملوك بواسطة الضغوط السياسية والعسكرية التي كان يمارسها الملوك مثل السيحيون ، خاصة الملك الفونسو السادس والمغامرون الاقويا مثل السيد القمبيطور رودريغو ديهاث أو الكومت برنغير الثاني حاكم برشلونة .

(ب) النشاط الزراعي.

كان أهم قطاع في دول الطوائف هو القطاع الزراعي. وكان النشاط الزراعي قوياً في الاندلس، غير أن الانتاج الزراعي كان يختلف كما وكيفا من دولة طائفية إلى أخرى، نبعاً لاختلاف الظروف الجغرافية ودرجة الاستغلال ونمطه.

والاوصاف التي يمدنا بها الجغرافيون والرحالة والأدباء تعكس المستوى الرفيع للانتاج في الاندلس. وهذه الاوصاف المفصلة والدقيقة تشكل في غالب الاحيان المصدر الاساسي لمعلوماتنا، فبفضلها نستطيع أن نخرج بتصور لحالة النشاط الزراعي وطبيعتها وأهميتها على مر تاريخ الاندلس، وإذا استطاع ليفي بروفنسال

وصف النشاط الزراعي في حقبة بني أمية (5)، وإذا وجدت راشيل آربي مادة كافية لكي تذكر وفرة أشجار الزيتون والكروم في الفترة النصرية (6)، فإن المؤرخ المعتم بدول الطوائف يجد هو الآخر مادة وفيرة عن ذلك النشاط.

إن غزارة الانتاج الزراعي طيلة القرن الخامس كان مردها جزئياً إلى نظام الري المتطور والذي كان يوفر استعمال العديد من مجاري المياه مثل الوادي الحبير، وقد كان هذا النظام موضوعاً لعدة دراسات (7)، غير أن دور اليد العاملة الماهرة التي كانت تقوم على تشغيله لم تدرس بشكل كاف، لقد كانت الروح السائدة لدى الفلاحين والملاك العقاريين الاندلسيين تلعب دوراً مهماً في دوام الانتاج الزراعي وتزايده. وهناك عدة أمثلة تشهد على تلك الروح الدينامية الماندلسيين: فقد كتب الامير عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة أنه طبلة فترة حكم المنصور بن أبي عامر كان الفلاحون يرفضون الانضمام إلى الجيش بحجة عدم إمكانهم مغادرة أراضيهم، وكانوا يتنازلون له عن حصة من محصولهم السنوي في القابل (8)، وفي نفس المصدر نجد باديس، جد عبد الله بن بلقين، يزيد مدخول حصن وادي آش، ثاني حصن في غرناطة من حيث يؤسف بن نغرالة . (9).

وفي القرن الخامس للهجرة وضعت هذه الروح موضع التشكك، لقد اضطرب النشاط الزراعي في الاندلس قبل ذلك إثر هجمات البعثات العسكرية ، غيسر أن نهب المحاصيل الناضجة من طرف الملوك النصارى مثل الفونسو السادس ومن طرف ملوك الطوائف أنفسهم وصل في القرن الخامس العجري إلى درجة لم تعرف من قبل ، إن تكرار هذا النهب ودوامه طيلة فترة ملوك الطوائف قد أدى إلى خسائر جسيمة ؛ ومن المدهش حقا أن نلاحظ أنه رغم تخريب الاراضي المزروعة فإن الاندلسيين لم يفقدوا أبدا الروح الدينامية التي كانوا يعملون بها في الانتاج الزراعي ، من المؤكد أن هذه الروح التي ظلت سائدة طيلة تاريخ الاندلس إلى فترة النصريين في غرفاطة قد انتقلت بدورها إلى الموريسكين بعد أن استولى المسيحيون على الاندلس ، وقد عبر دييغو هورتادو دي استولى المسيحيون على الاندلس ، وقد عبر دييغو هورتادو دي ميندون المسيحيين ، عن إعجابه بالعمل الزراعي الذي كان يحارب مينون يواظبون عليه في فلاحة أراضيهم (10) .

وإذا نظرنا إلى الموضوع نظرة أوسع نجد أن نهب المحاصيل الزاعية كان نصيب اقتصاد دول الطوائف بضربة قاسية ولكنها لم تكن عدائقا لا يتجاوز، ذلك لان المحصول الزراعي يمكن تعويضه بعكس الاحتياطات المعدنية.

(ج) النشاط الصناعي.

كان دور القطاع الصناعي في نظم دول الطوائف الاقتصادية مكملا لمدور قطاعي النزراعة والتجارة . وكان الحرفيون يصنعون

منتجات تامة باستعمال المواد الاولية المتوفرة وبذلك يمدون الاسواق الحادية المحلية المحلية بالعديد من تلك المنتجات وكذلك الاسواق الخارجية ولكن بنسبة أقل.

وليس لدينا تفاصيل عن تنظيم النشاط الصناعي في الاندلس سوا النسبة للقرن الخامس للهجرة أم بالنسبة للفترات الأخرى، غير أن طبيعة ذلك النشاط وتنوعه ينعكس مشكل واسع في الانتاج الصناعي والذي نتوفر على معلومات أكثر بخصوصه فهذا القطاع ـ ولا ينبغي لنا أن نضخم أو نقلل من أهميته ـ كان موجها في في البداية لتلبية طلب الاسواق الداخلية ، وقد كانت المنتوجات الصناعية متنوعة في الكم والكيف: صناعة النسيج (صوف، حرير) الخيزف (الأواني الطينية والقرمود) وصناعة الجلود (السروج) صناعة التعدين (من التسليح إلى صناعة القطع النقدية خاصة الذهبية والفضية ، التي كانت ترمز في الوقت ذائمه إلى قوة الحاكمين) البنا والعندسة المعمارية (من إقامة نظم الري إلى بنا المساجد أو القصور التي اعترف الكل بعظمتها) فن المخطوطات (وتعكس وفرتها النشاط المهم للناسخين)، وقد بدع حرفيو بعض الدول في ميادين معينة: تشييد القصور البهية والعمارات العمومية بإشبيلية وبنا السفن الذي تطور كثيراً في دانية (التي بعث ملكها مجاهد ابن يوسف العامري أسطولا لغزو سردينيا (ربيع الثاني 406 ه. ـ غشت ـ شتمبر 1015 م.) (١١) ، لقد كانت إذن صناعة كل دولة طائفية موجعة لتلبية حاجات تلك الدولة أساساً: أما التبادل بين

غتلف الدول فقد استمر في الازدهار غير أن النشاط اازراعي يجب اعتباره جزاً من اقتصاد مبني على الاكتفاء الداتي والذي كان غالباً في كل دولة من تلك الدول المتمركزة حول ذاتها.

(ه) النشاط التجاري :

كان هناك تبادل دائم بين سكان المناطق القروية وسكان المناطق الحضرية ، وبالاضافة إلى النشاط السلعي المحلى في المدن والمناطق القروية المحيطية كانت التجارة أيضا نشيطة بين مختلف المدن الاندلسية وقد أدى ذلك إلى تخصص مختلف المناطق بإنتاجات خاصة : إشبيلية كانت مشهورة بزيت الزيتون وصناعة الحديد (42) ولبلسة بصناعة الزجماج (١٤)، وقرطبة بالرخمام الاحمر (١٤)، إلا أن التبادل بين دول الطوائف لم يكن ليتم إلا بصفة تكميلية وذلك نتيجة العدا ً الذي كان سائداً بينها وكانت كل دولة تسعى لتكفى نفسها بنفسها، وبالتالي كانت التجارة المحلية مكثفة، إذ كل دولة تهدف إلى إشباع حاجاتها الخاصة قبل أن تفكر في التبادل مقابل منتوجاتها الفائضة. وبالاضافة إلى ذلك فإن هم كل ملك من ملوك الطوائف أن يزيد ثروة تلك الدولة كان يثير حالة الحرب بين الدول مما أدى إلى إبطا ً سير التجارة فيما بينها ، إلا أن تلك العوائق لم تكن كافية لايقاف التجارة نعائياً ، وكثافة النشاط التجاري سوا من خارج دول الطوائف أو فيما بينهما في إطار المحيط التجاري المحكم تنظيمه كانت تعود أساساً إلى ازدهار المدن الكبرى مثل إشبيلية . إن تعقيد النشاط التجاري بالاندلس قد أدى إلى تطوير قانون يحدد التنظيم وتوجد وسائل في الحسبة بالنسبة لمختلف الفترات التماريخية (15)، ورغم أن وجود المحتسب وهو الموظف المحكلف بمراقبة انتظام النشاط التجاري في أسواق الاندلس هو أمر واقع فإننا نفتقد التفاصيل التي تسمع لنا بدراسة سلطاته ومسؤولياته، بحكل عمق والقيام بمقارئات بين مختلف المدن في فترات مختلفة بعذا الصدد (16)، وقد رسمت كثير من الدراسات الخصائص العامة لهذه الوظيفة (17)، في حين أن الدراسات المتعلقة بالتنظيم الحضري في الاندلس قد ساهمت في إطلاعنا على الخلفية والسمات الغالبة للسوق (18).

وفي نهاية الامر نستطيع القول إن التجارة الدولية بين الاندلس والمغرب الكبير والمشرق وأوربا كانت تحكمل التجارة المحلية داخل المناطق الحضرية بالاندلس. غير أن تلك التجارة وطيلة القرن الخامس الهجري تعرضت لصدمات خطيرة، ولحكي نقيس أهميتها الحقة يجب علينا تصورها في إطار موسع للتجارة في العالم الاسلامي. لقد كانت الاندلس تشكل ملتقى طرق بين أوربا والمشرق فيما يخص تجارة العبيد. وكانت تستورد كذلك الذهب من السودان، المنطقة التي تمتد من السنغال إلى التشاد مروراً بالمراكز المغربية مثل سجلماسة. والمنتوجات الاخرى مثل الغراء وخشب أوربا وعلك إفريقيا الغربية كان أيضاً يأخذ مكانة معمة. وفي المقابل كانت الاندلس تصدر المنتوجات الزراعية مثل زيت الزيتون، ومنتوجات الاندلس تصدر المنتوجات الزراعية مثل زيت الزيتون، ومنتوجات

الرفاهية مثل الملبد (نوع من القماش الحريري الملون) والقرمود (19) وكانت العلاقات الدينية والثقافية مكملة للتجارة مع المشرق ، إلا أن تدهور التجارة في العالم الاسلامي برز خلال القرن الخامس الهجري . ونظراً لهيمنة التجارة الاندلسية على غيرها ، فقد كانت الاندلس أكثر المناطق تضرراً من ذلك التدهور وقد استفحل ذلك التدهور بل زاد في خطورة المشاكل الاقتصادية الداخلية في دول الطوائف ،

وإن تقوية الممالك المسيحية في شمال إسبانيا وازدهار مملكة ليون وقشتالة خلال القرن الخامس يجب أن نضيفهما أيضاً إلى بروز قوى اقتصادية هائلة على الصعيد الاوربي وإلى الوحدة الروحية التي كانت تقودها روما والتي ساهمت في تطوير تلك القوى . وكذلك تأثرت العلاقات التجارية الاندلسية مع إفريقا خلال تلك الفترة من من جرا ازدهار دولة المرابطين في المغرب إن تغيير مراكز القوى الذي حدث في العالم الاسلامي مع توسع الفاطميين في مصر وتنافسهم مع العباسيين في بغداد قد أثر في المسارات التجارية سوا في المشرق أو بين إفريقيا الشمالية والاندلس (20) ، ومع ذلك إذا كانت طبيعة التجارة بين الاندلس وأوربا وإفريقيا والمشرق . قد تغيرت جوهريا فإن التجارة في بخوعها ظلت قادمة ولم نتوقف .

(3) الانعطاط الاقتصادي الداخلي

إن عصر دول الطوائف الذي تبلا فترة رخا وحكم بني أمية والفترة الوسيطة لبني أبي عامر، قد طبعها انصاط اقتصادي مستمر

وتدريجي، وإن نحن أخذنا في إطار منظور أوسع فإن الاطار العام لنظام دول الطوائف كان هو ذاته مطبوعاً بالهشاشة اقتصادياً وسياسياً. لقد كان يحتوي ذلك النظام إذن في ذاته على بذور انهياره الذاتي. فغياب سياسة اقتصادية عقلانية في الدول الطائفية كان أيضاً يشكل داهماً على كل منها، وساهمت الصراعات السياسية الداخلية وحالة الحرب المستمرة بين الدول الطائفية التي كانت الغنيمة هي الحافز الاقتصادي الاهم بالنسبة إليها، في نفاقم الضعف المالي والاسراع في الانحطاط الاقتصادي الداخلي. وبما أن نظام دول الطوائف كان اقتصادياً وسياسياً، فلم يستطع أن يحون كياناً صلباً ولم يستطع الخفاظ على البقاً إلا بصفة مؤقتة، فعدم الاستقرار كان يجعل الحفاظ على البقاً إلا بصفة مؤقتة، فعدم الاستقرار كان يجعل تحديد سياسة اقتصادية على مدى بعيد أمراً مستحيلاً. وكان طبيعياً إذن أن يبلغ تزايده النهاية القصوى بما فيها استحالة الحفاظ على تطور اقتصادي .

ورغم أن نظام دول الطوائف كان يتوفر على العناصر الاساسية الخاصة بتحديد دولة ذات سيادة ، فإنه كان يحمل في ذات الوقت عناصر خفية كانت تجعله عاجزاً عن التوسع وعن إقامة كيان قوي يستطيع الصمود إلى مدى طويل أمام الضغوط الداخلية والخارجية . فأولا ، إن كانت الحدود بين دول الطوائف محددة فإن مساحة كل منها كانت صغيرة . وأكبرها مثل دولة إشبيلية وبطليوس وسرقسطة وطليطلة لم تكن واسعة بالقدر الذي تستطيع به أن تكون دولة قوية، وكان على تلك الدول بالاضافة إلى ذلك أن تواجه قوة دولة قوية، وكان على تلك الدول بالاضافة إلى ذلك أن تواجه قوة

توسعية ونعني بها مملكة ليون وقشتالة والدولة المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين فيما بعد ، وثانياً ، كان لكل دولة طائفية على حدة عدد محدود من السكان . فكانت الاندلس في جُموعها كثيفة نسبياً ، ولكن إذا نظرنا إلى الدول الطائفية الصغيرة مثل : شلب وقرمونة ورندة وأركوش ، أو الجزيرة الخضرا ، سوف ينكشف لنا أن عدد سكانها محدود جداً . والدول الطائفية التي كانت تعتبر دولا كبرى طبقاً لمعيار الدولة الاندلسية النموذجية خلال تلك الحقبة كانت تنقصها الماهية الضرورية إلتي يمكن أن تجعل منها كياناً ودائماً .

وثالثاً، إن حكومات دول الطوائف كانت غالباً دولا أوتوقراطية (حكم الاقليمة)، باستثنا بني جهور في قرطبة (422 - 468 هـ 1031 - 1070 م.)، فعلوك الطوائف كانوا يكونون صميم نظم دولهم الطائفية إذ كانوا يسيطرون على جميع سلط التقرير علاوة على وضعهم للقوانين وإشرافهم على تنفيذها، وكان الجعاز العسكري والسياسي يوجد رهن إشارتهم كما كان الهدف الرئيسي منه يتجلى في حايتهم، وكانت النظم الحكومية الاكثر تعقيداً في دول الطوائف القوية مبنية على نماذج أخرى خاصة نموذج نظام دولة بني أمية. لكن تلك النماذج لم تكن تطابق الحاجمات الحقيقية للسكان: بل كانت تخدم قضية الزيادة من هيئة الحاجم، والمبالغة في سلطاته الحقيقية. وانتشرت هذه الصورة في الاندلس على نطاق واسع. ورابعاً . كانت الحكومة عاجزة عن فرض سلطتها كاملة على

السكان داخل حدود الدولة الطائفية . وكان على ملوك الطوائف أن يواجهوا التمردات الداخلية علاوة على مجابهة التهديد الخطير للتدخل العسكري الخارجي ، فسيادتها كانت إذن معرضة للانقطاع والتجزئة ودالتالي إلى الاندثار النهائي . ولم تكن خطورة النتائج الاقتصادية لهذه الدولة تساوي خطورة أبعادها السياسية ، فالانحطاط الاقتصادي إذن كان يمثل تطوراً عادياً لتلك الدول ذلك أن الشرط الاساسي لبقا أي نظام اقتصادي كان هو الاستقرار في كل أشكاله . وقد كان الاقتصاد الهش لدول الطوائف مهيئاً للفشل .

ومما كان ينقص ملوك الطوائف سياسة اقتصادية شاملة مرتكزة على حاجات السكان ومصالح الدول في المدى البعيد، وقد شكل ذلك بالفعل أخطر ضعف عانت منه دول الطوائف. ومع ذلك ظل السير الاقتصادي عادياً على المستوى الداخلي. ومن بين الخصائص الاقتصادية الاساسية في دول الطوائف يمكن ذكر وجود أسواق حضرية، محلية وعلاقات تجارية بين المناطق القروية والمناطق الحضرية، وأخيراً نذكر نظاماً نقدياً خاصاً بعا. لكن بعد فترة حكم بني أبي عامر (370 - 980 ه. - 380 - 900 م.) حين بدأت تجزئة الاندلس، لم تعد تلك المراكز الاقتصادية الحلية مدرجة في البنية الفوقية الاقتصادية العامة للاندلس التي تحطمت فلم يهتز الجهاز البنية الفوقية الاقتصادية العامة للاندلس التي تحطمت فلم يهتز الجهاز المقتصادي الشامل فحسب بل اهتز المناخ السلمي الذي كان سائداً في فترة بني أمية إذ تلاه عدم استقرار واختلال اللامن دائمين من جرا التقسيم السياسي والاقتصادي لدول الطوائف.

ويمكننا _ في إطار جوهر السياسة التي اتبعها ملوك الطوائف والتي تعكس فشلهم الذريع في حفاظهم على الحكم - أن نلتمس عجزهم عن استيعاب الاوضاع الاقتصادية الشمولية في الاندلس وعن تحديد انجاهاتها المختلفة إلى جانب ذلك كان النظام الاقتصادي يعاني من إدارة ضعيفة ، وكان يخضع للضغوط الخارجية الساحقة . إن تمركز ملوك الطوائف حول ذاتهم أدى فعلا إلى سقوط اقتصادهم وجعل من دويلاتهم لقمة سائغة تسيل لعاب ملك ليون وقشتالة ، وغيره مثل: كونت برشلونة ، بل حتى المغامرين المسيحيين المستقلين ، خاصة السيد (le Cid) ردريغو دياث وكانت ميزانية دول الطوائف توجه إما إلى نفقات غير منتجة وإما إلى استثمارات قصيرة المدى وليس فيها مفامرة كبيرة وبعدف الحصول على ربح أكيد سريع . ونرى ملوك الطوائف يبذرون أموالهم في بلاطائهم وقصورهم وفي الترفيه وغير ذلك مما يشبع رغباتهم وشهواتهم الخاصة . والانتاج الادبى الرائع لهذه الفترة يعكس مستوى الحياة الرغدة المترقة للطبقة الحاكمة وأسلوب حياتها الرفيع. وكان العديد من الشعرا البارزين في خدمة بلاطات ملوك الطوائف في القرن الخامس ويعكس شعرهم الحياة في البلاط، تلك الحياة التي كانت تفوق في بعض الحالات ترف بلاطات الخلفا الامويين. ولا مجال هذا لاعطا ا وصف مفصل عن قصور أقوى ملوك الطوائف وتنافسهم في هذا الحجال، ولكن تجدر الاشارة في إطار هذه الدراسة ، إلى أن نفقاتهم كانت تشكل عبمًا ثقيلا على الخزينة غالباً ما تتجاوز إمكاناتها .

وكانت الادارة _ خاصة في دول الطوائف الكبرى _ تشكل أيضاً عبناً ثقيلا على الميزانية . بالاضافة إلى ذلك كان العديد من الموظفين يعينون لاهداف غير وظيفية وهكذا كان عدد كبير من الوزرا في بلاط بعض الحكام من دولة بني عباد بإشبيلية مثل المعتضد ابن عباد أو المعتمد بن عباد يعينون اعتباراً لمؤهلاتهم الادبية وشعرتهم. وكانت العواقب السياسية والاقتصادية لهذه الاتجاهات وخيمة في الغالب ويتمثل ذلك في حالة ابن عمار الذي استغل نفوذه في إشبيلية بطريقة علنية لتوجيه السياسة الخارجية نحو تحالفات غير عجدية ومكلفة مع الفونسو السادس عاهل مملكة قشتالة وليون (21)، وقد كان لهذه السياسة دور في إضعاف بعض الدول الطائفية مثل غرناطة من جعة ، ونقوية عملكة قشتالة من جعة أخرى ، وقررت هذه الأخيرة محاولة إلحاق كل دول الطوائف بها بما فيها إشبيلية ، وإثراستيلاً الفونسو السادس على طليطلة سنة 478 هـ 1085 م. (22)، ولكن رغم نقصان فعالية البنية الادارية فإنها كانت تلعب دوراً مهماً ، وهذا يصدق بالنسبة للادارة الاشبيلية التي كانت معقدة ومتدرجة هرمياً والتي تشتمل العديد من الموظفين الوسطا" والوزرا" والمتصرفين والكتاب إلخ . . . وتنطبق هذه الملاحظة على الادارات في دول طائفية أخرى كانت تميزها البساطة بشكل أوضح حيث كان الحاكم فيها يشرف على إدارة شؤون دولته بصغة مباشرة (23).

وحين اضطر ملوك الطوائف إلى انخاذ قرارات تجاه مواقف غير متوقعة فعلوا ذلك بطريقة مرتجلة . ودون تحليل وتفكير جدي مما

كان له وقع على السير الاقتصادي للدول الطائفية . ولدينا عدة أمثلة عن قرارات مهمة اتخذها ملوك الطوائف بسرعة أو تحت تأثير الانفعال . ولكن ما يهمنا هو الاساس اللاعقلاني لتوجيه سياستهم الاقتصادية العامة على الصعيد الداخلي أو على صعيد الدول الطائفية الأخرى ، فعلى الصعيد الداخلي كان ملوك الطوائف يرفعون نسبة الضرائب إلى درجة لا يمكن أن تؤدي في النهاية بالافراد المتضررين منعا إلا إلى التمرد . وسنتناول بالتفصيل السياسة الجبائية فيما يلي ضمن هذا الفصل .

أما فيما يخص الآثار المباشرة للصراعات والحروب الداخلية فيما بين دول الطوائف على الانهيار الاقتصادي فيمكن تقييمها على مستويات عديدة . وكانت الدول التي تقوم بمبادرة هجوم عسكري واقتصادي ضد الدول الأخرى يكلفها ذلك أثمانا باهضة ، وقد كانت جيوش تلك الدول تتكون عموماً ، كلها أو أغلبها ، من المؤيدين الحليين للملك : كما هو الامر في غرناطة ومالقة ، وقرمونة وأغلب الدول . أما بالنسبة للدول الاحثر قوة مثل دولة إشبيلية ، في عهد بني عباد ، ودولة طليطلة في عهد بني ذي النون فقد كانت تعتمد على عناصر أخرى ، ففي سنة 414 ه . _ \$1025 م . كون القاضي ابن عباد جيشاً يتشكل في أغلبه من المرتزقة والعبيد الذين كان أصل عباد جيشاً يتشكل في أغلبه من المرتزقة والعبيد الذين كان أصل غالبيتهم من المغرب وإفريقيا (24) .

وأما على المستوى الاقتصادي فقد عانى عدد من ملوك الطوائف من حالة التبعية للمرتزقة المسيحيين القادمين من الشمال الاسباني.

ويصف الامير عبد الله بن بلقين التحالفات المستمرة بين دولة إشبيلية وبين الفونسو السادس التي أدت إلى الهجوم والنهب المتكرر للفرق الاشبيلية ضد غرناطة (25). وأصبحت مشاركة الجنود المسيحين أكثر خطورة حين كان هؤلائ يساندون إحدى الفصائل المتقاتلة داخل الدولة الواحدة. وقد حدث ذلك في طليطلة حين اعتمد القادر ابن ذو النون على فرق الفونسو السادس لقلب حكم المتوكل بن الافطس بطليطلة (26).

وبالاضافة إلى المصاريف الضرورية للحفاظ على جيوشهم النظامية والالتزامات السنوية التي يفرضها الملوك المسيحيون. كانت الشروط المالية والسياسية التي تفرضها الفرق العسكرية المسيحية عند القيام بحملات عسكرية من هذا النوع، وهي شروط كان لابد من التفاوض حولها على حدة. ولنشر إلى أن تلك التحالفات لم تكن تبلغ دئماً مقصدها وكانت تؤدي إلى فرض قهر مالي على دول الطوائف التي كانت تعقدها وبذلك كانت ضحية لها دون أن تحصل على أي منفعة من ورائها. وكان المسيحيون هم المستفدين الوحيدين منها.

إلى جانب العب المالي الذي كان مفروضاً على دول الطوائف لكي تحافظ على جيوشها ، كانت الحروب تؤدي إلى خسائر كبيرة للدول التي كانت تتعرض للهجومات والنهب المستمرين . وكان بنو عباد في إشبيلية يقومون بتصديات مستمرة ضد الدول الصغيرة المجاورة وبذلك أدت إلى ابتلاعها نهائياً : كما هو الامر بالنسبة

لرندة ، وقرمونة والجزيرة الخضراء ، ومورورو وأرقوش وشلب .

إن الاستيلا على الغنائم الذي كان أحد دواعي الحرب بين دول الطوائف كان حافزاً اقتصادياً، ولكن إذا كانت الغنائم مصدراً لمداخل إضافية بالنسبة للبعض فقد كانت تساهم أيضاً في تحطيم أو إضعاف البعض الآخر على الصعيد الاقتصادي. إلى جانب ذلك لم تكن الغنائم مصدراً أكيداً للمداخيل فعملية الهجوم والالحاق لم تكن

لتتابع بشكل نهائي. ومن جهة أخرى كانت المصاريف التي تستلزمها البعثات الحربية والحفاظ على الجيش النظامي لم تكن قيمة الغنائم المحصل عليها لتعوضها. إن نجاح الاسلحة كان له الفضل في قضخيم نفوذ ملوك الطوائف المنتصرة لكن البعثات لم تكن مربحة اقتصاديا، والنتيجة الخطيرة لسياسة الحرب هذه كانت على أية حال هي الاضعاف الجماعي لدول الطوائف بقدر ما كانت الحروب تشن على حساب سياسة اقتصادية شاملة متطورة على مدى طويل مرتكزة على المصلحة الاقتصادية للاندلس ككل، وعلى الدفاع المشترك ضد على المصلحة الاقتصادية المهددة من الجنوب والشمال.

3) المشاكل النقدية:

إن النظم النقدية المتحتية في دول الطوائف هي انعكاس للانقسام السياسي والاقتصادي الموجود داخل الانداس خلال القرن الخيامس للهجرة. وكان ملوك الطوائف الاقوى يسكون عملاتهم لاظهار استقلالهم الاقتصادي، ولتسجيل حيثياتهم على القطع النقدية لنشر صورتهم كحكام خارج دولتهم (31). والنقود المختلفة التي وصلتنا عن تلك الفترة تعطي لنا مادة كافية وضرورية للقيام بدراسة نقدية شاملة فيما يخص دول الطوائف. وبالرغم من أنها تحكمل رؤيتنا للوضع السياسي والاقتصادي وتطوره في الانداس في القرن رؤيتنا للوضع السياسي والاقتصادي وتطوره في الانداس في القرن وجود نظام نقدي قوى وقار أو عدمه ورغم أن قطعة النقود تحمل

إسم أو لقب المعتمد بن عباد أو المظفر ابن الافطس، فنحن نعرف أن قيمتها لم تكن تتحدد سوى بطبيعة المعدن الذي صنعت منه وبثقله ، ذلك أن ليس هناك ضمانة أخرى للعملة وغطا المطلوب فالعملة إنما تمثل احتياطاً قيمياً (Alored Value).

وكانت العملة التي يسكها أحد ملوك الطوائف يمكن بالتالي أن تتداول خارج الاندلس إلى أن نصل إلى إسبانيا الشمالية أو إلى المغرب الكبير . وفي نهاية فترة ملوك الطوائف كانت النقود التي سكها المرابطون تتداول هي أيضاً في الاندلس .

وطيلة المرحلة الاولى من عهد دول الطوائف كانت المعادن وفيرة بالاندلس خصوصاً الذهب والفضة ، فإن النظام النقدي كان سليماً . وإلى حد القرن الخامس الهجري كان الاندلس قد جلب من الخارج كميات كبيرة من الذهب ومعادن نفيسة أخرى ، وكان يستجلبها من السودان (المنطقة بين السنغال والتشاد) . ولكن عند نهاية فترة دول الطوائف كانت الجزية المفروضة عليهم من طرف الملوك والرؤسا المسيحيين سبباً في انتقال القسط الاوفر من المعادن النفيسة إلى خصومهم ووجد ملوك الطوائف أنفسهم في وضع لا يستطيعون معه أن يواجهوا متطلبات الجزية حتى ولو لجأوا إلى فرض الضرائب أو غير ذلك من الوسائل . وهكذا كان معدن فرض النقود يخلط بمعادن أخرى أقل جودة وبذلك ننقص قيمتها كلما زادت نسبة ذلك الخلط . وعلى المستوى الداخلي كان نشر هذه القطع النقدية شائعاً غير أنها رفضت من طرف مبعوث الفونسو السادس

إلى المعتمد بن عباد. إن تناقص قيمة العملة في دول الطوائف كان أول مؤشر على نعايتها.

وليس من السعل أن نقدر بالضبط قيمة العملة في الانداس خلال القرن الخامس رغم أن بعض المحاولات تمت في هذا الاتجاه (32). وبالاضافة إلى ندرتها فإن المعلومات المتوفرة متناقضة فأسعارها لم تكن ثابتة وقيمة البضائع تتغير بشكل واضح حسب الظروف. إن الطابع المتغير لنظام الاسعار كان راجعاً إلى ثلاثة عوامل أساسية: أولاً ، انعدام الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي كان لــه نتـائج سيئة على الاسعار وقيمة البضائع ، فقد كانت هناك ثروات تولد وأخرى تندثر بسرعة كبيرة جداً ، وفي جو انعدام الامن السائد كانت الاسعار ترتفع عبثًا دون أي تناسب مع قيمة البضائع، وثانيًا، تراكم ثروات ضخمة لدى ملوك الطوائف وحاشيتهم في فترات زمنية قصيرة جداً. وكان ينفق الجزمُ الكبير من تلك الثروات بطريقة غير منتجة أو يبذر تبذيراً. لقد كان المعتمد بن عباد يعدى لشعرائه هدايا تصل إلى 500 مثقال (33). وثالثًا، وحوالي نعاية فترة الطوائف تعرضت الاندلس لتخفيض قيمة عملتها مما أدى إلى الاسراع في تضخم الاسعار . وأخيراً كانت المبالغ المالية التي تخرج من الاندلس تفوق المبالغ التي تدخل إليها. وكان ذلك يرجع من جهة إلى ارتفاع قدر الجزية التي طالب بها الملوك المسيحييون ملوك الطوائف، ومن جهة أخرى بفعل الهجومات العسكرية التي يقوم بها المستردون، المسيحيون. وبعبارات حديثة يمكن القول إنئا نستطيع في هذه

الوضعية استكناه عناصر الاتجاه التضخمي المفرط في أبسط مظاهره: التشكك، وازدياد النقود المتداولة دون نمو مقابل للطاقة الانتاجية مما أدى إلى ارتفاع أسعار المنتوجات وبالاضافة إلى ارتفاع المبالغ التي كانت تؤدي في شكل جزية وكانت هذه الجزية التي فرضها الملوك المسيحيون تمثل عبئاً مالياً ثقيلا على اقتصادها وفي ذات الوقت تعتبر مؤشراً على قوتها الاقتصادية كلها. وكانت تستخلص من المداخيل الصافية بعد تأدية كل المصاريف الحيوية، وكان ذلك لايزال في مستطاعهم ، وفي مقابل أدا ً الجزية كانت تقدم لهم الحماية وتحالفات يحاولون من خلالها ضمان مصالحهم بطرق مختلفة ، من بينها مهاجمة دول طائفية أخرى واحتلال بعض حصونها غير أن مقدار الجزية المفروض تزايد إلى أن وصل إلى حد يتجاوز مقدرتهم. ولم يكن أمامهم أي حل سوى تأديتها أمام التهديد الذي كانت تمارس عليهم الجيوش المسيحية المستعدة لاصابتهم بأضرار خطيرة في حالة رفض التأدية ، وقد تجاوز مبلغ الجزية المفروضة على دول الطوائف مداخيلهم مما أدى إلى تدهور اقتصادها إلى درجة لم يسبق مثيلها وأوصلهم إلى الإفلاس. فكم كان مبلغ الجزية المفروضة على دول الطوائف؟ لقد كان يختلف باختلاف الظروف التي فرضت فيها، ذلك أنه حين كان بعض ملوك الطوائف يتذمرون من العب المالي الذي لم يعودوا يتحملونه، كان آخرون يزيدون في عروضهم مقابل مساعدة عسكرية أو سياسية . وهكذا نجد وزير المعتمد بن عباد ، ابن عمار ، في مفاوضة مع الفونسو السادس يعده به: 50،000 مثقال

ليقنعه بالانضمام إلى القوات الاشبيلية في محاربة هذه الأخيرة لغرناطة (34) ، وهذا يبدل على أن إشبيلية كانت قادرة على دفع ذلك المبلغ بسعولة ، أو أن المساعدة العسكرية لمملكة ليون وقشتالة كانت ستتيح الشبيلية فرصة الحصول على فوائد تساوى: 50.000 مثقال على الاقل ، غير أن هذا الاستدلال يرتكز على فرضية وهي أن مبعوثى حكام إشبيلية كانوا يفاوضون على أساس قوة دولتهم المالية لتحقيق مصالحها. ولم تكن هذه هي الوضعية الحقيقية: فالمبالغ الضخمة التي يعرضها المفاوضون كانت في الواقع موجهة لتحقيق الطموحات الشخصية لابن عمار ورغبته في اضعاف إشبيلية. وذلك هو الاتهام الموجه ضده من طرف عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة ، وإن الصراع الذي قام بين هذا الأخير والمعتمد بن عباد لدليل على ذلك (85) . أضف إلى ذلك أن ابن عمار زيادة على كونه عرض المبلغ المشار إليه على الفونسو السادس فقد قبل أن يتخلى عن الغنيمة العينية والنقدية التي قد يحصل عليها في حالة الهجوم على غرناطة (36). وبعكس ذلك كان عبد الله بن بلقين أكثر تردداً فيما يتعلق بالجزية التي سيعرضها على الفونسو السادس. وبعد أن رفض تأدية مبلغ 10.000 مثقال سنوياً لالفونسو تعرض لضغوط عسكرية ونفسية ، إلى أن أرغم على دفع 30.000 مثقال (37). لقد استغل الفونسو السادس طموح ابن عمار في الاستيلا على غرناطة بقصد زيادة ضغوطه على حاكم هذه الدولة الطائفية وبذلك حصل على جزية قيمتها أكثر ارتفاعاً من تلك والتي طلبها من عبد الله بن بلقين في البداية . والثمن المرتفع الذي عرضه ابن عمار على الفونسو مقابل مساعدته العسكرية ضد غرناطة خلال الفترة الاولى من حقبة دول الطوائف كان يبرر أساساً باعتبارات سياسية وبالاستيلا على الحصون التابعة لدولة غرناطة الطائفية مما سيؤدي إلى تدعيم صورة إشبيلية وتحسين سمعتها بصفتها دولة طائفية قوية . لكن الآثار المالية لهذه السياسة ومضموناتها على المدى الطويل لم تؤخذ في الاعتبار ، ثم إن الوضعية تغيرت سنة 478 ه . _ الطويل لم تؤخذ في الاعتبار ، ثم إن الوضعية تغيرت سنة 478 ه . _ وقد رفضت تلك النقود بصرامة من طرف المبعوث اليهودي لالفونسو وقد رفضت تلك النقود بصرامة من طرف المبعوث اليهودي لالفونسو السادس ابن شالب مما دفع بالمعتمد بن عباد إلى قتله (88) ، وبذلك قام صراع مباشر بينه وبين الفونسو السادس نتج عنه أن لجأ ملوك الطوائف إلى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين .

وقد تغيرت قيمة العملة بتغير الظروف السياسية ، وهكذا رغم أن النقود نقصت قيمتها طيلة فترة ملوك الطوائف، فإن توحيد الاندلس تحت لوا المرابطين جعل حداً لتناقص قيمة النقد وانخفاضه ، وهذا التوالي للانخفاض والارتفاع من النقد يجعل من الصعب مقارنة الارقام طيلة المراحل المختلفة للقرن الخامس الهجري . وهذه المعاينة ربما تفسر بشكل أفضل فوضى الاسعار ، فكان مبلغ 50 مثقال مثلا هو السعر المعروض مقابل المشاركة في مؤامرة لقلب حاكم ، وكذلك مقابل نظم قصيدة رائعة (39) ، وهناك مثل آخر حاكم مالقة تميم بن بلقين بن زيري بعث إلى القاضي بن سهل مبلغ حاكم مالقة تميم بن بلقين بن زيري بعث إلى القاضي بن سهل مبلغ

50 مثقالا كرشوة لدفعه إلى تشويه سمعة أخيه عبد الله بن بلقين وقد رفض ابن سعل هذا المبلغ لا لانه غير كاف ولكن لرفضه المبدأ. وعدم انتظام الاسعار، هذا طيلة القرن الخامس الهجري يظهر من خلال عدة مقارنات يمكن القيام بها، فطيلة الفترة الاولى من عصر ملوك الطوائف كانت لمدينة وادى آش في دولة غرفاطة الطائفية مدخول سنوي من 000 15 دينار حين كان يديرها علي بن القروي خلال حكم باديس بن زيري جد عبد الله بن بلقين . ولكن حين كلف حاكم غرناطة وزيره اليعودي أبا يوسف بن نغرالة بإدارة هذه المدينة تضاعف مدخولها ووصل إلى 100،000 دينار (41). والمدخول الزهيد اوادي آش خلال إدارة على ربسا يعود إلى أن هذا الأخير كان يحتفظ لنفسه بغالبية الارباح إذ كان الولاة على المدن والحصون يتمتعون بكل السلطات. ومن جعة أخرى كان الوالي اليهودي أكثر كفائة ، ومهما كانت الاسباب في ذلك فأن التزايد كان حبيراً ، وأكبر المبالغ التي تشير إليها المصادر تصل إلى 150,000 مثقال ، تضاف إليها ، خسمائة مدى من طعام ضافية لكل ليلة مدة مقامه _ الفونسو _ عليه ، مقابل إعادة تولية القادر بن ذي النون حاكماً على طليطلة (42) وكان ذلك سنة 478 ه. أي قبل أن يستولي الفونسو على طليطلة بقليل، فمبلغ النقود الذي كان الملوك المسيحيون يستحوذون عليه من ملوك الطوائف إما على شكل جزية أو كشرط للتحالف وصل إلى القمة في الحالة هذه ، ويوضح هذا المثال الثروة المتراكمة لدى ملوك الطوائف وكذلك الانفاق الذي كانوا يبذرون به تلك الثورة ، ومبلغ 16,000 مثقال الذي ربما ذركه الامير عبد الله بن بلقين بعد خضوع غرناطة لجيش يوسف بن تاشفين يكون تناقضاً فاحشاً مع القدر الذي قدمه القادر ابن ذي النون لالفونسو السادس (43).

والخلاصة أن النقود بصفتها حافزاً على الانتاج الزراعي والحرفي قد كان له إسهام هام في اقتصاد دول الطوائف، خاصة حين نعتبر أن أساس هذا الاقتصاد هو السوق الذي يقوم إلى حد ما على التخصص في العمل، إن ذلك النظام النقدي كان يخلق الظروف اللازمة لانعاش، لحفز الفعالية الاقتصادية، ولكن كانت هناك قوى الخرى مهيمنة هي التي حددت في النهاية المسارالعام نحو الانحطاط الاقتصادي في الاندلس.

4) التبعية الخارجية أو عهد الجزية.

إلى جانب هشاشة نظام دول الطوائف الاقتصادي وإلى جانب غياب سياسة اقتصادية داخلية ، والصراعات الداخلية بين دول الطوائف كان استخلاص الجزية من طرف ملوك وزعما إسبانيا الشمالية يكون أخطر دافع في الاسراع بالانحطاط الاقتصادي في دول الطوائف ، وهذه الجزية التي كانوا مرغمين على تأديتها لمسيحيي الشمال تزايدت تدريجياً طبقاً لتزايد قوة أولئك المسيحيين وخاصة الشمال تزايدت تدريجياً طبقاً لتزايد قوة أولئك المسيحيين وخاصة قوة الفونسو السادس وكانت آثار تلك السياسة مهمة بالنسبة

للممانك المسيحية خاصة مملكة ليون وقشتالة وأيضا بالنسبة لدول الطوائف ، فمسيحيو شمال إسبانيا طيلة القرن الخامس للهجرة ازداد نمو ثرواتهم وقوتهم ، ولكي نقدر أهمية هذا الانجاه علينا أن نذكر خلفيتها ولو باختصار. فورا تلك التطورات كانت توجد قوي اجتماعية داخلية في مملكة ليون وقشتالة ودول الطوائف على السوا. لقد دعم الفونسو في مملكة ليون وقشتالة قوته بالتحالف مع الكنيسة الكاثوليكية ، بعد أن أعلنت هذه الأخيرة أن كنيسة المستعربين المحلية وجب اعتبارها كنيسة غير شرعية . ولم تستطع المدن أن تزدهر بشكل واسع في الممالك المسيحية لانها كانت تفتقد إلى الاراضي نظراً لاستيلا الرهبان الكاثوليكيين على أراضي شاسعة . وقد أدت الضغوط والصعوبات الداخلية إلى البحث عنه فرص أفضل يعني عن طريق حركة الاسترداد المسيحي للانداس (recoguista). وقد اتخذت إسبانيا المسيحية نموذجا اجتماعيا لنفسها مبنى المجتمع المنظم اشن الحروب إذ كان هدفها الأخير احتملال الاندلس حيث تراكمت الثروات في ظل حضارة وثقافة مزدهرتين. وهكذا بدأت الممالك المسيحية تبحث عن أراضي جديدة ، وبدأت الحدود المسيحية تنزل نحو الجنوب إثر هجرة جديدة للسكان، وقد اتخذت حرب الاسترجاع إيديولوجيا، طابعاً دينياً في شكل حرب صليبية ضد المسلمين ، أما سياسياً فقد انطبعت بالسياسة التعسفية والواقعية في ذات الوقت لالفونسو السادس الذي جمع حوله قوات مسيحية مختلفة. واجتماعياً كانت حرب الاسترداد يحفزها البحث عن أراضي خصبة

جديدة. واقتصادياً، وهنا العامل الاكثر أهمية، كان الحافز هو الرغبة في الحصول على الثروة بمقادير كبيرة وبسرعة. والوسائل التي اتخذت من أجل استرجاع الاندلس كانت أساساً عسكرية وسياسية ، وكان الحافز الاقتصادي الذي حفز المجتمع القشتالي طيلة القرن الخامس الهجري مهيمناً حتى أن الحرب أصبحت أمراً حيوياً بالنسبة إليه (44) ، وبغض النظر عن أصل الافراد ومركزهم الاجتماعي فإن درجة المشاركة العسكرية في حرب الاسترجاع أصبحت أساسية للحصول على وضعية اجتماعية أرقى وأصبع الرجال الاحرار (Villanis) عامة يصعدون السلم الاجتماعي في المجتمع القشتالي ليصبحوا فرساناً من نوع (Caballeros Villanos) و(فرسان من عامة الشعب) في حين أن هؤلا الاخرين كانوا يصيرون (hidalgos) (رجالا من طبقة النبيلا الصغار) ما أن يمتلكوا الحصان والدرع المناسب ويتمون الخدمة العسكرية . وهكذا يبسرز السيد (infangon) (وكان infangon بحكم ميلاده عضوا من طبقة النبلا الصغيرة دون الشجاع جدارة مثل أمرا ً كاريون Carrion (45) . وقد كتب الدكتور ماكاي في هذا الصدد وعلاوة على هذا ، هناك عدد كبير من الناس في إطار النبلا الاصليين يعود تصاعدهم الاجتماعي إلى الفرص الاقتصادية والعسكرية التي منحتها لهم الحياة والحروب في الحدود مع الاندلس (46) .

وكانت الحرب إذن تؤدي وظائف حيوية في المجتمع القشتالي الوسيط: للصعود والرقي في السلم الاجتماعي. وكانت تبرز سيطرة

طبقة النبلا الحربية ونعي الوسائل العديدة لتحسين المعيشة أو الحصول على الشروات. ويذهب ما كاي بعيداً حين يستنتج أن الحرب في قشتالة الاقطاعية لم تكن اختياراً بل فضرورة عضوية، (47). ولا مجال هنا لتناول التفاصيل المتعلقة بطبيعة حرب الاسترداد ومشاكلها، والاستيطان والحدود المتحركة، لنقتصر على القول بأنه إذا كانت حرب الاسترداد ترمز إلى نعضة إسبانيا المسيحية، فإن نتائجها على الاندلس كانت وخيمة.

وبالفعل فإن تأدية الجزية كانت وبالا على اقتصاد دول الطوائف لسببين: الاول أنها كانت تشكل عبثاً زائداً على كاهلهم، لقد كان في إمكان بعض الدول القوية مثل إشبيلية أن تواجعها دون صعوبات كبيرة. أما الدول الاضعف والتي لها اقتصاد هش، فلم تحكن لتتحمل ثقلا لا نقدر عليه، وكانت المبالغ المفروضة عليها تمثل أقصى ما يمكن أن تؤديه دون أن يسبب ذلك الانهيارالمباشر لنظامها الاقتصادي أما الخسارات التي نسبها تلك الوضعية على المدى الطويل فقد كانت هي بدورها تشكل مشكلا خطيراً. أضف إلى ذلك أن طرق الضغط الممارسة عليها هي ذاتها مصدر للخسارات: كانت عبارة عن حملات عسكرية من جملة أهدافها القضاء على محاصيل خليري حتى يودي ذلك إلى انفجار النظام الاقتصادي: إن الوصف القرى حتى يودي ذلك إلى انفجار النظام الاقتصادي: إن الوصف القرى حتى يودي ذلك إلى انفجار النظام الاقتصادي: إن الوصف ومبعوثيه وصول التخريب الذي تعرضت لـه غرناطة لارغامها على قبول الشروط المفروضة عليها ليوضع جيداً جسامة الصدمات المرعبة قبول الشروط المفروضة عليها ليوضع جيداً جسامة الصدمات المرعبة

التي كان على اقتصادها أن يتحملها (48) .

وهناك جاذب آخر من الخسارات التي لحقت اقتصاد دول الطوائف من جزا دفع الجزية وهو استمرارية تلك السياسة ودوامها طيلة فترة دول الطوائف، لقد كان فرنندو أول من سلب الدول الطائفية القوية. وقد تابع ابنه سانشو السادس تلك السياسة وطورها ابنه الآخر الفونسو السادس الذي كان يتوصل بجزية غرناطة ودول أخرى حتى بعد انهزامه في معركة الزلاقة سنة 479هـ - 1086م. (46)، وحين قدر يوسف بن تاشفين سنة 194 هـ - 1088م م أن ينهي حصار ليسيط (Aledo) والرجوع إلى المغرب طالبه ملوك الطوائف بأن يترك في عين المكان بعض الجنود ليدافعوا عنها ضد هجمات بأن يترك في عين المكان بعض الجنود الدافعوا عنها ضد هجمات عدوكم! ، (50) .

إن التخوفات التي أبداها ملوك الطوائف لم تكن دون مبرر . ويتجلى ذلك في التفسير الذي أعطاه عبد الله بن بلقين لحسلات الغونسو السادس التي كان هدفها أساساً اقتصادياً إذ يقول:

• فأيقنا أن الرومي لا يدعنا على هذه الفرصة دون طلب . كالذي كان . فلم يلبث أن احتفل وأتى طالباً للمال ، متجنباً على من خالفه أن يفسد ببلاده . وعاقد صاحب سرقسطة ومن يليه من الشرف ، فدافعوا شره ودفعوا إليه ما سلف له عندهم .

وبلغني الخبر ، وزاد في غمي ، وعلمت أني فيه كراكب الاسد: ، (51) . لها غيرنا(36)، إلا أن وجود هذه العناصر الايجابية لا يمنعنا من تقديم يعض المآخذ عليه، بصفته مؤرخا للأندلس في عهد دول الطوائف ومن أهمها:

أ.) تأثر ابن الخطيب بالمنهج السردي والترتيب الزمني (الكرونولوجي) وببعض التقاليد الاسلامية في التاريخ مثل كتب السير والتراجم. ورغم القيمة التاريخية للتاريخ السياسي ولوصف الأحداث وضبطها هناك مناهج تاريخية أخرى تعتمد على التحليل بالدرجة الأولى لم يلجأ إليها ابن الخطيب كثيرا.

ب.) لم يصل ابن الخطيب إلى مستوى بعض المؤرخين الأندلسيين من الذين أرخوا للأندلس في عهد دول الطوائف، ومن بينهم ابن حيان الذي تخصص في كتابة التاريخ الأندلسي إلى وفاته، ولم يهتم بعلوم أخرى فأبدع في هذا المجال.

ج.) تعتبر قيمة كتابات ابن الخطيب التاريخية محدودة بالنسبة لدراسة عهد الطوائف إذا قارناها بالمصادر المعاصرة، فمنها ما هو أكثر توسعا وتعمقا وتنوعا، كما أن ابن الخطيب لم يأت بجديد في تاريخ الأندلس في عهد دول الطوائف، بقدر ما أكد ما جاء به غيره.

د.) على الرغم من أهمية المعلومات التاريخية الهامة التي قدمها ابن الخطيب، فإنه لم يستغلها في قالب تحليلي، فهو ضعيف من هذه الناحية

⁽³⁶⁾ مثلا راجع المقالات التالية :

الأستاذ محمد زنيبر، دابن الخطيب والتجديد في المناهج التاريخية، دمجلة كلية الآداب، (الرباط)، العدد الثاني (1977)، ص 79 ــ 126.

د. أحمد مختار العبادي، دلسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية، دعالم الفكر،، العدد الثالي، يوليو ــ أغسطس ــ سبتمبر (1985)، ص 29 ــ 62.

د. ولهيلم هونباخ، ١٩بن الخطيب المؤرخ : الشعب والحكومة والدولة، :

Wilhelm Hoenerbach, El historiador Ibn al-Jatib Pueblo: Gobierno - Estado, Andalucia Islámica, Textos y Estudios, nº 1. (1980). pp. 43-64.

محاولة للمقاومة الموحدة وكانت ترسخ اتجاه الخضوع أمام الشروط التي كان يمليها الفونسو السادس (55).

وهناك أيضا أدر سلبي لهذه السياسة وهي الحسارات البشرية والمادية الناجمة عن الحملات العسكرية التي تنظم ضد دول الطوائف. فأسبابها وتعليلاتها كانت متنوعة كما تنوع شكلها ومدتها . لكن ضررها كان جسيماً ليس فحسب لارتفاع عدد تلك العجمات وتكرارها ولكن أيضاً بسبب دوافعها إذ استمرت طيلة فترة ملوك الطوائف. ولا نستطيع أن نقيم تلك الاضرار بدقة . واكن من الواضح حسب الاساليب المعتمدة من طرف المؤرخين المعاصرين والمتأخرين في وصفها أن دول الطوائف تعرضت لعمليات واسعة من الهدم والتخريب، وأن مخلفات ذلك النعب على المستوى الاقتصادي لا يمكن عدها: تطرق عبد الله بن بلقين لدرجة النهب الذي قام به الفونسو السادس على إشبيلية خلال حملات الضغط ضد الحكام الذين شاركوا في حصار ليبط (56) ، وعند نهاية فترة ملوك الطوائف وصلت قوة الفونسو السادس حداً استطاع معه شن هجوم على بعض ملوك الطوائف دون موافقة الآخرين كما كان عليه الامر سابقاً. وهكذا فخلال الحملات الاولى لفرض الجزية على غرناطة كانت فرق الفونسو السادس مدعمة بفرق المعتمد بن عباد (57) . وقيد كان عبد الله يأمل أن يحصل على مساعدة بعض ملوك الطوائف غير أن هؤلاً ظلوا غير مبالين. والنص التالي يوضح الممارسات المؤذية لملوك الطوائف: • ... وابن ذي النون في هذا يتوسط له بالامر ، ويسعى فى تصيير المال إليه ، ويرضيه بذلك وينتظر فساد مملكتنا ، فيفترصها هو أو يأخذ منها حصته فكان _ على ما قدمنا ذكره _ عدواً في الباطن ، صديقاً في الظاهر ، (58) .

إن الهدف المزدوج للحملات العسكرية بصفتها وسيلة للهدم المادي من جهة ، ووسيلة ضغط للحصول على الجزية من جهة أخرى ليتجلى في حالات أخرى . فأهداف تلك الحملات كانت اقتصادية ولكن المناورات السياسية والضغوط النفسية التي تصاحبها كانت تساهم بشكل قوي في إرغام ملوك الطوائف على قبول شروط الفونسو السادس . إن التهديد كان يمكن الفونسو من التوصل إلى مقاصده دون اللجو والى إحداث هذم مادي على مستوى واسع ، ولكن هذه الطريقة الأخيرة كانت تستخدم دون تسردد حين تفشل الطريقة الأولى . أضف إلى ذلك أن اللجو والى النهب المحدود كان الغرض منه تدعيم مصداقية الفونسو السادس عند انطلاق المفاوضات .

وكان الفونسو السادس يبني سياسته لفرض الجزية على أساس ضعف حكام دول الطوائف. وهـوًلا رغم أنهم لم يكونوا واعين بالخطر الذي كان يهددهم من جرا مشاحناتهم على المدى الطويل فقد كانوا واعين بالاستغلال الذي يقوم به الفونسو لصالحه. وهكذا يطلعنا عبد الله بن بلقين على انطباعاته حول الحسابات السياسية لالفونسو السادس: ٠ ـ . . . وأما ـ الفونش، لما تيقن هذه الفتن ، علم أن ذلك من أكبر سعادته وأعظم فرصه في طلب الاموال . فأرسل إلينا رسوله: أول مداخلة نشأت بيننا وبينه ؛ فأتى باطر

شواش - بيدرو أنسورث - يطلب منا ضريبته ، ، (59) .

وقد اطلعنا عبد الله على مخططات الفونسو لضم بعض الدول الطائفية عن طريق مبعوث الملك القشتالي سيسناندو دافيديث:

إنما كانت الاندلس للروم في أول الامر، حتى غلبهم العرب، وألحقوهم بأنحس البقاع: جليقية؛ فهم الآن عند التمكن، طامعين بأخذ ظلاماتهم! فلا يصح ذلك إلا بضعف الحال والمطاولة، حتى إذا لم يبق مال ولا رجال، أخذناها بلا تكلف!، (60).

ومع ذلك، فإن كان عبد الله واعياً بأهداف الفونسو في المدى البعيد كما رأينا في الاقتباس السابق، فقد تحدث عن سياسة الفونسو بعد سقوط طليطلة سنة 478 هـ ـ 1085 م. بالعبارات التالية: وكنا رأينا كلب النصراني على الجزيرة وأخذه لطليطلة، وقلة رفقه بعدما كان يقنع منا بالجزية وصار يروم أخذ القواعد، وأن أخذه لطليطلة للضعف المتوالي عليها عاماً بعد عام؛ وكذلك كان من شأنه في أخذ البلاد، إذ كان مذهبه ألا ينازل معقلا، ولا يفسد أجناده على مدينة، لبعد مرامها ومن فيها من مخالفي ملته، وإنما كان يأخذ منها الجزية عاماً بعد عام، ويعنف عليها بما شا من وإنما كان يأخذ منها الجزية عاماً بعد عام، ويعنف عليها بما شا من التعدي إلى أن تضعف وتلقى بيدها كما فعلت، (61).

وبالاضافة إلى الغروات المسيحية ضد دول الطوائف هناك الصراعات بين تلك الدول ذاتها والتي ساهمت أيضاً في الانهيار الاقتصادي المتوالي. وبعبارة أخرى فإلى جانب الضغوط الخارجية والعسكرية للملوك المسيحيين في الشمال فإن الصراعات المسلحة

المستمرة بين دول الطوائف تشكل عاملا إضافياً للانعيار الاقتصادي لتلك الدول. وكانت تلك الصراعات تسعل مهمة الملوك المسيحيين وتساهم في إضعاف حكام دول الطوائف إما بطريقة غير مباشرة أو بكيفية مباشرة. وتجد تحالفات عسكرية مع المسيحيين تقودها دول طائفية ضد بعضها الآخر. ويجب أن نضع النشاط الحربي لتلك الدول في هذا السياق العام، ولم يكن الفونسو السادس يتوجه إلى حكام دول الطوائف بصفتهم كجماعة واحدة بل بالعكس كان يستغل خلافاتهم الشخصية بتشجيع طموحاتهم المباشرة، وفي ذات يستغل خلافاتهم الشخصية بتشجيع طموحاتهم المباشرة، وفي ذات يقبل هذا شروطه ثم يتجه إلى الحاكم الآخر مع التأكد من أن القبل هذا شروطه ثم يتجه إلى الحاكم الآخر مع التأكد من أن

وهكذا يتهم الامير عبد الله بن بلقين وزير المعتمد بن عباد ابن عمار بالتآمر مع الفونسو السادس ضد غرناطة (62).

والضغوط الاقتصادية الدائمة لاسبانيا المسيحية تجاه دول الطوائف دفعت هـؤلا إلى الزيادة تدريجيا في مبالغ الجزية، وقد أثقل هذا كاهل السكان وزرع تذمراً كان يجد تعبيره أحياناً في حركات العصيان. وحين يصل التذمر إلى درجة معينة يصبح الحكام غير قادرين على السيطرة على التمردات التي تعم البلاد والتي كان سببها الرئيسي الضرائب المرتفعة. وهذا هو الحال الذي كانت عليه غرناطة كما ذكر ذلك عبد الله بن بلقين: • وتسمع في هذا عليه من أهل جهاننا تهدداً وعصيانا أنكرناه، لا تتم به مملكة، ولا

يتهيأ معه قضا حاجة ، (64) .

إن الافراط في فرض الضرائب كان أمراً خطيراً ولكن بحيث أن سكان دول الطوائف كانوا واعين بذلك الظلم، وكانو يحاولون تغيير الاوضاع فيما بعد كما يبين ذلك عبد الله بن بلقين ورأى سلاطين الاندلس عند ذلك من تحامق رعاياهم وامتناعه من مغارم الاقطاع التي كانت عليهم، مع احتياجهم إلى الانفاق ما قلق به وسا الظن من أجله: جيش يكلفونه كل عام، ومجاملات تلزم المرابطين كثيرة، وتحف متوالية، لو فرط منها في شي تلزم المرابطين كثيرة، وتحف متوالية، لو فرط منها في شي الانخرمت عليهم الاحوال؛ ثم رعايا تمتنع من تأدية ما تقوم به الحال الموصوفة؛ فلا حيلة إلا بين صبر يؤدي إلى ملامة توجب عقوبة، الموصوفة؛ فلا حيلة إلا بين صبر يؤدي إلى ملامة توجب عقوبة، أو امتناع يؤدي إلى استئصال. كالذي جرى، (65).

ومن الواضع من خلال تلك الوضعية التي جا وصفها على ذلك النحو أن سكان دول الطوائف لم يكونوا فقط واعين بالظلم الذي لحقهم من جرا رفع الضرائب ولكنهم رفضوا ذلك الظلم ولم يكن ليتم ذلك إلا بمساندة المرابطين الصريحة أو الضمنية الذين كانوا يضعون أحكاماً تشريعية تتضمن أن الضرائب يجب أن تلغى في دول الطوائف: ﴿ وإنما وحست نفسي من الرعية لطمعهم في حط دول الطوائف: ﴿ وإنما وحست نفسي من الرعية لطمعهم في حط المغارم، والذي شاع من الزكاة والعشر عند المرابطين ، (66).

ولكن الدافع الاخلاقي المحض لتدخل يوسف بن تاشفين في الاندلس تحول إلى رغبة في الحصول على ربح مادي فإلى جانب الهدايا الثمينة التي كانت تقدم للمرابطين اضطر عبد الله بن بلقين

إلى قبول المتطلبات المالية للقائد العسكري المرابطي غارور والذي كان يقبض أحياناً مبالغ تتراوح ما بين 500 و 1000 دينار مرابطي. غير أنه إلى جانب ذلك كان عبد الله يرسل إليه مبالغ ضخمة أخرى قال عبد الله: • وأما الذي صار إليه في سفرة بطليوس ومدة كونه على ليبط مع الرسل ، فأكثر من أن يحصى ، (67).

وقد كان الافراط في الضرائب سبباً في الاستيا الذي عم دول الطوائف. إن ذلك الاستيا الذي يعود إلى أصل اقتصادي وسياسي قد وصل إلى أقصى مدى إثر موقعة الزلاقة سنة 479 ه. 1086 م ذلك أن الانداسيين عاينوا قوة يوسف بن تاشفين واعتبروه بديلا عن حكامهم الفاسدين. وقد انتشرت صورة يوسف بن تاشفين كحاكم تقي ونزيه وقوي بين مجموع مختلف السكان خاصة لدى القواد العسكريين والفقها (68). وأمام الانقسامات العديدة لحكام دول الطوائف تجلت صورة يوسف بن تاشفين كقوة موحدة ، ولم يكن لتلك الصورة سوى أن تجذب إليه سكان الاندلس.

ولم تغب العوامل الاقتصادية لتلك التطورات السياسية عن بال يوسف بن تاشفين. واتهم ملوك الطوائف بتجاوزهم الحد في فرض الضرائب على السكان إذ وضع المشكل في إطار قانوني. وقد كان العديد من الضرائب في دول الطوائف ليس إسلامياً وبالتالي غير شرعي. فألح على إلغائها. وهذا اجرا استقبله السكان بكل ترحاب. غير أن هذا الالغا على الفائها كان مستحيلا نظراً لقوة الضغوط العسكرية الممارسة باستمرار من طرف الفونسو السادس ضد دول العسكرية الممارسة باستمرار من طرف الفونسو السادس ضد دول

الطوائف: فقد كانت الضرائب ضرورية لضمان دفع الجزية. ولكن يوسف بن تأشفين كان يعتبر تلك الجزية أمراً مهيناً ولا شرعياً منهماً ملوك الطوائف بالتآمر مع « الكفار » لقد كان لديه إذن مرر شرعي للاستيلا على دول الطوائف لصالحه ، إلى جانب ما كان يتمتع به لدى السكان الاندلسيين من مكانة ، علاوة على القوة العسكرية التي كانت تتوفر له لكي يحقق غرضه . وقد كان يوسف بن تاشفين قادراً على وضع نهاية مؤقتة للانهيار الاقتصادي يوسف بن تاشفين قادراً على وضع نهاية مؤقتة للانهيار الاقتصادي للاندلس باستيلائه على دول الطوائف باستثنا مملكة سرقسطة التي ظلت نحت حكم بني هود . وطليطلة التي ظلت في يد المسيحيين . ظلت نحت حكم بني هود . وطليطلة التي ظلت في يد المسيحيين . الممكن أن تكون قيا وضع استراتيجية على مدى طويل كان من الممكن أن تكون قيا وكان خركه قوياً إذ فيات الأوان على المسيحي كان قد انطلق وكان خركه قوياً إذ فيات الأوان على إيقاف عرى الاحداث .

الخالصة :

إن أهمية العوامل الاقتصادية طيلة فترة ملوك الطوائف أمام العوامل الاخرى مأخوذة في منظور شامل، لتقدم لنا تفسيرا أساسيا لسقوط دول الطوائف المفاجي وكانت القوة الاقتصادية لدول الطوائف قد وصلت حدا أقصى من التحلل حوالي 478 هـ - 1085 م. بعد استعادة الفونسو السادس لطليطلة. ومن ناحية أخرى كانت بعد استعادة الفونسو السادس لطليطلة وبين دول الطوائف في الهوة الفاصلة بين مملكة ليون وقشتالة وبين دول الطوائف في

الميدان الاقتصادي قد وصلت هي أيضاً إلى أقصى مداها. وقد تصور الفونسو السادس أن سياسة رفع الجزية لم تعد مجدية وأن قوته العسكرية أصبحت كافية لتسمح له بغزو دول الطوائف واستعادتها . غير أنه لم يدرج في حساباته لجو ملوك الطوائف إلى نجدة يوسف بن تاشفين مما أدى إلى انهزامه في موقعة الزلاقة سنة 479 ه. _ 1086 م. وقد كان الاخطر على الفونسو السادس استهانته بالقوة العسكرية ليبوسف بن تاشفين ، وباتجاهه وحدسه السياسي وطموحه الشخصى وصفاته كحاكم مقتدر، ولم ينتبه إلى أن يوسف بن تاشفين انجذب نحو الاندلس بفعل نفس الامتيازات المادية التي جذبته هو . وكرد فعل على سياسة الفونسو السادس العدوانية تجاه دول الطوائف استنجد ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين للتدخل في الاندلس. وبعد أن استوعب الانقسامات والضعف المفرط الذي عاناه ملوك الطوائف شرع في الاستيالاً على دولهم. وقد استولى المرابطون على كل الدول باستثنا " سرقسطة . غير أن فشلهم في الاستيلا " على طليطلة كانت له نتائج حاسمة فقد حافظ المسيحيون على وضع استراتيجي ممتاز: فمن طليطلة انطلقت الحرب المسيحية لاسترداد الاندلس.

الهوامش

ا) هناك دراسة مقارنة وشمولية حول إسبانيا الاسلامية والمسيحية. انظر: Thomas Glick Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages Princeton 1979

2) لمعالجة مثيرة للمسألة انظر مؤلف:

Jose Maria Lacarra Aspectos economicos de la sumision de los reinos de Taifas «1010—1102» in Homenaje a Jaime Vicens vol 1 Barcelona 1965 pp 255—77

 3) راجع الفصل الاول من هذا الكتاب حول العصبية والعلاقات الاجتماعية في الاندلس طيلة فترة دول الطوائف .

4) إن الكفا ات الادارية لابي ابراهيم بن نغرلة اتاحت له منصب وزير في غرناطة (عبد الله بن بلقين) « كتاب التبيان » ، نشر ليفي بروفنسال ، القاهرة 1955 ، ص : 30 ـ 32 . وابن يوسف بن نغرلة خلفه كوزير ومتصرف (نفس المصدر ص : 206 ـ 36 ـ 39) ، وهاتين الحائتين هما مثالان نهوذجيان لليهود الذين تبوأوا اعلى مستوى في السلطة السياسية في الانداس . ولمقارئة

- التأثير اليهودي في الممالك المسيحية لاسبانيا في الشمال وفي الاندلس راجع: Glich ، المصدر المذكور ص: 172 _ 178.
- 5) Evariste Levi Provencal, <u>Histoire de L'Espagne musulmane</u>, vol. 3. Paris, 1953, pp. 260 93.
 - 6) Rochel Arió, Grenade aux temps des Nasrides, Paris, 1973, p. 346.
- 7) إن نظام الري كان جد متطور طيلة فترة حكم بني أمية (ليفي بروفنصال و هتاريخ اسبانيا الاسلامية و به باريس 1950 ص. 278 ـ 82 وظل سائداً خلال فترة ملوك الطوائف. كما كان نظام الري متطوراً خلال فترة بني نصر في غرناطة (أنظر المصدر المذكور لراشيل أربي. ص 346 ـ 848) ولمقارنة نظام الري في الاندلس وفي إسبانيا المسيحية راجع كتاب: Glick ولمقارنة نظام الري في الاندلس وفي إسبانيا المسيحية راجع كتاب: 66 ـ 78 .
 - 8) ﴿ كِتَابِ النَّبِيانِ ﴾ الطبعة المذكورة سابقاً ص: 17.
 - 9) نفس المصدر ص 38 _ 39 .
- 10) «غرناطة في عهد بني نصر» نفس الطبعة المذكورة سابقاً ص 346.
 - . 11) انظر ص. 11 ،
- 12) أبو العباس أحمد المقري «نفح الطيب من غصن الـأندلس المرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب الجز الاول القاهرة 1367 هـ 1949 م. ص . 188 .
 - 13) نفس المصدر ، ص ، 186 _ 187 .
- 14) حول الحملات البحرية لمجاهد بن يوسف العمامري حاكم دانية (400 ه . . 1002 م . . 446 م .) في سردينيا ، راجع محمد عبد الله عندان : « دول الطوائف » ، الطبعة الثمانية ، القماهرة ، 1969 ، ص . 94 . 94 .
- 15) بالنسبة للقرن الخامس العجري راجع أبو محمد عبد المجيد

ابت عبدون: « رسالة في القضا والحسبة » و نشر ليفي بروفنصال بعنوان: « Trois traités hispaniques de Hisba: Documents iéndits sur la vie sociale et économiques en Occident musulman au moyen age, le Caire, 1955, pp. 3-65.

ا عدة دراسات حول التعمير في الاندلس و راجع مثلا كتاب: المعمار المعمار

The Early Recovolution of Muslim Urban Society, in Comarative Studies in History and Society, no. 20, (1965), pp. 1015-37.

Leopoldo Torres Balbas, Ciudades Hispano-musulmanas, 2 vol., Madrid,

Plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispano-musulmanas, in Al-Andalus, XII (1947), pp. 437 - 76.

و Glick المصدر السابق .

17) من المؤلفات القيمة حول الموضوع كتاب بدرو شالميطا: Pedro Chalmeta, El senor de l zoco en Espana, Madrid, 1973.

ويبرز هذا المؤلف الخواص العامة للمحتسب في السبانيا الوسيطية ، غير النصف الأول من المحتاب يدرس المحتسب في الاسلام وفي المجتسب المكي قبل الاسلام في حين أن الربع المأخير منه يخصصه لمراسلات المحتسب في إسبانيا المسيحية . ونظراً لقلة المصادر فإن الصفحات 357 ـ 494 هي التي يعالج فيها المحتسب في الاندلس . ويرد فيه الخواص العامة خلال فترة سبعة قرون في حير جغرافي في طور الثناقص وشهد العديد من النظم السياسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية المتعارضة . ومن الموسف أن هذا العمل جد نظري ، فوصف المحتسب والمقومات الاخرى لهذه الوظيفة يدرجها المؤلف نظري ، فوصف المحتسب والمعومات الاخرى لهذه الوظيفة يدرجها المؤلف فيلا عن الفترات المحدودة جداً . فمثلا بالنسبة لفترة ملوك الطوائف نجد فقط 5 صفحات مخصصة بموضوع ، وهنوى المرق التجارية الرئيسية في العالم

الاسلامي من القرف الثامن إلى القرف الحادي عشر وذلك لمدى MAURICE LOMBARD - L'Islam dans franiere grondeur.

باريس ، 1971 _ ص 204 _ 34 .

- 19) « نفع الطيب » الطبعة المذكورة سابقاً ص 187 _ 88 .
- 20) Willon Monrgomeriy Watt, L'infeluerce de l'zsleur 20 sur l, Eurof medievale, tracluit de l'aglois par G. Humberv. Paris 1974. p. 28-29.
 - 21 » كتاب النبيان » · المصدر السابق · ص 79 .
- 22) إن الكلام عن غزو طليطلة جا في عدة مصادر: أبو الحسن على ابن بسام الشنةريني و الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة و القسم الرابع ج 1 تحقيق د . إحسان عباس وليبيا تونس و 1979 م 163 169 و حتاب التبيان و المصدر السابق و ص 176 177 والفونسو العاشر وسانشو الرابع: وال حولية عامة لاسبانيا و (Pimara: cronica general do Espana) تحقيق رامون مننديث بيدال (Raman Menendet Pidal) بمساهمة :

. 531 ـ 530 ص 20 مدريد ، ص 530 . T. G. Pelez , M. M. Cartes , A C , Solalinde

- 23) كتاب التبيان • المصدر السابق ص . 86 .
- 24) أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثاني ، ج 1 ، نشر إحسان عباس أيبيا تونيس 1978 ، ص ، 16 ابو العباس احمد بن عذاري العراكشي: البيان المغرب في اخبار الانداس والمغرب ، ج 3 ، نشر ليغي بروننصال باريس 1930 ، ص ، 196 97 . وك) الغونسو السادس وابن عمار توجعه في نفس اتجاهنا ، وقد آلمنا ذلك غاية النالم . وقد اخبرنا فيما بعد ان الهدف الوحيد من اختراقه كان هو الاستيلا على مملكتنا . (كتاب التبيان ص ، 74 .) وكل النصوص المأخوذة من كتاب التبيان ، وكذلك المصادر الاخرى هي ترجمة خاصة بعذه الدراسة . وقد قدمت الترجمة الانجليزية الكاملة هذا المؤلف كأطروحة المدراسة . وقد قدمت الترجمة الانجليزية الكاملة هذا المؤلف كأطروحة المدراسة . وقد قدمت الترجمة الانجليزية الكاملة هذا المؤلف كأطروحة مؤخرا في هولندا عند الناشر بريل سنة 1986 . نشرت هذه الدراسة مؤخرا في هولندا عند الناشر بريل سنة 1986 .

- 26). كتاب التبيان ، ص 77 ، الذخيرة ، قسم 4 ، ج 1 ص 157 ـ 60 .
 - 27) نفس المصدر ، ص: 88 ـ 95 .
- 28) والذخيرة» أ القسم الثاني على 10 ص : 19 ـ 22 . و «البيات المغرب» على 30 ـ 203 .
- 29) . * الذخيرة * ، القسم الثاني ، ج ، 1 ، المصدر السابق ، ص: 33 ـ 36 و * البيان المغرب * ، ج ، 3 ، المصدر السابق ، ص: 210 ـ 211 .
- 90) الذخيرة » القسم الثاني ع . 1 ، المصدر السابق ، ص: 268 ـ 269 . و « اعمال الاعلام » و « المنطق ، ص . 67 و « اعمال الاعلام » المصدر السابق ، ص . 171 ـ 172 .
- ANTONIO Prieto Y Vives انظر انطونيو بريتو (31 Los Reyes de Taifas estudio historico numismatico de los musulimanes ispanoles en el siglo V de Hégira (Xi de . G . C). Madrid , 1976 et Georges

Miles, coins of the spanish Mutuk at - TAWA, if, New york 1954:

32) A. Ashtor, Prix et Salairs dans l'Espagne musulmane aux et
XI Siécles, in Annales, Economies Civilisations vol X X, (1965) P. 664 - 79.

- 33) ابو نصر الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في ابنا الزمان، القاهرة 1283 هـ، ص: 1 ـ 10 .
- 34) يشتكي المأمير عبد الله بن بلقين بمرارة من اضطراره الى دفع مبالغ كبيرة إلى الفونسو السادس («كتاب التبيان» ، المصدر السابق، ص: 76).
 - 35) نفس المصدر ، ص: 72.
 - 36) نفس المصدر،
 - . 75 : ص : 75 عنس المصدر ، ص : 75 .
- 38) مجهول ، العلل الموشية في ذكر اللَّاخبار المراكشية نشر ، ال. س. علوش ، الرباط 1986 ، ص: 29 .

- (39) اعطى 50 ديناراً لشيخ يدعى فرقان لقا مشاركته في مؤامرة دبرها يدير لقلب بادس حاكم غرناطة («كتاب التبيان»، ص: 32). وقبل ان يسلم المأمير عبد الله بن بلقين غرناطة ليوسف بن تاشفين ضغط القائد المرابطي غارور على عبد الله لكي يجبره على دفع مبالغ تتراوح بين 500 و 1000 دينار. (نفس المصدر. ص: 115) بصفة دورية. ومن سخرية القدر النس المصدر. ص: 116) بصفة دورية ومن سخرية القدر المابغ الذي دفعه المعتمد بن عباد إلى شاعر المجبه قصيده. («قلائد القيان» المصدر السابق ، ص: 9 ـ 10).
 - 40) كتاب التبيان ، المصدر السابق ، ص: 116.
 - 41) نفس المصدر ، ص: 38 ـ 39 . (41
 - 42) نفس المصدر . ص : 77 .
- 43) نفس المصدر 'ص: 56. إلا أن النامير عبد الله بن بلقين ربدا لم يذكر حقيقة المبلغ الذي ترك له إذا اعتبرنا أنه كان يكتب مذكراته اثنا وجوده أسيراً لدى يوسف بن تاشفين وأم يستطع أن ينقذه .
 - الخصائص العامة للحياة المسكرية في إسبانيا الوسطية. عبرز (لوري) الخصائص العامة للحياة المسكرية في إسبانيا الوسطية. E. Lourie, Asolety organised For War: Medieval Spain, in Past and Present, N°. 1 1966, P. P. 54-76).

ويحلل مقال حديث مختصر كتبه مختص في المجتمع القشتالي الوسيطي ANGUS MACKAY : دور الحرب بصفتها مهنة في المجتمع الوسيطي Laguerra como oficio: Significado Y funccion de los guerras in la sociedad feudal castellana entie los Siglos IX y X I Vin, Historia 16, Madrid No 34, Feb. 1979. P. P. 45 - 54.

وحول نفس الموضوع انظر القسم المعنوي:

The Militarisation of Social Grouping in Angus Machay, I Spain In the Middle Ages, From Frontie Empire, 1000 - 1500, London and Basingstoke

وحول أهبية الحرب داخل دول الطوائف ودورها راجع كتاب «التاريخ

السياسي لـإشبيلية في عهد دول الطوائـف» للدكتور امحمد بن عبـود ا تطوان ا 1983 اص: 285 ـ 269 .

45) من ملحمة السيد يعبر عن (infanzon) الشجاع مفضلا على النبلا الغير المستحقين مثل أمرا كاريود سعيد هو سيدي الغارسي الغارسي النبلا الغير المستحقين مثل أمرا كاريوس، والموسعة الموسعة على المستوى التاريخي ويمكن تحميصها بالرجوع إلى مصادر موثوقه معاصرة لذلك.

46) Spain in the Middle ages, op cito P. 51

- . نفس المرجع · (47
- 48) كتاب التيبان ، المصدر السابق ، ص 69 . 76 . 48
 - (49
 - . 122 : ص : 122 .
 - 51) نفس المصدر.
 - . 123 : ض المصدر ، ص : 123 .
 - . 125 : ص : ما المصدر اص : 125
 - 54) نفس المصدر.
- قعبد الله بن بلقين عن هدده الفكرة حين كتب القد كنا في نفس الحال في هذا الحكما أعطى واحد منا المال ألى جيش ما وحاول آخر أن يضع حداً لهذا التفوق كان المأول يعطي قدرا اكبر ويخلي سبيله ؛ نفس المحدر عص: 70.
 - 56) نفس المصدر ، ص: 114 ـ 115 .
 - 67 نفس المصدر ، ص: 72 ـ 77 .

- 58) نفس البصدر، ص: 71.
- 59) نفس المصدر ، ص: 69.
- 60) نفس المصدر ، ص: 73 .
- 61) نغس المصدر ، ص: 101 .
- 62) نفس المصدر وص: 72.
- 63) نذكر هنا كمثل على ذلك تمرد ليوسنة (نفس المصدر، ص: 130ـ130)
 - 64) نفس الحصدر ، ص: 110 .
 - 65) نفس البصدر ، ص: 109 .
- 66) ص: 120 من نفس المصدر . إن السياسة الجبائية لبعض دول الطوائف كانت جد قاسبة حتى في بداية القرن الحادي عشر . فمثلا سنة 401 هـ ـ 1010 م . وصلت الضرائب مستوى مبالغا في الإفراط في بلنسية « القد وصل حد 120000 دينار شهريا ، 7000 دينار في بلنسية و50000 دينار في جانيبة (شتيبة) . وكان يقبض في قسوة كبيرة . . » (ابو حسان على بن بسام الشنتيريني . «الذخيرة في محاست اهل الجزيزة» القسم الثالست . ج . 2 . تحقيق إحسان عباس اليبيا ـ تونـس . 1975 من عال.
 - 67 ا كتاب التبيان ، نفس المصدر اص: 115 .
- 68) في حالة المعتمد بن عباد قام يوسف بن تاشفين بكل انواع الضغوط لإرغامه على الاستعانة بالفونسو السادس الذي لم يسعفه في شي على اي الا الله يوسف بن قاشفين وجد نفسه في موقف المتعم (بالكسر) تجاه حكام آخرين ومؤاخذتهم على تعاونهم مع الكافرين، وقد اعطتها مساندة الفقها لهذا الاتهام مشروعية أكبر فلما تبين للامير خلافه وقعوده عنه شاور الفقها في امره الأشاروا عليه بغزوه . فكان غزوه بعد إبلا غدر ؛ ولهذا ما اخربه ايهلك من هلك عن بيئة ولتكون له الحجة على من يريد إخراجه . فأمر الامير سير بالخروج إليه . ونهض ونحن بمكناسة . ونازله مدة طويلة ؛ ومعاقله قد ذهب اكثرها بالطاعة « (نفس المصدر ، ص : 169 _ 170) .



الفصل الثالث

الـدور السياسي والاجتماعـي للعلماء الاندلسيين في عهـد دول الطوائف

هل يمكن لنا أن نخرج بتصور كامل وواقعي للمجتمع الانداسي في القرن العجري الخامس دون اعتبار للدور العام الذي قام به العلما بصفتهم شريحة حية وجزاً لا يتجزأ من المجتمع الداخلت السياسة والدين بعضها مع البعض الآخر في العالم الاسلامي بما في ذلك الاندلس ، خلافا للعالم المسيحي حيث نلاحظ انفصالا قاريخيا للكنيسة عن الدولة في العصر الوسيط . نتيجة اذلك، شكل العلما الاندلسيون في القرن العجري الخامس مجموعة ملتحمة ثقافيا

واجتماعيا وحتى سياسيا في بعض الظروف ربما كانت فكرة انفصال الكنيسة عن الدولة السبب الرئيسي، معما كان خفيا، ورا تركيز المؤرخين مؤخراً (معما كانت جنسيتهم) على العناصر والابعاد السياسبة والاجتماعية والاقتصادية للتاريخ الاندلسي مع اهمالهم للبعد الديني. ليس هذا مكانا مناسبا لمناقشة قيمة انفصال الابعاد الروحية عن المادية للتاريخ الاندلسي. إلا أنه يجب تأكيد أهمية العامل الديني الذي كان يمثله العلما لكونه شكل عنصرا أهمية العامل الديني الذي كان يمثله العلما لكونه شكل عنصرا المجتمع المسيحي في شمال إسبانيا) خلال تلك الحقبة التاريخية. ويعكس هذا في المعتقدات واللغة المتداولة والسلوك والقيم الثقافية والحضارية الشائعة خلال تلك الفترة التاريخية.

ليس الهدف من هذا الفصل اثبات أهمية العنصر الديني بمعزل عن بقية العناصر في الاندلس كما أنه لا يرمي الى اظهار أهمية العناصر المادية بمعردها ، بل سوف نحاول أن نبين أن العلما شكلوا شريحة اجتماعية يطبعها الالتحام الديني بالدرجة الاولى ومع ذلك فقد ساهمت بوضوح في توجيه السير التاريخي في الاندلس في عقد دول الطوائف اجتماعيا وسياسيا ونلفت نظر القارئ الى أنه ينبغي ألا ينسى ان الاحكام والاستنتاجات التي سنخرج بها من هذا الفصل تخص فترة زمنية محددة ونعني عصر الطوائف (ونتيجة لذلك فقد تنسحب أو لا تنسحب على العصور الاخرى من التاريخ الاندلسي) كما عليه أن يتذكر أن الدور

الاجتماعي والسياسي للعلما الاندلسيين قد تطور وتحول خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة نفسها إذ انها تقدر بحوالي ثمانين سنة وربما يعود السبب الرئيسي لخلافات المؤرخين القوية حول القضايا المرتبطة بالتاريخ الاندلسي (بما فيها المسائل الدينية والاجتماعية) وانقسامهم الى تيارات متعارضة الى كون نقاشاتهم دارت حول نفس المواضيع خلال عهود مختلفة من التاريخ الاندلسي (1) . فقد نجد في نهاية الامر أن الاطراف المختلفة أصابت جزئيا الا أن خطأهم جميعا يعود الى محاولة كل طرف اعتبار الحق بجانبه وحده وبكيفية شاملة ومطلقة الالا أن مجال البحث التاريخي واسع إذ هناك متسعا للتعاون ولتكميل الباحثيات لمجهودات غيرهم . أما المواجهة ، فكثيرا ما تشكل مسعى غير ضروري وغير مثمر ولا طائل من ورائه وأخيرا نرجو لهذا الفصل أن يدل على الكيفية التي شكلت بها الابعاد الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية أجزا التي مختلفة لنفس الواقع التاريخي .

لا تشكل فحكرة التحام البعدين الديني والمادي في الحياة الاجتماعية الاندلسية في القرن الهجري الخامس موقفا اديواوجيا ثابتا بالنسبة لنا . ولم يكن هدفنا الاصلي اتخاذ هذه الفرضية واثبات انطباقها على المجتمع الاندلسي خلال فترة معينة بل على عكس ذلك ، يعود سبب اقتناعنا بالدور الرئيسي الذي لعبه العلما أفي الاندلس على المستوى الديني والاجتماعي ثم على المستوى السياسي الى فحصها للمصادر التاريخية العربية المعاصرة للقرن الخامس

الهجري والمتأخرة في إطار الدراسات التي قمنا بها حول جوانب أخرى في التاريخ الاندلسي ، خصوصا تاريخ إشبيلية في عهد بني عباد (2). وبعبارة أخرى ، كان موقفنا هذا نتيجة البحث التاريخي في جوانب ماديمة من التاريخ الانداسي خلال فترة محددة . لهذا فالسؤال الذي يجب أن يطرح ليس هو هل ذرى أن البعد الديني يكتسي أهمية كبرى وذلك بصفتنا مؤرخين عصريين بل علينا أن نتسال هل تأثرت الشخصيات المعاصرة للفترة التي ندرسها في القرون الوسطى في مكان معين خلال فترة معينة بالدين في حياتها الاجتماعية وفي تصورها لهذه الحياة . بعبارة أخرى ، ربما أخذت العلوم الاجتماعية التي تطبق اليوم طابعا تغلب عليه الماذية إن لم يسيطر عليها ، ولكن عندما نعالج مشاكل تاريخ القرون الوسطى لابد للمؤرخ الجدي أن يأخذ بعين الاعتبار الدرجة المرتفعة للوعي الديني التي سيطرت في جميع أنحا العالم الاسلامي والعالم المسيحي. إن المصادر التاريخية الرئيسية الاسلامية والمسيحية منها تشير دون أدنى شك الى هيمنة البعد الديني في التاريخ الاندلسي في عهد دول الطوائف (3) .

ولكى رغم الوجود الفعلي القوي لهذا البعد لم يحظ موضوع العلما بالاهتمام والدراسة التي يستحق. لقد أصدر عدد من أبرز المؤرخين الاوربيين على الاندلس أحكاما جد سلبية حول العلما الاندلسيين فعلى سبيل المثال ، نلاحظ أن ليفي بروفنصال ، المؤرخ الفرنسي اللامع للعصر المأموي والمحقق الدقيق لمأبرز

المخطوطات العربية للتاريخ الاندلسي، قد وصف المذهب المالكي في الاندلس بعبارات قدحية ومنها «المالكية القاسية عدوة التجديد» (Lo malikismo rigoriste et ennemi des innovations) أو «المذهب الجامد» (doctaine immobile) ولعل الاقتباس التالي يعكس تصور ليفي بروفنصال المنحرف للمذهب المالكي في الانداس بوضوح، خصوصا على عهد بني أمية:

المملكة الاموية من الخلافات والمنافدات الدينية التي كانت قد بدأت تظهر في باقي مناطق العالم الاسلامي ولكن القمع كان سريعا ولم تستثن منه أية طبقة في المجتمع ولم يخضع لمأية مناقشة في التراب الايبيري بفضل الوحدة المذهبية التي فرضتها المالكية . كانت الفتاوي تحظى بالتأييد الضمني المحاكم الذي لم يكن بوسعه هو الاخر أن يتعنت دون أن يؤدي ذلك الى استنكار الفقها فقط ، بل وحتى الى ردود فعل الجماهير الجاهلة من رعيته وهكذا طهرت الدولة الاسلامية الأندلسية منذ أبعد جذورها بصفتها الحامي والمدافع عن المذهب السني المتمسك بمبادئه يزداد تحجرا في الاحترام الاعمى لمذهب جامد ، تشك وتحرم مسبقا أدنى محاولة في التأمل العقلاني (4) .

يمثل هذا الاقتباس مواقف عدد من المؤرخين الـأوربيين حول المذهب المالكي في الاندلس وذلك اللسباب التالية: أولا، إنه يقدم المذهب المالكي كقوة جامدة يطبعها التعصب الديني. ثانيا،

يعتبر أن هذه القوة بلغت منتهى القمع نظرا للدعم الذي نالمه من طرف الدولة ونظرا لانفرادها ولتميزها بالطابع الرسمي . ونتيجة لذلك ، أصبحت جميع المدارس والمذاهب الاخرى تعاني القمع . ثالثا ، وكان نتيجة هذه الاوضاع أن الاندلس حرمت من الحيوية والعقلانية .

نعتبر طريقة التفكير التي قدمناها أعلاه خاطئة تماما وإن المصادر الاولية تشير الى اتجاه مخالف تماما . أولا ، لم يشكل المذهب المالكي في الاندلس قوة جامدة الجمود . فإذا قمنا بمراجعة المبادئ المالكية نجد أنها تتميز بدرجة هائلة من المرونة والتكيف مع الواقع الاجتماعي وبعد ذلك من الاسباب الرئيسية التي مكنت المذهب المالكي من اكتساب نجاح دام مدة طويلة في الاندلس . إن كتب سير وطبقات العلما والفقها الاندلسيين تعكس شريحة اجتماعية جد ديناميكية ومنتجة بغزارة كما وكيا .

ثانيا، تمتع العلما المالكيون بجذور شعبية عميقة في الانداس كما أنهم كانوا يؤطرون اجتماعيا ضمن الطبقة الوسطى أو حلقة العامة . فعلى سبيل المثال . يعكس العدد الكبير للعلما في عهد الطوائف شريحة اجتماعية ذات سند ودعم اجتماعيين هائلين .

دُالدًا، تمتع المذهب المالكي فعلا بدعم من طرف الدولة ويعود سبب ذلك بالذات الى الشعبية التي حطي بها هذا المذهب في الاندلس . بعبارة أخرى ، كان الهدف من اعلان المذهب

المالكي مذهبا رسميا سنة 170 هـ - 786 - 787 م عبارة عن وسيلة اعتمدتها الدولة لتتبنى المذهب الذي خطي بشعبية أكثر في الاندلس.

رابعا، إن الموقف القائل بأن المذهب المالكي إعرقل تطور الاتجاه العقلاني ليست مبنية على أسس متينة هي الاخرى. فإذا كان التاريخ الاقتصادي والسياسي للاندلس في القرن الهجري الخامس يعكس اتجاها سلبيا، فإن التاريخ الثقافي في نفس الفترة قد تميز بالازدهار في عدد من المبادين كما طبعه مفكرون من طواز عالمي

خامسا . جائت الاحكام والاستنتاجات الخاطئة بشأن المذهب المالكي والعلما في الاندلس عامة نتيجة للانحيازات والافكار المسبقة التي ميزت عددا من المستشرقين ومنهم ليفي بروفنصال لقد طبعت مجهوداتهم الجبارة ومساهماتهم في الدراسات الاندلسية بطابع أكاديمي متميز ومحترم . إلا أنهم تأثروا من جهة أخرى بأفكارهم المسبقة .

نذكر من بين المؤرخين الاسبان ميكيل آسين بالاثيوش المسر الذي انجز دراسة عميقة حول ابن حزم (5) ، إلا أن السر الذي يكمن ورا اهتمامه بابن حرزم يعود لما كان يتصف به هذا الاخير من فكر حر وكعالم ظاهري معارض للمذهب المالكي في الاندلس أما برونشفيك Brunschvig فقد نشر مقالة حول المذهب المالكي (6) ، وهناك دراسة مقارنة حول ابن حزم وأبي الوليد

الباجي (7) . كما درس غرسيا غوميث الفقيه البابيري (8) . وتثير مقالة حسين مؤنس حول فقها المالكية في العصر الاموي قضايا هامة وتتميز بتفكير عميق (9) ، إلا أنه كان مدفوعا برغبته في إثبات ثـأثير الشافعية في المالكية ويعود ذلك الى انتمائه الى المذهب الاول بصفته مصريا. كما كان المذهب المالكي في الغرب الاسلامي موضع الدراسة في أطروحتين لنيل الدكتوراه (10)، إلا أنهما لم تركزا على الدور الاجتماعي للعلما المالكيين في الاندلس وفي المغرب، كما كان ينبغي؛ بل اهتمتا أساسا بالعقيدة في المذهب المالكي. أما نشر «كتاب الصلة، لابن بشكوال فكان بامكانه أن يخلق اهتماماً شديدا بالادوار التي لعبها الفقها الاندلسيون في القرن الخامس للهجرة ومع ذلك لم يستغل هذا المعجم الحيوي لسير الفقها في القرن الخامس العجري استغلالا ناما وربما يعود ذلك الى كونه لم يترجم إلى أية لغة أوربية فلم يتمكن المؤرخون الاوربيون من دراسته ، أو قد يعود السبب الى الاهمال الذي عانى البعد الديني للتاريخ الاندلسي عموما . ومع ذلك، هناك دراسة حديثة متميزة حول العلما والتي اتخذت موقفا موضوعيا تجاه العلما المالكيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11) . كان الهدف الرئيسي من دراسة أورفوا دومينيك تطبيق المنهج الرياضي والاحصائيات على العلما في القرنين الخامس والسادس للهجرة. لذا تكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة لانها تشكل تجربة في تطبيق منهاج سوسيو اوجي عصري على فترة من القرون الوسطى.

ومع ذلك، فإن قوة هذا العمل تقع أيضا في كون المؤلف اثبت مقدرته على استغلال المصادر التاريخية الاولية استغلالا تاما، خصوصا حكساب الصلة، لابن بشكوال (12). نتيجة لذلك فإن أرائه وتفاسيره مبنية على برهان تاريخي متين كما تنجلي مساهمة أورفوا (١٠٧٥) في فحصه لتوزيع العلما الاندلسيين في القرنين الخامس والسادس للهجرة ثم تصنيفه للتخصصات الثقافية واتجاهات هدا العصر.

ما مدى انعكاس وجود العلما في المصادر العربية التاريخية في المأندلس في عهد دول الطوائف بطبيعة الحال، يعتبر ابن بشكوال مصدراً رائعا لدراسة العلما خلال هده الفترة (13). وفعلا ، اعتمد دومينيك أورفوا (Urvoy) على هذا المصدر في دراسته السوسيولوجية إلا أن هذا المصدر ما يزال عبارة عن منجم بكر من المعلومات (14). أما معاجم السير المتأخرة مثل كتاب ابن خلكان الهام (15) فتتجلى قيمتها في كونها مصادر تكميلية . ويعتبر كتاب ، نفح الطيب ، قيمتها في كونها مصادر تكميلية . ويعتبر كتاب ، نفح الطيب ، ودراسة عهد دول الطوائف بل لدراسة التاريخ الاجتماعي العام في الاندلس . أما أعمال المؤرخين المتأخرين مثل ، البيان المغرب ... ، للمراكشي (18) و ، الروض لابن عذاري (17) و ، المعجب . . ، المراكشي (18) و ، الروض المعطار . . . ، للحميسري (19) أو ، الحلىل الموشية . . . ، لمؤلف أندلسي مجعول الإسم (19 مكرر) وغيرها من المصنفات القيمة والتي تفيد في معرفة التاريخ العام لعهد الطوائف وبدرجة أقل دراسة دور

العلما في عهد الطوائف. ومع هذا فإننا نصادف من بينها مصدرين تاريخيين أساسيين لدراسة عهد دول الطوائف عامة ، كما سنرى في القسم الثاني من هذا الفصل ، تتجلى أهميتهما أيضا في دراسة الدور السياسي للعلما الاندلسيين خلال هذا العصر، ونعنى مذكرات عبد الله بن بلقين الزيري المسماة ، كتاب التبيان ، (20) . والاقتباسات التي وصلتنا من كتاب ، المتين ، لابن حيان (21) ثم « الدُخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام (22) يعتبر كل من عبد الله بن بلقين وابن حيان شخصيتين معاصرتين لعهد الطوائف بينما عاش ابن بسام في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الاول من القرن السادس للهجرة . لا توجد المعلومات حول النشاط السياسي لعدد من العلما والفقها الواردة في هذه المصادر في أي مصدر آخر. إذاً، كيف قام هؤلا المؤرخون بدراسة الدور السياسي للعلما والفقعا الاندلسيين في عهد الطوائف ؟ سوف نتطرق في القسم الاول من هذا الفصل الى مناقشة الدور الثقافي والفكري للعلما على الله على دورهم السياسي في القسم الثاني. يستحق الدور الثقافي مناقشة دقيقة ومطولة ، ولكن هدف هذا القسم ينحصر أساسا في طرح مجموعة من الاسئلة وتسليط الاضوا على بعض الجوانب الهامة لهذا الدور الثقافي الذي نرجو أن يعظى بدراسة دقيقة في المستقبل من طرف غيرنا من الباحثين. إن بعض المصادر التي ذكرناها أعلاه معروفة ، خصوصا لدى المختصصين . ومع ذلك، يكتسي ذكرها أهمية كبرى في إطار مشكلة المصادر التاريخيـة العربية لدراسة عهد الطوائف. لقد كان عصر الطوائف شأنه في ذلك شأن جميع عصور التاريخ الوسيط أكثر تعقيدا من تصورنا له اعتمادا على المصادر الاولية. ولا يمكن للعلما المهتمين بتاريخ هذه الفترة إلا أن يرحبوا باكتشاف مخطوطات جديدة لدراستها. ومع ذلك ، خلافا للفترات التاريخية الاخرى التي لا نتوفر إلا على مصادر قليلة وفقيرة من حيث نوعيتها فإن بعض المصادر لدراسة عصر الطوائف تنفرد بطابع متميز وبالرغم من كونها حطيت بتحقيق ممتاز من لدن علما مقتدرين فلم تستغل كليا في الكتابة التاريخية.

وبعبارة أخرى ، لا يعود السبب لكوننا نعرف أقل مما يمكننا أن نعرفه حول عهد الطوائف ـ أو ؛ فقط إلى ضياع بعض المصادر الاولية الثمينة لدراسة هذه الفترة مثل النص الكامل ، لمتين ، ابن حيان الذي لم يعثر عليه الى يومنا هذا ، بل ويعود أيضا الى كون تلك المخطوطات التي خطيت بالعناية والتحقيق مثل ، كتاب التبيان ، و د ذخيرة ، ابن بسام ، لم تستغل إلا بحيفية سطحية بالنسبة لتاريخ عهد الطوائف .

الدور الثقافي والفكري

قبل مناقشة الدور الاجتماعي والسياسي للعلما يجب علينا أن نتسائل بشأن طبيعة هذه الشريحة الاجتماعية. إن الشريحة الاجتماعية التي نريد دراستها هي النخبة الثقافية والدينية في الانداس في القرن العجري الخامس. فهل يجب علينا أن نطلق عليها مصطلح العلما أم الفقها ؟ إن مصطلح العلما هو جمع عالم ومصدره العلم، يعني المعرفة. أما مصطلح الفقها فهو جمع فقيه ومصدره الفقه بمعنى الشرع الاسلامي مع أن ابن منظور حدده في معجم دلسان العرب، بد مناطم بالشي والفهم له ، ورغم الارتباط الديني القوي لهذا المصطلح نجد استعماله في إطار غير ديني كما هو الشأن مثلا في المصطلح نجد استعماله في إطار غير ديني كما هو الشأن مثلا في فقه اللغة ، ومع هذا فالامر الذي يهمنا أساسا هو استعمال مصطلح الفقعا ومصطلح العلما لتحديد شريحة أو شريحات إجتماعية ، إذا الفقعا ومصطلح العلما لتحديد شريحة أو شريحات إجتماعية ، إذا حاولنا تحديد كل شريحة اجتماعية على حدة نواجه مشاكل نظرا

لتدخلهما . يمكن القول إن نظام التعليم في الاندلس كان موحدا إلى حد بعيد . فبعد حصول طالب العلم على التعليم العام الاساسي يختار ممارسة دراسته لفروع مختارة من المعرفة مثل فرع من فروع الفقه أو النحو أو الحديث إلخ . . . ولعل حقيقة وجود عدد كبير من الشخصيات الادبية في الاندلس تطرح تساؤلا وهو عل كان الادب (خصوصا الشعر) يدرس في المساجد التي قامت بدور المدارس (23) ؟ قد يكون الجواب الصحيح بالنفي ، ولكن يحتمل جدا أن العالم الذي حصل على المبادي الاساسية في النحو واللغة ، ثم اهتم بالادب استطاع أن يتابع دراسته في هدذا الميدان بطريقة حرة، إما اعتمادا على مجهوده الشخصي أو مع اصدقائه ومن المحتمل أن انتشار الادب كان يعتمد على النقل الشفوي لقد أصبح الشعر العربي شائعا في الجزيرة العربية اعتمادا على تقليد شفوي وذلك منذ عهد الجاهلية قبل ظهور الاسلام كما تطور الشعر تطورا ملحوظا في الاندلس في إطار عملية التعريب التي وصلت الى درجة جد متطورة في القرن الخامس الهجري كما ذرى من خلال كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام مثلا وتعتبر الكتابة وسيلة أخرى لإشاعة الادب العربي . لقد كانت الكتب التي ظهرت في القرن العجرى الخامس هامة جدا من حيث العدد كما تعتبر من أرقى المستويات وذلك في جميع ميادين المعرفة المعروفة آنذاك (بما فيها الأدب).

كثيرا ما يصعب التفريق بين العلما والفقها لانهم جميعا من انتاج نفس النظام التعليمي بالرغم من كونهم تخصصوا في فروع معرفية مختلفة . ومع هذا كان بامكان العلما أن يتخصصوا في أكثر من فرع ميدان من ميادين المعرفة . كما نجد أن بعض العلما تخصصوا في كل من فروع المعرفة الدينية واللادينية في آن واحد. ولعل مثال ابن حزم من أبرز الامثلة على ذلك. فقد ألف في ميادين مختلفة كمقارنة الاديان (24) والنسب (25) والادب (26) والفقه (27) وميادين أخرى (28). ومع هذا لم ينفرد ابن حزم بالتأليف في ميادين متعددة . فقد كان عدد من العلما الاندلسيين شعرا ماهرين (29) . كما كان تصور التخصص شائعا وعاديا . فعلى سبيل المثال ، يعتبر ابن حيان مؤرخا وابن بسام جماعة أدبياً وناقداً وأبو الوليد الباجي فقيها بالدرجة الاولى وابن زيدون شاعرا. بعبارة أخرى لقد كان التخصص موجودا إلا أنه كان بامكان العالم أن يتخصص في أكثر من ميدان لان المعرفة كانت تصور كذات واحدة لها فروع متعددة. وأخيرا، من المهم أن نلاحظ أن التعليم في الانداس كان يشمل علوماً دينية وغير دينية مع أن البعد الديني طبع نظام التعليم ككل. بعبارة أخرى ، كانت المعرفة مرتبطة بالدين ارتباطا قويا كما شجع الدين على الحصول على المعرفة وانتشترها في اشكالها المختلفة باعتبارها واجبا دينيا.

ومما يجعل أمر التفريق بين الفقها والعلما صعباً طابع تعدد الابعاد للتعليم في الانداس في عهد دول الطوائف. ربما سوف يتضح

المشكل أكثر إذا فحصنا الكيفية التي نظر بها الاندلسيون المعاصرون لهذه الفترة الى هذين المجموعتين أو كيف استعملوا المصطلحين معا لتحديد نفس الشريحة الاجتماعية . تشير المصادر المعاصرة الى الفقها والى الفقيه . وهكذا نلاحظ أن هناك إشارات الى الفقها بصفتهم يشكلون شريحة اجتماعية ملتحمة ثم هناك إشارات إلى أفراد ينتمون الى هذه الشريحة (30). يعبر مصطلم العلما عن مركز أو وضعية. ومع ذلك، هناك إشارات أيضا الى العلما بصفتهم يشكلون شريحة اجتماعية، هناك اشارات الى « عالم ، والى « العلما ، للدلالة على الطبقة المثقفة (31) . ولكن كان الفقها من جهة أخرى علما في ميادين غير الميادين الدينية. بعبارة أخرى ، كانوا علما اللهفهوم الحديث للكلمة ، لان اهتماماتهم الثقافية كانت تضم الفروع الفقعية إلا أنها لم تستثن بالضرورة المذاهب العلمية غير الدينية. في الختام، بامكاننا أن نختار واحداً من المصطلحين أو كليهما لوصف النخبة الدينية الاندلسية في القرن الهجري الخامس بعد تحديدنا لكل من المفهومين ولمعناه . فيما يخص هـ ذا الفصل ، فسوف نستعمل المصطلحيان بصفتهما مرادفين . وربما يمكن تبرير هـذا الموقف لان ابن بسام استعمل المصطلحين مشيرا الى نفس الشخص . فعلى سبيل المثال ، وصف ابن الفرضي فنعته بمصطلح د . . . الفقيه ، ثم أشار إليه في نفس الفقرة قائلا «شاعر مقل ، هو في العلما الدخل منه في الشعرا " . . . ، (32) . إلا أن هذا المثال لا يحل المشكل بصفه نعائية،

لان ابن بشكوال استعمل المصطلحين (العلما والفقعا) في نفس العنوان لكتابه حول سير العلما والفقعا الاندلسيين وذلك كالتالي: « كتاب الصلة في تاريخ أثمة الاندلس وعلمائهم ... وفقهائهم ... وفقهائهم ويشير استعمال المصطلحين في عنوان واحد الى اعتبار المؤلف الفرق بينهما بسيطا باختصار ، لقد استعمل بعض المؤلفين المصطلحين بصفتهما مرادفين ولكن علينا أن نتذكر أنه لا يوجد مرادفين لهما نفس المعنى والدلالة بالذات .

لقد أخذ المؤرخون من مختلف الانجاهات العلما في الاندلس مأخذ السعولة. فعلسى سبيل المثال ، اعتبروهم جزاً من المذهب المالكي والحركة المالكية دون أخذ خصائصهم الفردية بعين الاعتبار وبالجدية.

بل أكثر من هذا ، لم ينتقد المؤرخون الغربيون المذهب المالكي في الاندلس بموضوعية إلا القليل منهم ومن هنا نلاحظ أن المأحكام والتعميمات التي خصصت للمذهب المالكي قد ارتبطت بالعلما الاندلسيين فكانت هذه المأحكام إما إيجابية جدا أو سلبية إلى أقصى الحدود بعبارة أخرى ، بينما تهجم البعض على المذهب المالكي . كما طبق في الاندلس وشوهه وذلك يعني تشويها ضمنيا للعلما الاندلسيين ، فقد مدحه آخرون الى أقصى الحدود . فبينما اعتبر البعض المذهب المالكي قوة تاريخية جامدة ورجعية في الاندلس ، اعتبره آخرون قوة اجتماعية مرنة ومحركة ومنشطة . وهكذا فقد حظي العلما أيضا باحكام قاطعة . فقد رأى البعض وهكذا فقد حظي العلما العلما العلما العلما العلما العلما العلما المناطعة . فقد رأى البعض

أنهم كانوا يمثلون ويجسدون قوى رجعية ومتأخرة ومتشددة، بل ومتعصبة ، بينما اعتبر آخرون أنهم كانوا يشكلون قوة تقدمية ودينا ميكية بل ومتنورة . إن أسباب وجود هذه الآرا المتعارضة والمتضاربة تعود الى كون مشكل العلما وأدوارهم الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية لم تحدد بدقة علاوة على ذلك ، نجد عدداً من الاحتمالات والافتراضات الخاطئة ورا المواقف المختلفة تجاه العلما " بصفتهم شريحة اجتماعية منظمة . وملتحمة . وربما كان أخطر افتراض خاطئ هو القائل أن العلما الاندلسيين شكلوا شريحة دينية ملتحمة كانت نتصف دوما بنفس الخصائص وتعدف الى تحقيق أهداف معينة معما كانت الفترة التي تناقش في التاريخ الاندلسي ومعما كانت أنحا الاندلس التي يعني بها الدارس. بعبارة أخرى ، لقد نظروا الى العلما ً بطريقة مجردة لا ترتبط بالواقع الذي كونه هـؤلا العلما . ومع هذا ، فمن الواضح أن العلما اختلفوا عن بعضهم من مدينة لاخرى ، مثلا من قرطبة الى إشبيلية. ومن الواضح أيضا أنهم تطوروا عبر عهود وأزمنة مختلفة .

رغم وجود استشهادات وإحالات وافرة للعلما وللفقه في الانداس في المصادر الاولية ورغم أهمية الدور الذي قاموا به في الانداس في عهد دول الطوائف فلم يحظوا إلا باهتمام محدود وبدراسة قليلة (33). على كل ، تعتبر المعالجة التي خصصت لهم غير موازية لاهميتهم كما ظلت جوانب متعددة من هذا الموضوع مجهولة لم تر النور بعد. لماذا بقيت الامور على هذه الطريقة ؟ تتعدد أسباب هذا الاهمال .

أولا، لم يعظ التاريخ الاجتماعي للاندلس عامة بما يستحقه من عناية الدارسين ولا يمكن ابراز أهمية العلما إلا بعد دراستهم في إطارهم العمام.

ثانيا، لقد أيقظ عدد من العلما البارزين من القرن الهجري الخامس خصوصا ابن حزم اهتمام الدارسين لاسباب مادية وفكرية ونتيجة لهذا فقد أهملت وبخست أبعادهم الدينية والاجتماعية.

ثالثا ، لقد غطت الاصطدامات السياسية والاضطرابات الاجتماعية في الانداس على المساهمة الثقافية والفكرية الايجابية للعلما الاندلسيين في القرن الهجرى الخامس .

رابعا، لقد افترض أن العلما كانوا يشكلون شريحة اجتماعية محكمة ومذمجة يتجلى هدفها الاساسي في الدفاع عن المذهب المالكي والرجعي، في الاندلس كما سبق أن ذكرنا أعلاه، لقد افترض أن هذه الشريحة الاجتماعية تمثل قوى الرجعية ونتيجة لذلك فهي لا تستحق اهتماما كبيرا. كما أن احتمال قيام هذه الشريحة الاجتماعية بدور ايجابي سياسيا وثقافيا وحضاريا قد رفض مسبقا.

خامسا، لقد اعتبرت بعض الاحكمام التي طبقت على العلما ، خصوصا في المغرب ، صالحة أيضا للعلما ، في الانداس . فعلى سبيل المثال ، اعتبر مفعوما «الاسلام الشعبي» و «الاسلام الرسمي» اللذان أطلقهما بعص المؤرخين والانثروبولوجيين الفرنسيين خلال عهد الحماية على المجتمع المغربي صالحين للعلما ، في الانداس أيضا (34).

ويمكن انتقاد هذا الموقف على مستويين . فمن جهة ، لا يعكس مفهوم «الاسلام الشعبي» (ثم الاسلام الاندلسي والاسلام المغربي ، إلخ . . .) الواقع التاريخي . ومن جهة ثانية ، فإن تطبيقه على المغرب الاقصى. المغرب العربي عامة لا يبرر في حد ذاته صلاحيته بالنسبة للاندلس. فالقول بأن المجتمعين المغربي والاندلسي يشتركان في خصائص إسلامية مشتركة شيء، والقيام بمقارنتهما بنا على فرضيات لم تثبت علميا شي ثان. لقد انخذ بعض المؤرخين الفرنسيين هذا الموقف خلال عهد الحماية لانهم كانوا يعتمون بالاندلس أساسا لكونها ساعدتهم على فهم المغرب أكثر . ومع هذا يجب على المؤرخ المهتم بالاندلس أن يدرس التاريخ الاندلسي دون أفكار مسبقة . ليس هذا بالمكان المناسب للجدال بشأن مفعوم الاسلام الشعبي . فهذا الاخير هـو عبارة عن مصطلح مهذب للتعبير عن «الاسلام القبلي، أو الاسلام كما كان ممارسا لـدي القبائل المغربية . ولكن قبل تطبيق هذا المفعوم على الانداس علينا تحديد مدى قبلية المجتمع الاندلسي أن نتسال هل كان المجتمع الاندلسي قبليا وإذا كان كذلك فإلى أية درجة ؟ إننا ذرفض هـذا الموقف بالنسبة للاندلس في القرن الخامس للهجرة (35).

تمتع العلما الاندلسيون في القرن الخامس الهجري بمركز اجتماعي متميز لعدة أسباب. ودون مناقشة هذه العوامل مناقشة دقيقة سوف نشير فيما يلي إلى أهمها:

أولها تتجلى في كونهم كانوا مسؤولين عن توجيـه التعليم وتطبيق السياسة التربوية التي كانت تنظم في المساجد الاندلسية كما كان الشأن في سائر أنحا ً العالم الاسلامي . أما تطور المدارس فعو ظاهرت ظهرت بعد القرن الخامس في أنحا مختلفة من العالم الاسلامي. إلا أن هذا لم يؤثر في الروابط المتينة بين التعليم والدين. بالنسبة الانداس في القرن الخامس الهجري كانت الدراسة مع أشهر أساتذة العصر تعتبر مفخرة. وقد ذكر ابن بشكوال أسما عدد من العلما الذين درسهم وعدد أساتذتهم (36) . كما حصل عدد من العلما على شهرة واسعة النطاق كأساتذة بارزين في ميادين معينة. فبعد تقاعده بمنزله قرب لبلة، تفرغ ابن حسزم للتدريس (37) . ويشير ابن بسام إلى أن عدداً صغيراً من الطلبة تبعوا ابن حزم لان الفقها الاخرين أدانوا أفكاره (38). وربما يشير هذا الى أن أعداداً كبيرة من الطلبة تجمعت حول الاساتذة في المدن الاندلسية الكبرى، خصوصا قرطبة التي حافظت على تفوقها العلمي والثقافي رغم ما عانته من تخريب وفتن (39) ، أو إشبيلية التي تعتبر أسرع المدن نموا في الانداس على عهد دول الطوائف (40). وربما كان التعليم بالمجان في الانداس إلا أن المقري يشير إلى اتجاه معاكس عندما قال: ١٠٠٠ ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقر ون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فعم يقر ون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعلم منهم بارع لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه يحمله على أن

يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ ... ، (41). ومع هذا، اعتبارا لانتشار التعليم الواسع في الاندلس الذي يتضح من العدد الكبير للاساتئة الذين تذكرهم المصادر، ونظراً للمستوى الثقافي والفكري الرفيع الني الصفت به كلا من الميادين الدينية والدنيوية، من المحتمل أن هذه الاجور كانت قليلة ولا شك أن الهدف الرئيسي لهذه الاجور لم تكن مهنة لم يتعد تغطية مصاريف الاساتذة وبعض حاجاتهم. ولم تكن مهنة التعليم قط وسيلة للحصول على الأموال بهدف الغني.

ثانيا ، يجب علينا أن نؤكد بالحاح على نمتع العلما الاندلسيين في القرن الخامس للهجرة بمركز ومحكانة اجتماعية متفردة . وكان هذا المركز كما سبق القول أعلاه ، مبنيا بالدرجة الاولى على درجة معرفتهم ولكن حتى على استقامتهم وأخلاقهم وسلوكهم ودورهم بصفتهم كانوا يمثلون القيم والممارسة والتعاليم الاسلامية ، هذه هي الخصائص والصفات التي وجب على العلما الحصول عليها ولم تحقق بواسطة الوراثة أو أشكال أخرى من الامتيازات الاجتماعية. طبعا ، نجد علما كانوا أبنا علما آخرين . نذكر على سبيل المثال ، حالة أبي محمد عبد الله بن عبد البر ابن الفقيه الشهير أبي عمر بن عبد البر النمري (42) . ومع هذا ، تعود أسباب مشل هذه الحالات بالدرجة الاولى الى البيئة الثقافية الملائمة والى رغبة المثقفين في نقل علمهم الى أبنائهم . فالعالم كان يكسب سمعته الماسا اعتمادا على مقدرته الشخصية والاستحقاق مهما كان نسبه

أو نسب أبيه. وكان على العلما أن يكسبوا اعتراف معاصريهم من العلما بعم وهكذا فلاحظ أن المؤرخين ومؤرخي سير العلما كانوا نقادا خصصوا المدح المطلق لمن استحقه. إلا أنهم لم يترددوا في انتقاد آخرين بأسلوب مدمر ومقذح (43)

ومن أهم الاسباب التي تفسر تمتع العلما بمركز اجتماعي متميز وبدرجة كبرى من المصداقية أن أهدافهم الاساسية في الحياة لم تكن مادية . مثلا لم يكن الحصول على العلم مرتبطا بدخل مرتفع وبثروة عظمى أو بأرباح مادية بل على عكس ذلك ، اعتبر واجبا دينيا وأخلاقيا كما اعتبر العالم بطبيعة الحال امتيازا. فدون أن ينبذ العالم عن جميع أشكال الحياة الدنيوية مثل الصوفيين، كانوا يرغبون أساسا في الحصول على المعرفة ونقلها وفي حياة نظيفة تعكس درجة عليا من التقوى والاستقامة والإلهام الروحي بطبيعة الحال ، لم يوفق جميع العلما في ذلك ولم تنطبق المقاييس التي ذكرناها عليهم بحيث انتقدوا بشدة في مثل هذه الحالات. علاوة على ذلك ، لم تنطبق هذه المقاييس عليهم بنفس الكيفية أو بنفس الدرجة . ولكن عموما ، تمتع العلما" بمركز اجتماعي متميز لم يحصلوا عليه بطريقة تلقائية، فكان مركزهم الاجتماعي عموما مبنياً على مقاييس الاستحقاق يكسب ولم يورث. نتيجة لذاك، كان بامكان شخص أن يتحول الى عالم بعد ممارسته لحياة تعارض الشريعة وتبعد كل البعد عن العلم ، معوضا هكذا ما فاته فى الماضى (44) . لم ينحصر الدور الاجتماعي للعلما الاندلسيين في المجالات التعليمية والدينية بل إنهم شغلوا مناصب إدارية. ومن أهم الادوار التي قام بها العلما تدريبهم للاطر التي شغلت مناصب إدارية مختلفة لانهم احتكروا وسيطروا على نظام التعليم .

وتتجلى أهمية هذه القضية خاصة في المدن الكبرى المتطورة مثل إشبيلية حيث كان للادارة دور هام نسبيا . ومع أن المناصب السياسية كانت تحفظ بالدرجة الاولى للعسكريين وللشخصيات الادبية ، فقد مارس العلما ورجة معينة من النفوذ السياسي .

كما تجدر الاشارة إلى أن العلما لم يقفوا مكتوفي الايدي أمام الحركة الادبية المنتشرة والانتاج الفكري المبدع في الاندلس في القرن الخامس للهجرة. ومن أبرز الدوافع التي دفعت بابن بسام الى اتخاذ قراره بشأن جمع مجموعة الاشعار الاندلسية العربية فسي عهد دول الطوائف ، رغبته الشديدة في إثبات وإظهار وإشهار تساويها الادبي إن لم نقل تفوقها الادبي على الشعر العربي المشرقي (45). لقد ضم ابن بسام أبيات بعض العلما الاندلسيين في كتابه وذلك في إطار إظهار مقدرتهم الابداعية والادبية. وهكذا انخذ ابن بسام نفس المنهاج والتحليل المقارن الذي طبقه على الشعرا الاندلسيين والمشارقة الذين تمتعوا بموهبة شعرية . ومما تجدر الاشارة إليه أنه أشار الى صنف من الادبا أطلق عليهم مصطلح ، العلما الشعرا الله ومن الطريف

أن نلاحظ أنه مع احتفاظة بالمدح السخي لبعض العلما المشارقة الذين صنفهم ضمن رتبة «العلما الشعرا ، فإنه لم يتردد في إنتقاد غيرهم بشدة. وهكذا فقد ذكر ابن بسام أسما أبرز العلما الشعرا المشارقة. ثم وصل الى الاستنتاج التالي: «هـؤلا أعيان العلما المشارقة ، ثم وصل الى الاستنتاج التالي: «هـؤلا أعيان العلما الشعرا بالمشرق ، ممن علا شعرهم ديباجة ورونقا ، فأما من سواهم كيونس والاخفش وأبي عمرو بن العلا وسيبوبه والفرا وسائس أصحابهم فأكثر الرواة لم يسمع لهم بشعر ، (47) . كما ختم انتقاداته كما يلي : «والكسائي الذي يقول : «إنما النحو قياس يتبع ، ، له شعر ضعيف ، بين التكلف ، فأما أبو عبيدة فله شعر يضحك . . . ، (48) .

ومن المدهش حقا أن ينتقد ناقد أدبي أندلسي شعرا عسرب بمثل هذه الجرأة .

وقبل نقديمه للعلما الشعرا الاندلسيين في القرن الخامس للهجرة أشار ابن بسام أنه لم يشمل العلما الشعرا الذين عاشوا قبل عهد دول الطوائف وذلك حسب منهجية شرحها فيما يلى :

• وأما العلما الشعرا بأفقنا هذا الاندلسي من حين استفتحت الجزيرة الى آخر دولة بني عامر ، فقد تقدم المصنفون قبلي إلى تدوين نثرهم ونظمهم ، فأغناني عن ذكرهم ، وإنما شرطت ذكر تدوين نثرهم من شاهدته بعمري ، أو لحقه بعض أهل دهري، (49).

إن منهاج ابن بام الدقيق الواضع في تحديد اهتمامه ليس الشخصيات أدبية من النوع الذي رسمه فحسب ونعني للشعراء،

بل وللفترة التي اختار أن يركز عليها . ولم ينحصر هذا الاختيار المنهجي في دراسته للشخصيات الادبية التي عرفها مباشرة وبعمق ، بل أيضا حتى يجانب التكرار .

لقد أبرزنا بعض خصائص العلما "الاندلسيين بصفتهم قدة إجتماعية متحركة بحيث سلطنا الاضوا "عليها وكانت هذه الاخيرة توجد كشريحة إجتماعية ملتحمة في الاندلس، ولكنها لم تكن منظمة بطريقة منعجية لم يوجد مفهوم البنية المنظمة تنظيما هرميا كما هو الشأن بالنسبة للرهبان الكاثوليكيين أو الملاة الشيعيين بل شكل العلما شريحة ملتحمة بمعنى أنه كانت لهم خصائص مشتركة كما انطبقت عليهم مقاييس مشتركة . فعلى سبيل المثال شاركوا بعضهم في تدريب ثقافي وديني وتعليمي مشترك كما جمعتهم عقائد دينية مشتركة وعملوا جميعا على نشر تعليم مشترك كما جمعتهم عقائد دينية مشتركة وعملوا جميعا على نشر باحترام واسع بصفتهم مدافعين عن الاسلام ومعلمين له .

ومع ذلك، فهذا لا ينفي وجود خلافات بين علما وفقها وأفراد. تبرهن كتب سير العلما الاندلسيين مثل كتاب الصلة، لابس بشكوال أن اهتمامات العلما الثقافية كانت تختلف لانهم تخصصوا في فروع مختلفة من الفقه والشريعة الاسلامية كما نلاحظ وجود بعض الخلافات العقائدية بينهم إلا أن هذه الاخيرة لم تشكل ظاهرة أو اتجاها عاماً.

ومن المهم جدا تأكيد طبيعة العلما بصفتهم طبقة حضرية . شكل العلما أساسا ظاهرة حضرية لان دور المساجد في المدن كان أحثر أهمية بصفته مصدرا للتنظيم الاجتماعي مما كان في المناطق الريفية وذلك بالرغم من كون المناطق الريفية كانت تتمتع بتطور في أندلس القرن الخامس الهجري لم تعرفه نظيراتها في شمال إسبانيا والمغرب خلال نفس الفترة . قام دومينيك أورفوا في شمال إسبانيا والمغرب خلال نفس الفترة . قام دومينيك أورفوا مي شمال إلبانيا والمغرب خلال نفس المترة . قام دومينيك أورفوا مركزهم الاجتماعي ودرجة حركيتهم الاجتماعية التصاعدية والتنازلية في إطار الطبقة الوسطى الاندلسية . كما كانوا يتمتعرن بحركة في إطار الطبقة الوسطى الاندلسية . كما كانوا يتمتعرن بحركة ووية فسافروا الى المشرق ليس لاهداف تعليمية ودينية فحسب، بل قوية فسافروا الى المشرق ليس لاهداف تعليمية ودينية فحسب، بل ولأسباب مادية وسياسية بحثا عن رفع مستوى معيشتهم وعن أمن

وأخيرا، لم يتخذ العلما الاندلسيون في القرن الخامس الهجري موقفا محايدا أمام قضايا عصرهم الكبرى وعلى رأسعا انقسام الانداس الى دول طائفية وفساد عدد من ملوك الطوائف ومؤيديهم والضرائب الثقيلة والضرائب غير الشرعية، والعلاقات الاندلسية مع ممالك شمال إسبانيا المسيحية والمغرب. لم تكن مواقفهم ثورية، إلا أنهم ساهموا بالتأكيد في التطورات السياسية العامة كما سنرى في القسم الماتى.

يتجلى الهدف الاساسي لهذا الفصل في تأكيد دو العلما الاندلسيين في القرن الهجري الخامس بصفتهم قوة اجتماعية ديناميكية.

لا يجب علينا بأي وجه من الوجوه أن نربط العلما والمذهب المالكي بالتقسيم والفوضى والفتنة التي أصابت الاندلس في عهد الطوائف اقد كانت القوى ورا تقسيم الاندلس إلى دول طائفية والانجاه الانتحاري التي اتخذته هذه الاخيرة يعود أساسا الى عوامل اقتصادية داخلية وخارجية (50). وكانت التطورات السياسية في الاندلس تخرج إلى حد بعيد عن نطاق سيطرة ونفوذ العلما ورغم دور العلما السياسي المحدود، لم تكن لهم مساهمة في سيرورة اتخاذ القرارات في الدول الطائفية. وفيما يخص حالة البحث الحالية في هذا الموضوع، فإننا نواجه صعوبة كبرى في محاولتنا لفهم طبيعة تاريخ الدول الطائفية (51)، ولكن من الواضح أنه رغم الانهيار الاقتصادي والسياسي العام للانداس استطاع العلما المحافظة على وحدة المجتمع الاندلسي والتحامه.

الدور السياسي للعلمناء الاندلسيين

لم يفعم المؤرخون الدور السياسي للعلما في الانداس في القرن الخامس للعجرة أو تجاهلوه بكل بساطة ، وذلك نظرا لتناقضاته الظاهرية ولتعقيده ، ونظراً للادوار السياسية البارزة التي قامت بعما عناصر أخرى ، خصوصا القواد العسكريون وملوك الطوائف (ومساعدوهم) حكما عتمت التعميمات والتصورات الخاطئة التي شاعت على نطاق واسع الدور السياسي للعلما الاندلسيين ولم يجهد إلا القليل من المؤرخين نفسه في دراسة المصادر الاولية بجدية قبل الوصول الى استنتاجات عامة . كان الدور السياسي للعلما يتصف بعدد من العناصر والخصائص الذاتية الداخلية .

أولا، انقسم العلما على بعضهم سياسيا بحيث انخذوا مواقف مختلفة وأحيانا متناقضة عندما واجهوا حالات ونطورات معينة. فمن جهة، عكسوا الطابع المتناقض والمتعارض لملوك الطوائف.

بعبارة أخرى، كان ملوك الطوائف في صراع مستمر مع بعضهم. وكان العلما موزعين في مختلف أنحا الدول الطائفية في الاندلس. ونتيجة لذلك سانسدت بعض المجموعات من العلما حكاماً معينين في السدول الطائفية التي عاشوا فيها. ويعني ذلك ضمنيا أنهم لم يكونوا في موقف مناسب لمسانسة ملوك الطوائف الاخريان الذين اصطدموا بملوك دولهم الطائفية فكثيراً ما فرض عليهم موقف معارض لهم. فعلى سبيل المثال، شكلت خطبة الجعة أساسا تقليدا دينيا مع عواقب سياسية هامة وكانت في غالب الاحيان تقرأ باسم حاكم الدولة الطائفية التي وجد بها المسجد إلا في حالة تخلى الحاكم الطائفي عن نفوذه وعن ممارسته لسيادته على نلك المنطقة تخلى الحاكم الطائفي عن نفوذه وعن ممارسته لسيادته على نلك المنطقة المعينة (52) من هذه الناحية إذا ساند العلما بعض ملوك الطوائف وعارضوا آخرين طوال عهد دول الطوائف.

ثانيا ، اتخذ العلما مواقف سياسية تطبعها المرونة والواقعية .
اتخذوا مواقف معينة في بعض الاحيان عندما صعب أو استحال عليهم اتخاذ مواقف أخرى ، إلا أنهم لم يترددوا في تغيير مواقفهم وتبديلها بأخري عندما مكنتهم من ذلك التطورات العامة . فعلى سبيل المثال مصر جل العلما نشاطاتهم في مسؤوليات دينية وثقافية وتربوية وقضائية في عهد دول الطوائف نراهم أحيانا يدينون ملكا طائفيا معينا (وكثيرا ما يكون ذلك من تراب دولة طائفية أخرى) وأصدروا فتاوي لصالح ملك طائفي آخر حيث عاشوا في دولته ومع ذلك لم يهدد العلما ملوك الطوائف من الداخل وهكذا مثلا أعطيت

للامير عبد الله بن بلقين وعود بأن العلما لن يعارضوه في غرناطة بينما تأكد المعتمد بن عباد بان العلما لن يعبروا عن معارضتهم له في إشبيلية ، وهكذا . ومع ذلك ، فإن الصمت طبع موقف العلما خلال جل عهد الطوائف فلم يترددوا في معارضة ملوك الطوائف علانية عندما استبد ألفونسو السادس بقوته ونعج خطة عسكرية وسياسة متعسفة تجاه ملوك الطوائف بحيث أصبح يعدد بطرد الاسلام والاندلسيين المسلمين من الاندلس . وقد أصبح ذلك وشيكا إدر احتلال ألفنسوا السادس لطليطلة سنة 478 ه. _ 1085 م.

ومن أهم الدوافع والقوى المؤثرة ورا التغيير المفاجي لموقف العلما تجاه ملوك الطوائف ظهور يوسف بن تاشفين وانتصار الجنود المغاربة في تحالف مع الاندلسيين على المسيحيين في معركة الزلاقة سنة 479 ه. _ 1086 م. ومع ظهور يوسف ابن تاشفين بصفته قوة بديلة وعنصرا موحدا ذا مصداقية ، لم يتردد العلما في التعبير عن شكاوى واحتجاجات الجماهير الاندلسية المثقلة بالضرائب وفي اعلان مساندتهم المطلقة ليوسف بن تاشفين بصفته أملهم الوحيد الانقاذ الاندلس كدولة إسلامية موحدة.

ثالثا ، من المهم أن نؤكد على أن الدور السياسي للعلماً كان في نفس الوقت مبنيا على معتقداتهم الاديولوجية والدينية في إطار أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة . وفي هذا المجال ، كانت المواقف السياسية للعلما تختلف عن بعضها مع أنهم اشتركوا في المبادئ العامة المشتركة المنبثقة عن الاسلام .

بعبارة أخرى ، كانت معتقداتهم ومبادئهم وأحكامهم التقمية وأفكارهم السياسية مشتركة ، إلا أنهم لم يتفقوا دائما على الوسائل والخطط وطرق تحقيق المأهداف المشتركة .

وهكذا نلاحظ أن العلما شكلوا شريحة اجتماعية كانت احيانا تتشعب وأحيانا أخرى تتحد، فيمكن لنا أن نحدد مواقف سياسية متعددة اتخذها العلما في عهد دول الطوائف. فقد ساند بعضهم ملوكاً طائفيين معينين وعارضوا آخرين . كما عارض بعض العلما" جميع ملوك الطوائف ونظام دول الطوائف في حد ذاته بطريقة دبلوماسية بينما عبر آخرون عن رفضهم المطلق لدول الطوائف. هناك أيضا أولئك الفقها والعلما الذين زعموا أنهم يساندون ملوك الطوائف ولكنعم عملوا في الواقع على تشويه سمعتهم في الخارج وحاولوا القضا" على حكمهم نهائيا . إن هذا التعدد في المواقف السياسية ظهر في الاندلس عندما طغى عليها الانفصال السياسي والاصطدامات والانهيار الاقتصادي والاضطرابات الاجتماعية ، واكن بمجرد أن أصبحت الاندلس مفددة تعديدا خطيرا وبمجرد ظعور يوسف بن تاشفين على الساحة بصفته قوة موحدة ، اتخذ الفقها موقفا موحدا ومشتركا ، بعبارة أخرى ، أصبح موقفهم السياسي يمثل موقف الجماهير الاندلسية والطبقة الوسطى .

وهكذا لم يقف العلما الاندلسيون مكتوفي الأيدي أمام الغليان السياسي في عهد دول الطوائف. فقد اتخذوا مواقف سلبية أو عملية وساندوا أو عارضوا هذا الملك الطائفي أو ذاك، ولكنهم كانوا

واعين دوما بموقفهم السياسي . كما يهمنا آن نشير الى تغييس مواقفهم السياسية تجاه حكام معينين أو الى ملوك الطوائف عامة مع تطور الحالة السياسية العامة في الانداس في القرن العجرى الخامس .

بل قد نكون أقرب الى الصواب إن تحدثنا عن المواقف التي اتخذتها مختلف المجموعات من العلما " بدلا من موقف موحد للعلما" بصفتهم مجموعة ملتحمة منظمة. لقد كانت هذه المواقف السياسية والاديواوجية للعلما تجاه ملوك الطوائف واقعية بحيث إنهم تجنبوا أية مواجهة مع ملوك الطوائف في الوقت الذي احتكر هؤلا السلطة السياسية والعسكرية في الانداس. ومع ذلك، لم يسمع العلما لملوك الطوائف بان يتدخلوا في الشؤون القضائية والدينية . لقد دافعوا عن المذهب المالكي فكريا وذلك من خلال انتاجهم الضخم لعدد كبير من المؤلفات في هذا المجال بحيث أصبحت أعداد منها مشهورة في الاندلس وخارجها كما ساهمو في توجيه المذهب المالكي في الاندلس وترسيخ مبادئه وتطبيقها. بعبارة أخرى، حافظوا على وجود هذا المذهب خلال عهد الطوائف بحيث مكنوه من القيام بالمعمة الاجتماعية التي كان يستهدف الحصول عليها. ويعد نجاح المذهب المالكي وتطبيقه على عهد الطوائف من الاسباب الرئيسية التي دفعت يوسف بن قاشفين الى اختياره واتخاذه مذهبا رسميا إثر احتلاله للانداس وضمها البي المغيرب .

اختلف العلما الاندلسيون في القرن الخامس للهجرة في في مواقفهم المؤيدة أو المعادية لملوك الطوائف ولنظام دول الطوائف ، اعتمد ملوك الطوائف على العلما يعنى أهل العلم وخاصة على الفقها عظرا للدور الممتاز الذي ميزهم عن غيرهم في المجتمع ثقافيا وفكريا وروحيا خصوصا بصفتهم مشرفين على التعليم وعلى العدل ومع ذلك، ظل ملوك الطوائف بحاجة الى الفقها الاعتبارات سياسية . لقد مارس ملوك الطوائف نفوذهم السياسي في إطار نظام كان يقع على أسس شرعية ضعيفة . فبعد انقراض دولة بني أمية ونهاية المرحلة الانتقالية في عهد بني أبي عامر ، جا تأسيس دول الطوائف نتيجة وجود فراغ سياسي . واعتمد ملوك الطوائـ في على القوة لتدعيم وتنفيد سلطتهم كما كانوا يفتقرون لمبرر شرعي لحكمهم ومشروعيته . لم نخلص في التعبير إن قلنا بانهم كانوا يفتقرون إلى أسس شرعية لنظامهم لان هذا الحكم كان بكل بساطة غير شرعى . كانت الشرعية في الاندلس مبنية على الاسلام وبصفة خاصة على المذهب المالكي . وكان ملوك الطوائف بحاجة ماسة الى مساندة الفقها والعلما والعمام في هذه النقطة بالدات بحيث حاولوا دائما مجانبة معارضتهم.

ومن جهة أخرى ، لم يتمتع العلما بنفوذ وسلطة وقوة كافية لمعارضة ملوك الطوائف معارضة فعلية وذلك لـأسباب متعددة .

أولا، كان هناك فراغ سياسي لم تؤهل أية مجمومة لملئـــه إلا ملوك الطوائف.

ثانيا، افتقر العلما الوسائل المادية لمجابعة ملوك الطوائف عسكريا. ونتيجة لهذا، اختار العلما المحافظون مساندة ملوك الطوائف كالاختيار الواقعي الوحيد في أيديهم بينما اختار آخرون مواقف الحياد السياسي مركزين مجهوداتهم للحصول على أهداف في ميدان التعليم والثقافة والعدل الى أن تتغير الاوضاع فيمكنهم ذلك من انخاذ موقف سياسي موحد.

أ) المواقف السياسية الفردية للعلما": بعض الأمثلة .

قبل مناقشة التطور العام للدور السياسي الذي قام به العلما ، يجب التركيز على خصائه العلما الفردية . لعل مقارنتنا لبعض العلما كافية لاظهار مدى اختلافهم مزاجيا وسياسيا . ويخص الامر العلما الآتين: الهوزني، وابن الملح، وابن عبد البر، وابن القصيرة، وابن حـزم ...

تعرض ابن بسام لهؤلا الفقها في «الذخيرة» وقد اهتم بهم أساسا بصغتهم أدبا وشعرا متميزين . ومع ذلك ، عندما تعرض ابن بسام لسيرهم قدم لنا صورة واضحة لأمزجتهم المتنوعة ولمواقفهم السياسة والاديولوجية المختلفة تجاه ملوك الطوائف .

يبين مثال الفقيه أبي حفص بن الحسن العوزني بوضوح تام الشجاعة والروح النقدية المستقلة الحرة التي اتخذها بعض العلما الاندلسيين تجاه ملوك الطوائف . ونرى من خلال قتله الشنيع على يد المعتضد بن عباد مدى خطورة عواقب مثل المواقف التي اتخذها العوزني .

- Carling to

كان الفقيه الهوزني من الشخصيات الاشبيلية البارزة كما ربطته بالمعتضد علاقة قبل صعود هذا الاخير الى الحكم بحيث سائت علاقتهما بعد ذلك غادر الهوزني إشبيلية بعد استئذان المعتضد وبموافقته سنة ا440 هـ ـ 1047 ـ 1048م. (63) سافر إلى صقلية وسورية والعراق ومصر ومحة حيث ألقى محاضرات ودروساً خصوصا في الحديث النبوي عبر هذه الاقطار ليعود في نهاية المطاف الى الاندلس حيث استقر في مورسية التي حكمها آنـذاك ابن طاهر وكل ذلك باذن من المعتمد (64). تأثر الهوزني تأثرا عميقا بالهجوم المسيحي على ببشتر سنة 456 هـ ـ 1063 ـ 1064 م وتألم للمذابع والمعاناة والمآسي التي عانى منها السكان الاندلسيون المسلمون فبعث إلى المعتضد رسائـل ملتهبة تحتوي على مقاطع أدبيـة عاطفية رائعـة المعتمد ونثرا ـ يحرضه فيها على تزعم الجهاد ضد الكفار الظالمين والمتعسفين (65). إن القيمة الادبية في وصفه لله التي عانى منها الاندلسيون مؤثرة حقا ، ولحائه بالغ في عاطفيته وحماسه وفـي

صراحته المطلقة فنسى أنه كان يخاطب شخصاً كان ينتظر منه المدح والاعجاب بدلامن النصائح والانتقادات معما كانت هذه الاخيرة مفيدة وبنائة . علاوة على هذا ، كان توسله للمعتضد وتحريضه له للدفاع عن الاسلام في الاندلس مصاحبا باستشهادات من القرآن الكريم تذكره بواجباته الدينية والخلقية مما حمل إشارة ضمنية إلى ابتعاد المعتضد عن التعاليم الدينية وكان كذلك بالفعل (56). باختصار ، لم ينفعل المعتضد في أول الامر بطريقة سلبية ، بل رحب بالعوزني في إشبيلية سنة 458 ه. - 1065 - 1066 م. ومع ذلك، ربما لم يغفر له المعتضد صراحته وفي يوم الجمعة 11 ربيع الاول 460 ه. 1070 _ 1071 م. سكر وأمر بأن يحضر الهوزني أمامه. ثم أمر خديمين له بقتله وعند امتناءهما عن ذلك باشر قتله بيده: • فلما كان الجمعة يوم لاحدى عشرة ليلة لربيع الاول سنة ستين أحضره القصر ، وقد غلب _ زعموا _ عليه السكر ، وأمر خادمين من فتيانه بقتله ، فكالهما أشفق من سو فعله ، وفر ، لا يبالي سي ا عباد أو سر فقام إليه هو بنفسه وباشر قتله بيده . . . » (57) .

ابسن الملح :

كان أبو بكر بن الملح فقيها من شلب استقر في إشبيلية قم ارتقى ليصل الى منصب الوزارة (58). تعاطى ابن الملح في بداية حيانه للسكر واللهو إلا أنه أصبح نقيا معتديما وعالما محترما (59).

بحيث ارتقى الى درجة فقيه من أبرز فقفا المديئة وقد خصص له ابن بسام مدحا ثم ذكر أن ابن الملح كان على قيد الحياة وهو يؤلف كتابه والذخيرة، سنة 500 ه. _ 1107 ـ 1107 م، وأنه توفي في رمضان من نفس السنة (60) . ويشير مدح ابن ملح لكل من المعتمد والمعتضد ابن عباد أنه كان فقيعا محافظا لم يتطرق لسلوكهم الاباحي والمخالف للتعاليم الدينية (61) . ومما يلفت النظر ابن الملح اعتمد على تصور ديني في مدحه للمعتمد (62) ومع ذلك، ربما كان هذا العالم مقربا عند حكام بني عباد لمقدرته الادبية وليس لاعتبارات سياسية . ولقد خصص ابن بسام التعليق التالي على أبيات ابن الملح الشعرية عندما قارنها ببعض الابيات لابرز الشعرا أبيات ابن الملح الشعرية عندما قارنها ببعض الابيات لابرز الشعرا العرب والاندلسيين : «قال ابن بسام : ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق فإن كان إتباعا فما أحس ما أرق ، وإن كان اختراعا فما أولى وأخلف ، (63).

ابن القصيرة:

كان أبو بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة مثالا ألمادراً للفقيه الذي الى منصب سياسي سامي في بلاط المعتمد بن عباد (64). كان عالما إشبيليا متفوقا وبارزا في بلاط المعتضد بن عباد بحيث كان يحاول دائما أن يبتعد عن الحاكم الاشبيلي حتى لفت نظر ذي الوزارتين ابن زيدون الذي اقترح على المعتضد أن

but the afficiency of the superior of the party of the second

THE PARTY OF STREET

يضمه الى بلاطه في نهاية حكمه (65). ومع ذلك ، لم يبرز الفقيلة ابن القصيرة بدروزا سياسيا إلا في عهد المعتمد بحيث حصل على أسمى لقب وزاري عندما تسمى بذي الوزارتين كما بعثه المعتمد الى عدد من ملوك الطوائف والى يوسف بن تاشفين في مناسبات متعددة ليشتغل في نعاية المطاف بديوان المعتمد نظرا لموهبت وصفاته الادبية الرفيعة (66) . وكان ابن القصيرة مقربا إلى المعتمد ثم الى يوسف بن تاشفين بعد خلعه للمعتمد سنة 484 ه. _ 1091 1092 م. إلا أن هذا العالم والاديب اللامع يكتسى أهمية كبرى من الناحية التاريخية بسبب روايته لمعركة الزلاقية التي شارك فيها بجانب المعتمد والتي جرح خلالها جرحا خفيفا (67) وبالاضافة إلى رواية عبد الله ابن بلقيس (68) . يعد ابن القصيرة امن الشخصيات الفريدة التي شاركت في هذه المعركة الهامة وتركت لنا روايـة عنها فوصلتنا . وتكتسي هذه الرواية أهمية بالغة لانها تعكس شعور المغاربة والاندلسيين بالنصر بوضوح تام وذلك لحكونه وضعها في اليوم التالي للمعركة في صباح السبت 13 رجب 479 ه. _ 31 غشت 1086 م. (69) وأخيرا، يعتبر ابن القصيرة أمثالا لفقيه وظفه المعتضد ثم المعتمد ثم يوسف بن تاشفين نظرا لتميزه الادبي الامر الذي يعكس مرونة سياسية ودبلوماسية عظيمة لانه اشتغل مع يوسف بعد أن عمل مع المعتمد الى نعاية حكمه . بل كان ابن القصيرة يعمل مع يوسف بينما أرسل سيده السابق الى أفمات سجينا مكبلا بالأغلال.

يظهر مثال الوزير أبي محمد عبد الله بن عبد البر فجل الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري الشهير كم كان على أعضا بلاط المعتمد أن يأخذوا حيطتهم لكي يتجنبوا ويفلتوا من المحائد التي شكلت خاصية من خصائص الحياة اليومية في البلاط الطائفي. ام يكن أبو محمد بن عبد البر فقيها بارزا مثل أبيه، ولكن يمكننا أن نعتبره ضمن صنف العلما لان ابن بسام اعتبره كذلك (70). كان مركز أبي محمد جد مذبذب وغير قار ومعرضاً للخطر بحيث وصلت المحائد التي دبرها ضده أبو الوليد ابن زيدون الى محاولة المحائد التي دبرها ضده أبو الوليد ابن زيدون الى محاولة المتباك (71).

كانت علاقته بالمعتضد متوترة إلا أنه اتخذ موقفا لينا ومرنا تجاه الحاكم الاشبيلي . وحين أصبح لا يطيق الحياة في باللط المعتضد طلب منه الاذن لمغادرة إشبيلية ليسافر الى المشرق حيث حصل على اعتراف واسع النطاق بصفته عالما بارزا (72). ويشير ابن بسام الى كونه كتب عن عدد من ملوك الطوائف (73). إلا أن تاريخه لملوك الطوائف هذا لم يصل إلينا . وأخيرا ، كان أبومحمد عالما أكثر منه سياسيا . لقد اتخذ أسلوبا دبلوماسيا مع المعتضد بحيث تجنب أية مواجعة معه . بل ذهب الى حد أنه بعث له رسائل التهنئة بعد احتالل المعتضد لشلب (74) كما حرر رسالة باسم المعتضد بعيد وصف فيها هذا الاخير اغتياله لابنه إسماعيل بن عباد وحاول تبريس

هذه الجريمة الشنيعة (75) . ومن المهم أن نلاحظ ونسجل أن عالما وابن فقيه مالكي بارز قد حرر هذه الرسالة الفظيعة باسم المعتضد بحيث وصف فيها كيف قام ابنه عليه في مناسبتين كما تطرق فيها للطريقة التي قرر بها قتل ابنه النبي كان عزيزا عليه ، وأسبابها . وهنا يمكننا أن نتسال، هل يعبر تحرير ابن عبد البر لهذه الرسالة عن موافقته على هذه الجريمة الشنيعة ؟ ربما لم يبقى لابي محمد أي اختيار آخر إلا كتابة هذه الرسالة للمعتمد لأن الاختيار وقع عليه من بين جميع الشخصيات الادبية في البلاط الاشبيلي للقيام بهذه المعمة (76) . ومع ذلك ، تجب الأشارة الى أن أبن عبد البر لم يرتج لمعمة كتابة هذه الرسالة أو حتى للعمل في بلاط المعتضد، الامر الذي يفسر مغادرته لاشبيلية متوجها نحو المشرق. ولا ذرجع احتمال تأييد ابن عبد البر لهذه الجريمة الشنيعة لانه حتى واو فرضنا أن اتهام المعتضد ابنه بالقيام عليه كان صحيحا ومبنيا على أسس فلم يكن للمعتضد حق الحكم عليه ولا تنفيذ الحكم بيديه، علاوة على هذا ، ظلت جميع المصادر العربية صامتة بشأن استشارة المعتضد للفقها بشأن هذه القضية . لقد انخف المعتضد قراراً بكل بساطة ودون أية استشارة ثم طلب من ابن عبد البر أن يبرر هذا القرار ثقافيا يعني بأسلوب منطقي قوي . كل هذا لا يدفع الى الاستغراب إذا اعتبرنا أننا نتحدث عن المعتضد الذي تقديم لنا المصادر العربية حججا كثيرة لاثبات جرائمه المتعددة. إلا أن قُمْل الاب لابنه يعتبر تجاوزا لجميع الحدود ولا يمكن لنا إلا أن نلوم العلما"

على صمتهم الجماعي بشأن هذه القضية ومن جعة أخرى، نرى أن المعتضد لم يتمتع بتوازن عقلي ليس فقط لحوقة قام بجرائه متعددة بل ولانه نفذها بطرق غريبة جدا ومفزعة . سجل المؤرخون الاندلسيون المعاصرون والمتأخرون للمعتضد سلوكه العنيف بدقة كبيرة ، إلا أن العلما والفقها حافظوا عامة فيما يبدو على صمتهم فمن واجبنا أن نتسال عن أسباب هذا الصمت . هل يعود هذا السكوت الى رغبة واعية في مساندة موقف المعتضد لا نرجح ذلك، لان ذلك سوف يكون معارضا لمبادئهم ولقيمهم . بل مما هو أحثر احتمالا أنهم لم يظلوا ساكتين ولكن مواقفهم لم تسجل فلم نطلع عليها أو أن موقفهم السياسي كان ضعيفا بحيث لم يمكنهم من التعبير عن آرائهم علائية فبالاصرى تنفيذ قراراتهم .

ابسن حسرم:

كان الفقيه أبو محمد علي بن حزم من العلما الذيب دار بشأنهم جدال عنيف في القرن الهجري الخامس كما كان من اكثرهم تسيسا. وخلافا لاغلبية الفقها المالكيين الدين لم يتجرأوا للتعبير عن معارضتهم لملوك الطوائف إلا بعد أن أصبحت مساندتهم ليوسف بن تاشفين اختيارا ممكنا وواقعيا، عبر ابن حرم عن معارضته المطلقة واللامشروطة لاقوى ملوك الطوائف كما اعتبر نظام دول الطوئف نظاما غير شرعي على أساس أن الامويين وحدهم

كانوا يستحقون الحق الشرعي والمشروعية لبث حكمهم في اللاندلس (77). ومع ذلك، لم يعش ابن حزم ليشاهد الفقعا" الاندلسيين الاخرين وهم يتخذون هذا الموقف المعارض تجاه ملوك الطوائف بصفة جماعية كما أنه لم يعش ليرى اعادة توحيد الاندلس بقيادة يوسف بن تاشفين وذلك لكونه توفي سنة 456 ه _ 1063 _ 1064 م. (78) ولم ينحصر موقف ابن حزم في معارضته لملوك الطوائف لانه عرف أيضا بمجادلته الفقها الاندلسيين الذين دافعوا عن المذهب المالكي ويعود ذلك الى انتمائه للمذهب الظاهري . كان ابن حزم ناقدا محادا وجريثا فواجه العلما وأسلوب يطبعه العنف اللفظي (79) . كما وجهت له تهجمات لا نقل عنف (80) . ومع ذلك ، فسن المعم أن نشير الى أن عدداً من الباحثين قد اعتبروا ابن حزم مثالا بصفته شكل هدفا للاضطهاد على يد الفقها الاندلسيين وبصفته مثالا للخطة التعسفية التي اتخذوها ضد كل من انحرف عن المذهب المالكي وتعاليمه إلا أننا نود أن نقدم بعض الملاحظات بهذا الشأن ، فلقد تلقي ابن حزم تعليمه في قرطبة فكان نتاجا من انتاج الفقها المالكيين. ونتيجة لذلك، تكونت جميع مؤهلاته الفكرية في بيئة ثقافية واجتماعية هيمن عليها المذهب المالكي. ثانيا ، من المهم أن نلاحظ أنه كون أفكاره الظاهرية في الاندلس فلو كان اضطعاد المذاهب الاخرى شنيعا كما يحتمل البعض لما استطاع ابن حزم أن يطور نظرياته الظاهرية بالشمولية التي تطبعها . حقيقة ، لقد أحرقت كتب ابن

حزم في إشبيلية (81)، وادانه جل الفقها المالكيين بمن فيهم أبو الوليد الباجي (82) الذي واجعه في نقاش علني بميورقة كما أن الجدال الني أثاره ابن حزم لم ينحصر في مجال الفقه والسياسة بل ضم حتى المنطق (83). إذا ، لقد كان ابن حزم دون شك هدف للتعجم من طرف أفراد وجماعات اختلفت في مصالحها وفي ميولها بمن فيهم اليهود الذين اصطدم معهم علانية في نقاش عاصف حول طبيعة دينهم . ومع ذلك ، فهل يثبت كل هذا أن الفقها الذين لم ينتموا الى المذهب المالكي عانوا من الاضطهاد ؟ إننا لا نقبل هذا الرأى وذلك لعدة أسباب .

أولا، لم يكن ابن حزم العالم الوحيد الذي واجه معارضة في الانداس في عهد دول الطوائف اللذي كانت تطبعه درجة مرتفعة من إسالة الدما . فعلى سبيل المثال ، لم يعرف تلك الوفاة العنيفة التي لقيها الفقيه الهوزني على يد المعتضد بن عباد (84) . كما أن تمكن ابن حزم من المشاركة في نقاش علني مع أبرز فقيه مالكي في عصره يشير الى كونه لم يمنع من التعبير عن آرائه علانية مهما عارضت المذهب المائكي ، علاوة على ذلك ، لم يلق ابن حزم الترحيب في أكثر من دولة طائفية ، خصوصا إشبيلية ، ولحكن نظرا لحالة الاضطرابات المستمرة التي طبعت العلاقات بين دول الطوائف ، استطاع دائما أن يجد لنفسه ملجأ ومستقرا وحماية في الدول الطائفية الاخرى التي كانت تعادي تلك التي منع من الدخول إليها . وعلاوة على ذلك ، لم تخص هذه الاوضاع ابن حرزم وحده ،

لان هناك عدداً من الفقها والعلما الاندلسيين الذين وجدوا أنفسهم في وضعية مماثلة . كما لم تخص هذه الوضعية ابن حزم وحده لكونه اعتنق المذهب الظاهري لان هناك عدداً من الفقها والمعارضين للوك الطوائف قتلوا لاقو مصرعهم على يد عملا بعض ملوك الطوائف خارج الحدود الجغرافية للدول الطائفية أو خارج حدود الأندلس بل قيل إن بعضهم قتل في المشرق . وهناك أمثلة من هذا القبيل بالنسبة للمعارضين السياسيين للمعتضد ، إلا أنه لم يعرف عن ابن حزم أنه كان هدفا لمثل هذه المحاولات علاوة على ذلك ، فقد استطاع هذا الاخير أن يعتزل بمنزله في ناحية لبلة في حهولته في سن متقدم حيث تبعه عدد محدود من تلاميذه (85) . بعبارة أخرى استطاع أن يؤلف ألكتب ويستخطب أتباعاً ومريدين وأن يدرس الى نهاية حياته .

لذا يجب تفسير سبب المعارضة العظيمة التي لقيها ابن حرزم وأفكاره بانتقاداته الحادة وباتجاهه نحو التهجم العنيف على كل من خالفه في الرأي . ولسم ينحصر جداله في مواجهة الفقها والعلما الاندلسيين المسلمين المعاصرين له بل اشتهر كذلك بمجادلته لليهود، خصوصا ابن النغرالة ، بحيث ألف كتابا في هذا الموضوع (86) .

ومع ذلك كان ابن حزم فقيها وعالما في آن واحد ومن الطريف أن نشير إلى أنه كان محترما من طرف أبرز الشخصيات الثقافية والفكرية في عصره وذلك بالرغم من خلافاته وكثرة جدله، فعلى سبيل المثال، انتقده المؤرخ الكبير ابن حيان بشدة وقد

وصلتنا هذه الانتقادات في و ذخيرة ابن بسام ، إلا أنه لم يتردد عن وصفه بالعالم الفريد لاجمًا في ذلك الى أسمى العبارات (87)، بينما لم يتردد ابن بسام هو الآخر في مدح أبي الوليد الباجي حتى بعد لقائهما ونقاشهما في ميورقة ورغم ادانته لمأفكار ابن حزم واقتراح منع نشاطه على بعض ملوك الطوائف بحيث وصف ابن حزم أبا الوليد الباجي بكونه أعظم فقيه مالكي (88)

بعبارة أخرى، لقد اعترف غيره بعلمه كما اعترف هو بعلم غيره، وذلك رغم اختلافه مع عدد من معاصريه في الرأي. وهذا أمر معقول اعتباراً للطابع الموسوعي النبي تتميز به أعماله مناليفه واعتبارا للمساهمة الفريدة التي تميزه في جميع المجالات التي عالجها . فعلى سبيل المثال ، قام بتأليف أول كتاب في مقارنة الاديان منالديان المقارنة في التاريخ العالمي كما أن تطورات الاحداث أثبتت صحة وصواب معتقداته السياسية القوية .

ب) _ الدور السياسي الجماعي للعلما الاندلسيين:

لقد قمنا بمناقشة للادوار السياسية الفردية لفقها أندلسييس معينين في الانداس كما ركزنا على اختلاف هذه الادوار وتنوعها. وقد تأثرت هذه الادوار كثيرا بطبيعة تعليم هؤلا العلما وباتجاهاتهم السياسية وبمجالات تخصصهم وباتجاهاتهم السياسية واختياراتهم الاديولوجية كما تأثرت بمصالحهم الشخصية وبتجاربهم وكذلك

باختلاف أمزجتهم أو بخصائصهم الفردية ومع ذلك ، إذا استطاع العلما أن يتخذوا موقفا مؤيدا أو مرفا أو حتى محايدا تجاه ملوك الطوائف أو إذا فرضت عليهم مثل هذه المواقف قبل معركة الزلاقة غلم يظل ذلك ممكنا بعد سنة 479 ه. - 1086 م.

لم يقع إهمال معركة الزلاقة من طرف المؤرخين المعاصرين لها (سوا تعلق الامر بالاندلسيين المسلمين أم بالمسيحيين في شمال إسبانيا). كما كانت موضع الدراسة من طرف المؤرخين العصريين وما زالت تستقطب الكثير من الاهتمام. كانت نتائج الانتصار بالزلاقة وعواقبها بالغة الاهمية ليس فقط اقتصاديا وسياسيا بل وحتى اجتماعيا. لم يتجرأ العلما من الناحية السياسية للتعبير عن معارضتهم لملوك الطوائف خلال مدة طويلة وذلك لاسباب متعددة.

أولا ، كانوا منقسبين على أنفسهم سياسيا كما عانوا جميعا من العجر العسكري . فعلى سبيل المثال ، ظلت معارضة أناس مثل ابن حزم عبارة عن Ocryirle unildomos خلال مدة طويلة لم تفشل مثل هذه المواقف في جلب مساندة شعبية في الاندلس ، بل أدت الى إثارة غضب عدد من العلما الاندلسيين ورفضهم لها . ولو اختار العلما مجابعة ومعارضة ملوك الطوائف دون توفرهم على بديل مناسب لشكل ذلك مغامرة خطيرة خصوصا عندما تمتع ملوك الطوائف بقوة متفوقة . ومع ذلك ، فبمجرد ظهور يوسف بن تاشفين على الساحة السياسية ، لم يتردد العلما في انخاذ موقف المساندة لله

بالاجماع ـ لقد أصبحوا بعد ذلك يتوفرون على مبرر منطقي وواقعي لمعارضة ملوك الطوائف وشكلت معارضتهم هذه شرطا أساسيا من شروط نجاح يوسف بن ناشفين في سياسته الاندلسية .

لقد ساهمت عدة عوامل في هذا التغير الجدري . في موقف العلما الاندلسيين بعد سنة 479 ه

أولا، لم تعد مساندة ملوك الطوائف ممكنة إذا نظرنا الى القضية نظرة واقعية وذلك ليس فحسب لانهم لم يستطيعوا الترفع عن خصوماتهم السخيفة ولكن لانهم فشلوا فى تشكيل جبعة موحدة لمواجعة التقدم العسكري المسيحي داخل الاراضي الاندلسية خصوصا من طرف ألفونسو المسادس. فبعد احتلال ألفونسو لطليطلة سنة 478 ه. _ 1085 م. واتخاذه قرار احتلال ما بقي من أراضي في الاندلس، أصبح وجود الفقعا والاسلام فى الاندلس معددا بالانقراض. وعلاوة على ذلك ، نشير الى ظهور يوسف بن تاشفين على الساحة السياسية في الاندلس وانتصاره في معركة الزلاقة باسم الاسلام متخذا الجعاد شعارا له ، إذ أصبح يوسف يمثل موجة إديولوجية رحب بها العلما واعتبروها منسجمة مع مبادئهم ومع أفكارهم الدينية وهناك عامل آخر ذا أهمية حبرى يتجلى في المساندة الشعبية ليوسف بن تاشفين.

لقد اتضح بعد سنة 1086 م. - 479 ه. أن الجماهيسر الاندلسية أصبحت معارضة لملوك الطوائف علانية . كا اتضح أن عدداً من

الموظفين السامين بل وعناصر بارزة في الجيش أصبحت هي الاخرى تعارض استمرار ملوك الطوائف في الحكم ولقد عبر عن هذا التحول الهام حاكم غرناطة عبد الله ابن بلقين بلسائه وبلسان غيره من ملوك الطوائف. لذلك كان العلما الاندلسيين يمثلون هذا الانجاه الجديد اعتبارا لجذورهم الاجتماعية والثقافية وارتباطها المباشر بالعامة والطبقة الوسطى الاندلسية.

كان دور العلما عاسما في مواجعة تطور حركة الاسترجاع المسيحي (Recongvista) للاندلس .

أولا، لعب العلما دورا هاما في اقداع بعض ملوك الطوائف بضرورة استنجادهم بيوسف لمواجعة سياسة ألفنسو السادس التعسفية والتوسعية خصوصا بعد أن أصبح ملك ليون وقشتالة يعدد باحتالال الانداس كلها. لقد أشاروا الى أن يوسف أصبح يشكل الاختيار الوحيد لانقاذ الاندلس وأن أي فشل في البحث عن مساعدته سوف يؤدى حتما الى الاحتلال المسيحي للاندلس (89).

ومن أهم الاسباب التي دفعت بألفونسو السادس الى اعلانه عن نيته لاحتلال الاندلس. اثر احتلاله لطليطلة أنه لم يكن يظن أن بعض ملوك الطوائف قادرون على اتخاذ مثل هذه الخطة الخطيرة. فمن ناحية ، ساهم تعسف ألفونسو المتزايد ، ورغب ملوك الطوائف في لجوئهم الى الاستنجاد بيوسف. وقام الفقها بدور هام في اقناعهم بذلك ومما يدل على ذلك وجود بعض الفقها ضمن الوقد الذي أرسل إلى المغرب في تلك المهمة .

ومع ذلك، فقد أصبح دور العلما أكثر أهمية بكثير بعد أن قطع يوسف مضيق جبل طارق الى الاندلس وبعد قيادته للاندلسيين في أول نصر لهم ضد مسيحيي إسبانيا الشمالية.

نلاحظ في بادئ الامر أن بعض المشاركين في معركة الزلاقة كانوا فقعا. بل إن إحدى الروايات النادرة للمعركة بأقلام المشاركين فيها كانت للفقيه ابن القصيرة (90). لهذا بامكاننا أن نتحدث عن مشاركة الفقها المباشرة في المعركة.

كما يكتسي دور العلما الهبية بالغة لكونهم منحوا يوسف بن تاشفين التبرير الشرعي لاحتلال دول الطوائف . بعبارة أخرى اعطوا نقمة الجماهير الاندلسية إطارا شرعيا كما قدموا لهؤلا بديلا ممكنا . وقد قاموا بهذا بتقديم اتعامين خطيرين للغاية ضد ملوك الطوائف بعبارة أدق، ساندوا اتعامين خطيرين ضدهم، الاتعام الاول هو أن ملوك الطوائف كانوا يتعاملون مع ملك نصراني هو ألفنسو السادس خلاف اللتعاليم الاسلامية وأنهم كانوا يقدمون له أموالا كجزية حتى بعد هزيمته في معركة الزلاقة . بل ذهب يوسف إلى اتعامهم بالاتصال بالفونسو بهدف طلب حمايته لهم عسكريا منه . وكان العدف من أدا أموال الجزية التي قدموها له الحصول على السلم في المقابل أو الحماية إن اقتضى الحال ذلك .

أما الانهام الثاني الموجه الى ملوك الطوائف فهو أنهم كانوا يفرضون ضرائب غير شرعية على رعيتهم المثقلة بالضرائب وادعى

يوسف بسن تاشفين ان الزكاة والعشر يعتبران شرعيين ، اما الضرائب الاخرى فهي غير شرعية. وبطبيعة الحال، لم يكن بامكان ملوك الطوائف قبول هذا الموقف لان الضرائب الثقيلة (91) التسي فرضوها على رعيتهم كانت تشكل الوسيلة الوحيدة لتغطية مصاريفهم وأدا الجزية التسي فرضها عليهم ألفونسو السادس وبعض الحكام المسيحيين في شمال إسبانيا مثل حومت برنجير الثاني (Berenguer) ببرشلونة . وعندما هدد يوسف بالانتقام من ملوك الطوائف إن هم رفضوا اقتراحاته أدركوا أنه طلب منهم المستحيل لكي يبرر احتلاله للدول الطائفية . كما كان الفقها واعين بنتائج هذيب الاتهامين وما سوف تؤدى إليه عند تبنيهم لهما وموافقتهم عليهما .

إزداد نفوذ يوسف بن تاشفين في الاندلس بعد معركة الزلاقة وبدل الفقها كل جهدهم من أجل تقوية سلطته وتسهيل احتلاله لدول الطوائف. واستطاعوا أن يحققوا هذا الهدف من خلال دور الوساطة الذي لعبوه بين يوسف وملوك الطوائف. فعلى سبيل المثال، قام الفقها بالمفاوخات والاتصالات بين الحاكم المغربي وملوك الطوائف في الاندلس بينما قام القواد العسكريون بتنفيذ أوامر يوسف وإن اقتضى الحال اللجو الى العنف لحل الخلافات. قبل أن يقرر يوسف احتلال الاندلس شعر ملوك الطوائف بضغط قوته عليهم فبعثوا له رسلهم لاكتساب رضاه. وبدل ذلك، شجع هؤلا في غالب الاحيان يوسف ليضع نهاية لحكمهم عندما اتهموهم بتبذير المأموال وسو ثدبيرهم للشؤون. فعلى سبيل المثال، بعث الامير عبد الله

ابن بلقين حاكم غرناطة ابن القليعي والقاضي ابن سهل ليبلغاه نجاحه بصفته حاكماً على غرناطة (92).

وكان تعيين عبد الله بن بلقين لابسن سهل قاضيا قد جا طبقا لاقتراح من القليعي بهدف جلبه إليه ومجانبة تأبيد ابن سهل لاخيه تميم حاكم مالقة ضده (98). فعندما سمع عبد الله بن بلقين أن يوسف وصل إلى سبتة في طريقه إلى قرطبة بعث القاضي بسن سهل وباديس بن وروي لاستقبالة وللترحيب به (94). وعاد المبعوثان الى غرناطة بعد ذلك ووصفا مهمتهما بالنجاح ولكن الوقائع تدل على أن ابن سهل أخبر يوسف بأن الجيش كان منقسما على نفسه في غرناطة وان الغرناطيين يعاذون من اضطهاد عنيف وان يوسف يتمتع بشعبية كبيرة في غرناطة (95). بل بمجرد مغادرتهما غرناطة متوجهين نحو سبتة أخبر عبد الله بن بلقين أن باديس بن وروي قال بأنه بعث ليساند عبد الله ، ولكنه في الواقع قيد يديه بإحكام وان القاضي ابن شهل ضرب رأسه (96).

ويقدم لنا عبد الله بن بلقين نفسه وصفا مثيرا للحكيفية التي ضبع بها سيطرته على غرذاطة وذلك لان يوسف أصبح يتمتع بشعبية واسعة النطاق في مرحلة معينة. وعرض عبد الله الشرائح الاجتماعية المختلفة (97) في غرناطة ثم شرح الاسباب التي دفعت بكل مجموعة الى التحلي عن مساندته (98) وتعد هذه الرواية الفريدة من أطرف الروايات التاريخية بحيث نجد شخصية تاريخية معاصرة لعهد دول الطوائف تقسم المجتمع الاندلسي إلى شرائح اجتماعية مختلفة.

كما يكتسي هذا الامر أهمية لان عناصر الطبقة الوسطى بغرناطة تبدوا واضحة . كما تهمنا الملاحظة بأن عبد الله بن بلقين لم يشر الى العلما بتاتا بصفتهم كانوا يشكلون طبقة أو شريحة اجتماعية منفردة .

ويعني هدذا أحد أمرين . الاحتمال الاول هو أن العلما للمكلوا شريحة اجتماعية في غرناطة . ولا نرجح هذا الاحتمال ، لان المراكز الدينية والقضائية كانت تخصص للعلما ، وكانت موجودة في غرناطة كما كانت موجودة عبر مختلف أنحا الاندلس . أما الاحتمال الثاني ، فهو أن العلما كانو موجوين إلا أنهم لم يعتبر وا شريحة اجتماعية مستقلة . بعبارة أخرى ، لم يعتبر الافراد من العلما جزا من شريحة اجتماعية مستقلة في غرناطة لانهم كانوا يشكلون أطرافا من مجموعات مختلفة . فكان ارتباطهم بالشرائح الاجتماعية الاخرى - كالاداريين والتجار - أوثق من انتمائهم إلى مجموعة ملتحمة مستقلة تمتاز بخصائصها وبمميزاتها .

ولا نرجع هذا الاحتمال أيضا لان العلما "كانوا يشكلون مجموعة اجتماعية ملتحمة في غرناطة شأنها في ذلك شأن أنحا أخرى من الاندلس لانهم تطوروا في ظروف مماثلة. أما الاحتمال الثالث للصمت الذي التزمه عبد الله بن بلقين بشأن العلما في غرناطة كشريحة إجتماعية فهو أنه لم يرد أن يتطرق للموقف الشرعي الذي اتخسذه العلما عند ظهور يوسف بن تاشفين بصفته بديلا فضله الجميع على ملوك الطوائف. ونعتبر هذا الاحتمال أكثر رجاحة من غيره على ملوك الطوائف. ونعتبر هذا الاحتمال أكثر رجاحة من غيره

لان عبد الله كتب مذكراته في المغرب بعد تسليمه غرناطة ليوسف ابن تاشفين فأية مناقشة لموقف العلما صده في مثل الظروف التي كتب فيها كان من شأنها أن تذكره بمركزه ، غير الشرعي كملك طائفي . وربما يعود سكوت عبد الله بن بلقين عن موضوع العلما بصفتهم شريحة اجتماعية الى كون هذه الاخيرة لم تعارضه علانية على نطاق جماعي أو أنه لم يرغب في تذكير نفسه وقرائه بمعارضة هذه المجموعة بالذات له لان ذلك قد يؤدي الى ردود فعل من طرف العلما المغاربة ضده ولم تمكنه ظروفه بصفته وضيفا ، لدى يوسف ابن قاشفين من ذلك .

ومن جعة أخرى ، فإن الشرائع الاجتماعية الاخرى التي تطرق العا عبد الله بن بلقين في إطار مناقشته للمجبوعات التي عارضته عند اقتراب الجيوش المرابطية من أبواب غرناطة قصد احتلالها لجديرة بالمناقشة . المجموعة الاولى تتكون من «الجند من البربر» الذين ساندوا يوسف وقبلوا عدم مقاومة جيشه لانعم توقعوا من ذلك حصولهم على الزيادة في الاجر (99) ويشير ذلك الى أن جيش عبد الله لم يرض بالاجور التي خصصت له : وتتكون المجموعة الاجتماعية الثانية التي تطرق لعا عبد الله من «التجار» و «أهل البلد» الذين ساندوا حيل من حاضت له اليد العليا في تسيير الشؤون العامة (100) . ويتكون النصف الثائث من الطبقة الشعبية التي وصفعا عبد الله بن بلقيسن «بالرعية» والتي رحبت بيوسف بحرارة تفوق عبد الله بن بلقيسن «بالرعية» والتي رحبت بيوسف بحرارة تفوق ترحيب المجموعات الاخرى (101)

طرف العامة لجديرة باهتمامنا كما انه من الطريف أنها شكلت اهتمام ملك طائفي قدمها لذا بنفسه .

كان غياب والحرية و من أهم أسباب غضب العامة ، كما يعود سخط العامة على الاوضاع في غرناطة وثورتها على عبد الله بن بلقين الى أملها في أن تعفى من الضرائب باستثنا والعشر ، (102) .

بعبارة أخرى ، كانت ، الرعية ، تعاني من الاضطهاد والضرائب الثقيلة . أما الشريعة الاجتماعية الرابعة التي ذكرها عبد الله بن بلقين فكانت تتكون من الجنود المغاربة الذين اعتمد عليهم للدفاع عن حصونه داخل دولة غرناطة الطائفية وقد ثاروا عليه ليرحبوا بأولاد أعمامهم المغاربة (103) . والشريعة الاجتماعية الخامسة التي عارضت عبد الله تتكون من «العبيد والصقائبة» الذين ساندوا الجيش المرابطي في لوشة لانهم رغبوا في معاملة أفضل بعد تعويض المرابطين لعبد الله. ومن الطريف أن نشير الى أن عبد الله ذكر العبيد والصقالبة كلا على حدة ، الامر الذي يشير الى ثمييزه بين الصقالبة الذين أتوا من إسبانيا الشمالية وأوربا وبين غيرهم من العبيد الذين ربما اتوا من افريقيا في غالب الاحيان . واحتج عبد الله حتى على «الخدم من النسا" و «الجزيان» الذين ساندوا يوسف ابن قاشفين ضده ليستطيعوا مغادرة البلاط والاستمتاع بحريتهم (104).

الطائفية غرناطة التي تداعت أركانها عند وصول الجيش المرابطي الى أبوابها سنة 483 ه. ـ 1090 ـ 1091 م.

يقدم لنا هـذا الوصف الرائع لشعبيـة يوسف بن تاشفين في الاندلس بعض الاسباب التي دفعت بالفقها الى معارضة ملـوك الطوائف. بل أكثر من هذا، يعكس هذا الوصف وصول هذه الحالة الى أوجها نتيجة لمساندة الفقها ليوسف ومعارضتهم لملوك الطوائف.

ونلاحظ باهتمام أنه عند اقتراب جيش يوسف بن ناشفين من أبواب غرناطة ، بعث عبد الله ابن بلقين مالا الى يوسف حملته مجموعة من العلما الذين أخبروا يوسف أن عبد الله يعتبر نفسه في رسالة وغير مخالف عليه . . ، (106) وأجابه يوسف في رسالة بعثها له بواسطة الفقيه ابن سعدون يرفض فيعا أي اتفاقية معه ويأمر عبد الله بتسليم غرناطة على أساس أنه لن يصاب بأذى وضرر (106). وأخيرا سلم الملك الطائفي غرناطة لجيش يوسف سنة 483 ه . وأخيرا سلم الملك الطائفي غرناطة في رعيته أو يعتمد عليها ولانه لم يعد ممكنا له أن يطلب اسعاف دالرومي، ألفونسو السادس (107).

وختاما، لخص عبد الله الورطة الذي وقع فيها بكل وضوح عندما قال: • فرأيت حالي في هذا كله تالفة ، وعلمت أنه ، طول مدة امتساكي لو امتسكت ، لكان سلاطين الاندلس أجمع متألبين على فتنتي مع رعيتي لما يلزمهم من الطاعة للمرابط والطمع ، عسى يحصل لاحد مزيد في بلاده ، ولا تمكن لاحد منهم معونتي ولا للاستفساد من أجلى (108) .

بعبارة أخرى ، فرض عليه الاستسلام إما للألفونسو السادس أو ليوسف بن تاشفين .

ومع ذلك لم يستسلم عبد الله وحده ليوسف بحيث تبعه غيره من ملوك الطوائف. ومن الطريف أن نشير الى أن عبد الله بعث رسائل لبعض ملوك الطوائف يستنجد بهم عندما وصل الجيش المرابطي الى أبوابه ومنهم ابن الافطس حاكم بطليوس إلا أنهم رفضوا مساندته على أساس أن هذا المشكل يخصه وحده في مواجعة يوسف ولا علاقة لهم به (109) فخاطبهم حاكم غرفاطة قائلا بأنهم لن يغلتوا من المصير الذي ينتظره: «هذا الامر منجر إليكم، واليوم بي وغدا بكم !» (119).

ومما يثير دهشتنا أن نلاحظ كيف ظل ملوك الطوائف في سلبية مطلقة أمام هذه التطورات مسالمين، بينما حاصر جيش يوسف عواصم الدول الطائفية الواحدة تلو الاخرى الى أن وصل دورهم . فعلى سبيل المثال ، توجه جيش يوسف نحو المرية اثر استسلام غرناطة ففزع حاكمها ابن صمادح وذعر لما قد يتبع ذلك الى درجة أنه مات عند اقتراب جيش يوسف من أبواب دولته الطائفية (111) . وخلفه بعد ذلك ابنه معز الدولة . ومن الطريف أن نشير الى أن هذا الاخير كان يستشير مع ابنه (الذي لم يذكر اسمه في المصادر) والذي ٠٠٠ كان ينتحل فقها . . . ه (112) .

وعندما وصل يوسف الى المرية أمر أن يقيد هذا الفقيه المزيف في السجن بالسلاسل (113). وهذا مثال غريب للفقيه الكاذب

وفضحه. وهكذا استطاع يوسف أن يحتل دول الطوائف كل دولة طائفية على حدة دون معارضة شديدة بكيفية مباثلة للطريقة التي تعامل معها ألفونسو السادس بطريقة فردية، لم يتمكن ملوك الطوائف من اتخاذ خطة موحدة حتى عندما تعلق الامر باستمرارهم في الوجود وتوقف على تلك الوجدة.

ويصعب علينا حقا فعمنا قصر نظرهم هذا . فقد وصفه عبد الله بوضوح تام عندما قال : «فنحن لم يعن بعضنا بعضا على الرومي ! فكيف على المسلم . ١١٤٠ (١١٤)

ثم توجه يوسف بعد ذلك الى إشبيلية . طلب من المعتمد بن عباد أن يلتحق به إلا أن هذا الاخير رفض خوفا على حياته وهذا بالذات هو العذر الذي كان يوسف بحاجة إليه ليضرب حصارا على إشبيلية . بدأ خطته باحتالل حصون مختلفة في دولة إشبيلية الطائفية الامر الذي دفع بالمعتمد الى الاستنجاد بألفونسو السادس وهذا بالذات هو التبرير الذي كان يوسف بحاجة إليه ليضع حدا لحكم المعتمد . وقد وصف عبد الله بسن بلقين هذه الوضعية قائلا : • . . . وهي حجة أمير المسلمين على ابن عباد ، أن قال له : • ظفرت بكتبك إلى الرومي وإرسالك عنه ! ، فقال المعتمد : و فعلته قبل أن تؤخذ بلادي بطراً وأشراً، كنت ألماً ! وأما بعد أن رأيت طلبي في الروح اضطرتني الضرورة الى ذلك للمدافعة ، ولو يوما واحدا ، وهي علة الجميع ، (115) . وهنا وصلت العداوة بين المعتمد ويوسف الى نقطة اللارجوع أي الى قمتها ، ألا أن

يوسف استشار العلما عبل اتخاذ أي عمل فكان قرارهم أنه يجب محاربة المعتمد (116) ، ثم استولى المرابطون على قرطبة وإشبيلية سنة 484 ه. _ 1091 م. قاد الامير سير جيش يوسف الى احتلال قرطبة ثم فرض حصارا على إشبيلية التي تم الاستيلا عليها بتواطؤ الاهالي الاشبيليين في رجب من سنة 484 ه _ 1091 م. وكان قد تم احتلال قرمونة ورندة قبل ذلك. وأرسل المعتمد إلى مكناس صحبة أفراد عائلته من حيث أرسلوا الى أغمات التي لا تبعد عن العاصمة المرابطية مراكش.

وتم الاستيلاً على بطليبوس بطريقة مشابعة . فعندما إنشل ابن الافطس في مواجعة الضغوط التي مارسعا عليه يوسف بعث إلى ألفونسو السادس مستنجدا به ، الامر الذي أعطى ليوسف مبررا شرعيا لوضع نعاية لحكمه (117) . وكان ابن الافطس على حد تعبير عبد الله بن بلقين مثل السمك الذي لا حيلة له في كتاب دمنة (كليلة ودمنة) (118) . ومما سعل أمر سقوطه الدور الذي قام به الفقيه إبن إحسان الذي ولاه ابن الافطس على شؤون الدولة والذي رغم كونه كان مخلصا له بصفته يعمل على الاطاحة بحكمه في الخفاء (119) . وفعلا كان موقف الفقها ومشاركتهم في سقوط ملوك الطوائف ذا أهمية بالغة بحيث مكنوا يوسف من احتلال الاندلس دون إراقة الكثير من الدماء بفضل يوسف من احتلال الاندلس دون إراقة الكثير من الدماء بفضل داخل الاندلس د

الهواميش

1) مثلا ، اهتم المؤرخون والفلاسفة الاسبان يصفة خاصة بالعصور المتأخرة في التاريخ الاندلسي لان الاشكالية التي كانت قشغل بالهم دوما هي لماذا وكيف احتل المسلمون إسبانيا وكيف طردوا منها ؟ تفوق تآلهف المؤرخين الاسبان حول عصر بني امية اهمية تآليفهم حول عصر ملوك الطوائف والعهود المتأخرة من الشاريخ الاندلسي من حيث عددها وقيمتها العلمية . ومع ذلك ، نلاحظ انعدام توازن كبير بين المصادر التاريخية الاساسية الموجودة لدراسة الترون الثلاثة الاولى من التاريخ الاندلسي و الدراسات التي انجزت حول تلك الحقبة التاريخية ، اقد اهتم المؤرخون الفرنسيون وهلى راسهم إيفرست ليفي بروفنصال بعصر بني امية حيث استطاع المؤرخ الفرنسي المذكور ان يدرس دور العرب والبربر في المجتمع الاندلسي ، اما المغاربة فقد فضلوا يدرس دور العرب والبربر في المجتمع الاندلسي ، اما المغاربة فقد فضلوا التركيز على اهمية عهدى المرابطين والموحدين حيث كانت الاندلس تخضع الشركيز على اهمية عهدى المرابطين والموحدين حيث كانت الاندلس تخضع للسلطة القائمة في الضفة الجنوبية من مضيق جبل طارق . واقد تطرقنسا لهذه

القضايا والخيرها بدقمة اكثر في مقالة عنوانهما «التصورات التاريخية الانداس وقديما وحديثا» («المجلة التاريخية المغربية » ، عدد 29 ـ 30 (1983) ص ه 487 ـ 503) .

- 2) راجع الفصل الذي بـ النظام الشرعـ في إشبيليـ والاندلس في
 كتابنا « التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية فـ عهد دول الطوائـف » ،
 تطون ، 1983 ، ص: 134 ـ 162 .
- 8) لقد كان وعي المؤرخين في القرون الوسطى يتبيز في غالب الاحيان بأهبية البعد الديني وفيما يخص التاريخ الانداسي في القرن الخامس المعجرة فتنعكس هذه الظاهرة بوضوح في مختلف انواع المصادر . مثلا ، تتبيز كتب السير والطبقات مثل «كتاب الصلة » لابن بشكوال و «بغية الملتمس» للضبي بطابع ديني واضح .
 - 4) إفرست ليفي بروفنصال ، « تاريخ إسبائيا الاسلامية » .

E. Lévi - Provencal, Histoire de l'Espagne musulmen, tome 1, Paris - leide, 1950, PP. 149-150.

ميكل اسين بالاثيوس ، «ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي
 للانكار الدينية » ؛

Miguel Asin Palacios, Abenházam de Cordoba y Su historia de las ideas Religiosas, tome 1, Madrid, 1927.

- 6) روبير برونشفيك «مجادلات في القرون الوسطى حول مذهب مالك»: Robert Brunschvig, Polémipues médlevales autour du rife de malik al-andalus, XV (1950) PP. 377 415.
- ٦) عبد المجيد التركي ، و مناظرة ابن حزم والباجي حـول مبادي ،
 الفقه الاسلامي » :

A. M. Turki Polémiques enfre Ibn Hazm et Bagi sur les principes de la joi musulmane Alger. 1973

8) إميليو غارسيا غوميث ، د فقيه إسباني : أبو إسحاق الـ إلبيري» :

الذيل والتكحلة (كتاب) : 104. الذخيرة (كتاب) : 110، 131، 154، 180، 181، 184.

الرازي .24:

الز لاقة .73 .56 .49 .38 .37 .36 .35 :

زنيبر، محمد الزلاقة .117:

.160 (159 (143 (126 (122 :

سسناندو دافيديث

.155 (154 (153 (152 (151 :

كلاوديو : 20، 21، 22، 23، 24، 171، 174. سرقسطة : 64.

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 8 اجزا ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، 1967 .

17) نتوفر حاليا على اربعة اجزا من «البيان المغرب» علاوة على الجز الخاص بالموحدين و إلا أن الجزئين الثالث والرابع يعتبران اكثر اهمية من غيرهما لدراسة التاريخ الاندلسي في عصر ملوك الطوائف:

ابو العباس احمد بن محمد بن عداري والبيان المغرب في ذكر اخبار المغرب و و تحقيق إليفي بروفنصال باريس و 1980 والجز 4 واخبار المغرب و و تحقيق إليفي بروفنصال باريس و 1980 والجز 4 وتحقيق د إحسان عباس بيروت و 1967. لقد فاقت اهمية مساهمة الاستاذ إحسان عباس في محسال الدراسات الاندلسية غيرها خلال القرن العشرين فيما يخص تحقيق المصادر العربية الاساسية و ان الامر لا يتعلق بمحقق دايق بل بعلامة بارز ومن اهم ما قام به الدكتور إحسان عباس تحقيق او إعادة تحقيق اهم المصادر التاريخية الاندلسية بما فيها جميع المسام و ذخيرة و ابن خزم و سائل ابن خزم و

- 18) ابو محمد عبد الواحد المراكشي . «المعجب في تلخيص اخبار المغرب» تعقيق محمد العربي العلمي القاهرة العالم ولقد نقل الاستاذ المبروسيو ويثي ميرندا (Huici Miranda) هذا الكتاب الى الاسبانية كما ترجمه الاستاذ فانيان (E'Fagnar) الى الغرنسية المستاذ فانيان (E'Fagnar)
- 19) ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري و الروض المعطار في خبر الاقطار و عقفه الاستاذ ليفي بروفنصال ونقله إلى الفرنسية بعنوات : La péninsule ibérique leide , 1938

19 مكرر مؤلف مجعول والحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية والمحتقيق إن س علوش والرباط والمعلم الدكتور سهير زكار والاستداذ عبد القادر زمامة بإعادة تحقيقه وطبعه في الرباط سنة 1979. وتلاحظ انهما اعدادا نشر النص الاصلي الدذي حققه علوش دون ذكر إسمه ودون ادنى إشارة الى طبعة 1936، وقد عوضا في بعض الاحيان العوامش التي وضعها

علوش في تحقيقه بتعاليق او شروح للكلمات الواردة في النص. ومع ذلك فرحب باعادة طبع احد المصادر الهامة لدراسة قاريخ المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس خصوصا وأن طبعة 1936 اصبحت مفقودة.

20) قام ليفي بروفنصال بنشر النص العربي ، ويتعلق الامر بالمخطوط الوحيد الذي كان موجودا في مكتبة جامع القرويين بفاس (عبد الله بن بلقين الزيرى ، حكتاب التبيان ، تحقيق (ليفي بروفنصال القاهرة ، 1955) ، وقام المستشرق الفرنسى بنقل جزا منه إلى الفرنسية ،

E. Levi - Provencel, Les memoires de 'Abd - Alláh, dernier roi ziride de Grenade, Al - Andales, III (1935) ' PP. 233 - 344 et IV (1935-39), PP 29-145.

وترجمه الدكتور امين توفيق الطيبي الى الانجليزية :

Amin Tawfig Tibi, The Tibyan of 'Abdullah b. Buluggin Last Zirid Amir of Granada, Brill, Leide, 1986.

وقام الاستاذ إميلو غارسيا غوميث مؤخرا بنقله الى الاسبانية:

E. Levi - Provencal y Emilio Garcia Gomez, El siglo XI en primera parsona, Las Memorias de ,Abd - Alfáh, ultimo rey ziri de Granada destronado por Los Almoravides (1090), Madrid, 1980.

وسوف تشجع هـذه الترجمة الاسبائية المؤرخين الاسبان على الاهتمام بالثاريخ الاندلسي في عهد دول الطوائف نظرا لاهمية هـذا النصدر الثاريخي الفريد من جهة ونظرا تصعوبة الحصول على النص العربي .

ونشير من جعة اخرى ان الجزاء الثاني من اطروحة الدكتور الطيبي يعتوي على تماليق وشروح تاريخية والغوية ذات اهبية بالغة . وهناك بعض الدراسات حول تاريخ بني زيري بغرناطة ومنعا : «بنو زيزي بغرناطة » لاندرو هاندلر .

ANDREW Handler, The Zirids of Granada, Coral Gables , 1974 .

وهيناب • بئو زيري آخر ملوك غرناطة • للاستاذ إسماعيل العربي بيروت ، 1980.

21) لقد نقبل عدد من المؤرخين المتأخرين التباسات من كتاب «المتين» لابن حيان ومنهم ابن عداري في «البيان المغرب» إلا ان النصوص المنتولة في «دخيرة» ابن بسام اكثر عدد من غيرها.

22) يمكن تمبيز النصوص التي وضعها ابن حيان وتلك التي وضعها ابن بسام لان الناسخ حدد كلاً منهما عندما قدم كل اقتباس قائلا «قال ابن حيان» او «قال ابن بسام» . فعلى سبيل المثال ، إن الذي وضع الفقرات حول ابي محمد بن عبد البر هو ابن بسام نفسه (ابو الحسن على بن بسام الشنتريني ، «الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» ، القسم الثالث ج. 1، تحقيق د، إحسان عباس ، ليبيا وتونس ، 1975 ، ص : 125 ـ 143.

28) لقد وصلنا الانتاج الادبي الاندلسي في القرن الخامس للهجرة عبر مصادر متعددة، مثل مطبح الانفس» لابن خافان، إلا ان و دخيرة، ابن بسام تعد اهم مصدر ادبي لدراسة الشعر الاندلسي في عصر ملوك الطوائف. ما يزال هذا الميراث الادبي الغني بحاجة الى الدراسة والتعليل، ولحكن ظهرت دراسات هامة بعدة لغات حول الشعر الاندلسي في القرن الخامس للهجرة. شكلت والذخيرة، نفسها موضوع اطروحة لنيل الدكتراه بجامعة مدريد؛

Boulos Elias Nassif, La Dajtra de Ibn Bassám a'-Santarini de estudio crítico de su contenido, tesis doctoral inédita, Madrid, 1962.

حما ان هناك دراسات جامعية ركزت على الجوانب المختلفة في شعر المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية معتمدة في ذلك على مناهج مختلفة .

مثلا عناك دراسة المواضيع الواردة في شعر المعتمد عنوانها «المعتمد ابن عباد وانتاجه الشعري وراسة للمواضيع» انجزها الدكتور رضى السويسي و Ridha Soulssi ' Al - Mu'tamid ibn 'Abbad et son oeuvre Poétique, étude des Thémes (Tunis, 1977.

وتناول الدكتور شاندلاين البنية في شعر المعتمد في كتابه * الشكل والتركيب في شعر المعتمد بن عباد »:

Raymond Scheindlin, Form and Structure in the Paetry of Al-Mu'tamid

ولمحمد مجيد السيد دراسة عامة حول الشعر الاشبيلي في عهد دول الطوائف عنوانها «الشعر في ظل بني عباد» القاهرة ، 1979 . وحاول الدكتور صلاح خااص ان يطبق المنهج الماركسي على الشعر الاشبيلي في كتابه «إشبيلية في القرن الخامس الهجري . . . » بيروت ، 1966 .

إن الشعرا الاندلسيين المعاصرين لعدد دول الطوائف مثل ابن زيدون وابن عمار وابن اللبائة من اشهر الشعرا الاندلسيين وهناك دراسات حول بعضهم، ومع ذاك لا يظهر في هذه الدراسات هل كان الشعر والادب يدرسان في المساجد وهو سؤال هام تصعب الاجابة عنه بشكل نهائي.

24) ألف أبو محمد علي بن حرزم أول كتاب من نوعه في مقارضة الاديان ولقد فام المستشرق ميكيل أسين بلائيوس بنقله الى الاسبانية وأضاف الاديان ولقد فام المستشرق ميكيل أسياسي والفلسفي والشرعي بحيث مساؤليه دراسة حول أبن حزم وفكره السياسي والفلسفي والشرعي بحيث مساؤالت هذه الدراسة رغم قدمها من أعمق الدراسات الموجودة حول أبن حزم.

Miguel Asin Palacios' Abenhazam de Cordoba y su historia critica ..., 5 tomos, Madrid, 1927.

25) أبو محمد على بن حزم ، «جمهرة انساب العرب» تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1962 . وراجع في هذا الموطوع ايضا مقالة للاستاذ خاسينطو بوش فيلا :

Jacinto Bosch Vila, Ibn Hazm, Genealogista, in Al-Mulk, 3 (1963), PP. 5-15.

26) وكان ابن حزم شاعرا بارزا بحيث نجد عددا من أبياته الشعرية في حدّابه دطوق الحمامة ، تحقيق فاروق سعد ، بهروت ، 1972 . ونقل همذا الكتاب الى لغات مختلفة بحيث ترجمه إميليو غارسيا غوميث الى الاسبانية ونقله المستشرق أبري (A. J Arborry) إلى الانجليزية . وقد نقل ابن بسام بعض

الابيات من اشعار ابن حزم (أبو الحسن على بن دزم الدخيرة في محاسن أهل الحزيرة ، القسم الاول ع. 1 ، تحقيق د. إحسان عباس ص: 166 ، 171 ـ 179 .

27) ايو محمد علي بن حزم ، « كتاب الاحكام في اصول الاحكام » ، حول دراسة نقدية اهذ الكتاب ولفكر ابن حزم في مجال الفقه راجع الفصل الذي يحمل عنوان « ابن حزم المفقيه » في مقدمة طوميش « كتاب الاخلاق والسير » لابن حزم :

Ibn Hazm, Epitre Morale: Kitád al - Ajláq Wa - Lsiyar, ed, par Nada Tomiche, Beirouth, 1961, P.P. XXVI - XXXI.

- 28) ابو محمد على بن حزم ونقط العروس وحقه س. ف. سيبولد C. F. Soybold) ونقله لويس سيكودي لوئينا الى الاسبانية وبلنسية والسياسي على هذا المكتاب بالدرجة الاولى . 1974 ويطغى الطابع التاريخي والسياسي على هذا المكتاب بالدرجة الاولى . والف ابن حزم ايضا في المنطق فواجه انتقادات شديدة في هذا المجال والف ابن حزم القسم الاول وج. 1 المصدر السابق وص : 167) . ولابن حزم تصنبف للعلوم واقد قام الاستاذ سائم يفوت بدراسة هذا الموضوع في مقالة (سائم يفوت و تصنيف العلوم لدى ابن حزم و مجلة كلية الاداب و الرباط و رقم 9 (1982) وس : 53 ـ 91 .
- 29) يمكن ذكر الفقيه ابا حفص العوزني كمثال لفقيه وضع نثرا يتميز بتعبيره عن بعص التطورات التاريخية ذات الاهمية الكبرى وبأسلوب ادبيي فريد (راجع مثلا «الذخيرة» القسم الثاني عبد 1 تحقيق در إحسان عباس المصدر السابق و عن 83 _ 90).

- 31) انظر «الذخيرة» القسم الأول ع 2 المصدر السابق ص: 724 و 726.
 - (32) نغس المصدر برص: 614 . من التاليب
- (38) يعتبر اهسال قضية العلما والفقها في الاندلس في القرن الغامس الهجري وعدم اعتبار اهميتها اكثر خطورة لكون هذا المؤضوع لم يئل سا يستحقه من اهتمام الدارسين، وقد اصبحت اكثر التناعا بعد إنجاز هذا الفصل بأن المصادر التاريخية الاولية المتوفرة لدراسة هذا الموضوع كافية لدراسة جوافب متعددة لموضوع العلما والفقها الاندلسيين الذين لم يتطرق لها احد لحدد الساعة .
- 94) اصبحت مصطلحات مثل «الاسلام المغربي» و «الاسلام الشعبي» متداولة لدى الباحثين الغربيين وحتى أورفوا دوميتيك استعمل مصطلح «الاسلام الاندلسي» عنواذا للفصل الثاني من كتابه «عالم الاندلسيين من القرن الخامس الي السادس للعجرة»:

Urvoy Dominique, Le monde des ulémas avidalons du II - XIa ou VI - XIIa Siédes, Genéve, 1978, P. 4.

اما مصطلع «الاسلام المغربي » فقد جا استعماله عنوانا لاطروحة لنيال الدكتوراه حول زاوية ابني الجعد :

Dale F Eickelman, Moroccan Islam: Tradition and change in a Pilgrimage Cente,
Austin and London, 1976

- 35) راجع الفصل الاول من هذا الكتاب حول العصبية والعلاقات الاجتماعية في الاندلس في عهد الطوائف الله الله المالية المال
- 36) لقد نتج هذا للثقليد عن احترام الطلبة لاساتذتهم وكانت سمعة الاساتذة ومكانتهم العلمية تعتبر ضمانة للمقدرة الفكرية والثقافية التمي تمتع بها الطلبة .
- 37) الذخيرة ، القـم الأول ، ج . 10 المصدر السابق ، ص : 168 .

- 38) نفس البصدر فيص : 168 ـ 169 .
- (89) يظهر المستوى العلمي الرفيع الذي وصل إليه العلما والفقها القرطبيين في جميع مجالات المعرفة في القرن الخامس للهجرة في كتب السير والطبقات. ويخرج القارئ بنفس الانطباع في الدراسة التي قام بانجازها دومينيك اورفوا . مثلا ، نرى في الرسم الذي وضعه لتوزيع العلما الاندلسيين الجغرافي في القرن العجري الخامس ان قرطبة تأتي في المرتبة الاولى . الجغرافي في القرن العجري الخامس ان قرطبة تأتي في المرتبة الاولى . (Daminique Vrvoy, op. clif P. 32).
- 40) هذا هو الاستنتاج الذي وصلنا إليه في دراستنا حول جوانب مختلفة من التاريخ الاشبيلي (د. امحمد بن عبود ؛ «التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف» وتطوان ؛ 1988)
- إن اهمية إشبيلية في نهاية القرن الخامس للهجرة دفعت بالمرابطين الني التخاذها عاصمة العم في الاندلس الم
- 42) راجع ابن بسام ، «الذخيرة» ، القسم الثالث ، ج ، 1 ، المصدر السابق ، ص : 126 ـ 143 حول سيرة عبد الله بن عبد البر وانجازاته الادبية ،
- 48) لقد انتقد كل من ابن بسام وابن حيان عددا من الشخصيات الثقافية المعاصرة الهما . بل إن ابن حيان نفسه كان موضع انتقاد لكونه كان يتهجم على غيره ومن احدث الامثلة لذلك البحث الذي شارك به الاستاذ عبد

الله كُنُون رئيس العلما" المغاربة حاليا في المؤتمر الذي خصص لابن حيان في الرياط من 19 الى 28 نغمبر 1981 ، ونشر هنذا البحث بعنوان «نقطة ضعف في قاريخ ابن حيان» («المناهل» ؛ العدد 29 (1984) ؛ ص: 301 ـ 309) .

- 44) يمكن ذكر مثال الفقيه ابي بكر بن ملح الذي عاش سكيرا قبل ان يتحول الى عالم محترم.
- (ابن بسام ، «الذخيرة ، القسم الاول ، ج . 1 . المصدر السابس ،
- ص: 452). وعبر ابن ملح عن تغير سلوكه في ابيات شعرية (نفس المصدر).
- 45) الذخيرة ٤ القسم الاول ج. ١ المصدر السابق ص: 11 _ 12 .
- 46) والذخيرة " القسم الاول " ج . 2 " المصدر السابق " ص : 826 .
 - 47) نفس المصدر،
 - . بغس المصدر . (48
 - 49) نفس المصدر .
- 50) تطرقنا لغذا الاتجاه بالتفصيل عندما قدمنا الاوضاع الاقتصادية المامة في الانداس في القرن العجري الخامس اعتمادا على المصادر التاريخية الاولية في الفصل الثاني من هذا الكتاب.
- 61) ربما كانت احسن محاولة لتوضيح المشاكل المنهجية العامة المرتبطة بعصر الطوائف تلك التي قام بها الدكتور حسين مؤنس في مقالته «اعتبارات حول عصر ملوك الطوائف»:

Hassaya Monés, Conideraciones sobre la epoca de los reyes de talfas, Al-Andalus, XXXI (1966), PP. 305 - 328.

ومع ذلك ظهرت بعد صدور هذه المقالية دراسات جيدة حول عصر ملوك الظوائف .

52) مثلاً ور القاضى بن عباد أن يعترف بهشام الثاني وبسيادته على الشيلة والاندلس سنة 426 ه. _ 1034 م. («الذخيرة» القسم الثاني و ج.

- 14 المحدر السابق وص م 16 م 17) إلا أن المعتضد بن عباد أمر بالا يلقى
 خطاب الجمعة باشبيلية باسم هشام الثاني منذ سنة 451 هـ. ـ 1059 م .
- 53) «الدُخيرة» ، القسم الثاني ، ج ، 1 ، المصدر السابق ، ص : 82 .
 - 54) نفس المصدر،
 - 55) نفس المصدر ، ص: 84 ـ 89 .
 - 56) نفس المصدر ، ص 1 82 ـ 83 .
 - 57) نفس المصدر أص: 83.
 - . 452 : ص : 452 . (58
 - 59) نفس المصدر..
 - 60) نفس المصدر.
 - 61) نفس المصدر ، ص : 466 ـ 461 و 452 . 61
 - 62) نفس المعدر ، ص: 454.
 - 63) نفس المصدر، ص: 462.
- 64 حول سيرة ابن القصيرة راجع نفس المصدر الص : 239 ـ 244 ومقالة « ابن القصيرة ، دبله سي الدلسي في بلاط المرابطين » :
- C. Alvarez de Morales, Ibn al Qasira, un diplomatico andalusi en la corte de los almoravides, Cuadernos de Historia del Islam (Granada), 8, (1977), P.P. 85 94
- 65) * الذخيرة * القسم الثاني ، ج . 1 ، المصدر السابق ، ص ، 230 .

Ŧ ______

- 66) بنس البصدر .
- 67) نفس البصدر أص : 241 244 .

- 68) ﴿ كتاب التبيانِ » المصدر السابق •
- 69) * الدُخيرة ٥ * القسم الثاني ، ج ، 1 ، ص ١ 241 .
- 70) لقد اشار ابن بسام الى حتبه المتعددة والى معرفته الواسعة بحيث اعتبر أن مرتبته العلمية تقترب من المرتبة البارزة التي تمتع بعا ابوه الفقيه ابو عمر بن عبد البر. («الذخيرة » القسم الثالث ، ج ، 1 ، ص : 126 .

THE RESERVE OF THE PARTY OF THE

- 71) نفس المصدرات
- 72) نفس الحصدار ، ص: 125 ـ 126 .
 - 73) نفس المصدر، ص: 126.
 - 74) نغس البصدر ، ص: 129.
 - 75) نفسَ البصدر في ا 136 ـ 148 الله ا
- - 77) «الذخيرة، القسم الاول ، ج . 1 ، المصدر السابق ، ص : 169 .
 - . 168 : ص: 168 .
- 79) كان شاءرا فانتقده شعرا («الذخيرة» القسم الاول ، ج ، 1 ، المصدر السابق في في : 173).

- 80) حول رواية ابن حيان لمعارضة الفقها الانداسيين راجع نفس المصدر ، ص: 168.
 - 81) نفس البصدر ، ص : 169 ـ 171 .
 - . 169 : ص : 169 . ص : 169 .
 - 88) والدخيرة، القسم الاول ج. 1 . ض: 167 .
 - 84) «الذخيرة» القسم الثاني ، ج. 1 ، ص: 83 .
 - 85) «الذخيرة» القسم الأول ، ج . 1 ، ص : 168 .
 - 86) نفس المصدر ، ص: 170.
 - 87) نفس البصدر ، ص: 167 .
- 88) والذخيرة ، القسم الثاني ، ج ، 1 ، ص : 96 . لقد قدم لنا اير بسام رواية لانشطة ابي الوليد الباجي وانتاجه الادبي وهي وإن كانت ملخصة فإنها تتصف مع ذلك بالدقة والتركيز (نفس البصدر ، ص : 94 ـ 97) . وسافر الباجي الى المشرق حيث كان يلقي الدروس . وقال ابن بسام بأنه سافسر الى العشرق سنة 426 ه . ـ 1030 م . وانه ترك صدى طيبا في كل بلد زاره وأن نثره وشعره كانا معروفين هناك ، إلا ان شهرته كانت اهم في ميدان العلوم الدينية (نفس البصدر ، ص : 95) ، وقام ابو الوليد الباجي ايضا بزيارة بعض ملوك الطوائف فافتى عليهم بضرورة توحيد صفوفهم فقبلوا نصائحه جهرا معرفضم لها سرا (نفس المصدر ، ص : 96) . ومع ذلك ، د . . وما كان مع رفضهم لها سرا (نفس المصدر ، ص : 96) . ومع ذلك ، د . . وما كان عرجو الطرت الفقيه ، رحمه الله ، بأمورهم ، واعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالا تثوب ، ومذنبا يتوب . . . » . (نفس المصدر) .
- 89) لقد تطرقنا الاسباب الاقتصادية لمعركة الزلاقة في المدى البعيد وذلك في مقالة اخرى (د، امحمد بن عبود؛ «معركة الزلاقة والواقمع الاندلسي»؛ «البحث العلمي»؛ العدد 33 (1982)؛ ص: 49 _ 67 .
 - 90) ٥ الدُخيرة ، القسم الشاني ، ج . 1 ، ص : 241 ـ 244 .

91) إن قضية الضرائم في دول الطوائف تستحق دون شك دراسة عميقة ومفصلة . ومع ذلك ، فإن المصادر العربية الأولية تقدم لنا أرقاما مضوطة مع الاشارة . إلى اننا نتوفر على إشارات الى ارتفاع الضرائب المستمر والبي نتائجها الخطيرة والوخيمة . لا نشك إطلاقا في كون الضرائب كانت تعد من بين أهم الاسباب للسخط العام في الانداس في عصر الطوائف وقد فشل دملوك، الطوائف في ايجاد حل لهذا المشكل اعتبارا لما اصاب الاوضاع الاقتصادية من تعقيد قبل معركة الزلاقة . وقد استغل يوسف بن تاشفين هـذا الفشل احسن ستغلال بحيث اعتبره من المبررات الاديواوجية والشرعية لتدخله المسكري في الاندلس . حول الجباية في بلنسية في اوائل القرن الخامس للعجرة - 11م راجع المقالة التالية:

A. L de Premare et Pierre Guichard, Croissance urbaine et societe rurale à Valence au début de l'époque des royaumes des taites (XI e siécle de J. C.) in Ravue de Mande Musulman et de la Méditerranée, 31 (1981)

- 92) دكتاب التبيان، المصدر السابق، ص م 116.
- 93) قدم تميم بن ملتين صاحب مالقة خمسين مثقالا للقاضي ابن سهـل مقابل مساندته له ضد اخيه عبد الله بن بلقين إلا أن ابن سعل رفض هذا العبلغ حدما رفض ان يساند تديما (نفس العصدر).
 - . 146 نفس المصدر ، ص : 146 ، ١٩٤٠ نفس المصدر ، ص : 146 ،
- 97) يعتبر هذا الجانب مثلا آخر لاهمية « كتاب التبيان » لعبد الله بن بلقين بصفته مصدرا تاريخيا. لقد قدم لنا صاحب «التبيان» الشرائع الاجتماعية للمجتمع الغرناطي كما أو كان عالما اجتماعيا عصريا بحيث انتقد الدوافيم المختلفة لمعارضة كل شريحة له عند وصول جيش يوسف بن تاشفين الى غرناطة قصد احتلالها . ولا يمكن لنا إلا ان تعبر عن دهشتنا واعجابنا بتحليله نظراً لما يقترب من التجاليل العصرية .

الوضعية استكناه عناصر الاتجاه التضخمي المفرط في أبسط مظاهره: التشكك، وازدياد النقود المتداولة دون نمو مقابل للطاقة الانتاجية مما أدى إلى ارتفاع أسعار المنتوجات وبالاضافة إلى ارتفاع المبالغ التي كانت تؤدي في شكل جزية وكانت هذه الجزية التي فرضها الملوك المسيحيون تمثل عبئاً مالياً ثقيلا على اقتصادها وفي ذات الوقت تعتبر مؤشراً على قوتها الاقتصادية كلها. وكانت تستخلص من المداخيل الصافية بعد تأدية كل المصاريف الحيوية، وكان ذلك لايزال في مستطاعهم ، وفي مقابل أدا ً الجزية كانت تقدم لهم الحماية وتحالفات يحاولون من خلالها ضمان مصالحهم بطرق مختلفة ، من بينها مهاجمة دول طائفية أخرى واحتلال بعض حصونها غير أن مقدار الجزية المفروض تزايد إلى أن وصل إلى حد يتجاوز مقدرتهم. ولم يكن أمامهم أي حل سوى تأديتها أمام التهديد الذي كانت تمارس عليهم الجيوش المسيحية المستعدة لاصابتهم بأضرار خطيرة في حالة رفض التأدية ، وقد تجاوز مبلغ الجزية المفروضة على دول الطوائف مداخيلهم مما أدى إلى تدهور اقتصادها إلى درجة لم يسبق مثيلها وأوصلهم إلى الإفلاس. فكم كان مبلغ الجزية المفروضة على دول الطوائف؟ لقد كان يختلف باختلاف الظروف التي فرضت فيها، ذلك أنه حين كان بعض ملوك الطوائف يتذمرون من العب المالي الذي لم يعودوا يتحملونه، كان آخرون يزيدون في عروضهم مقابل مساعدة عسكرية أو سياسية . وهكذا نجد وزير المعتمد بن عباد ، ابن عمار ، في مفاوضة مع الفونسو السادس يعده به: 50،000 مثقال

الفصل الرابع

التأريخ في الاندلس في عهد دول الطوائف

يعتبر التأريخ في الاندلس في القرن العجري الخامس من المواضيع المشوقة والمعتعة حقاً ويعود ذلك أساساً إلى كون التأريخ لم ينفصل عن التقاليد الاندلسية في الكتابة التاريخية حتى نعاية عقد دولة بني أمية وقد تميز بدرجة عظيمة من الانقان خلال هذه الحقبة التاريخية إذ لم تعادله الكتابة التاريخية الاندلسية خلال القرون الحقبة التالية. وقبل أن نناقش التأريخ الاندلسي في القرن الحامس للعجرة يجبأن نشير إلى أن مصطلح التأريخ قد يبدو غامضا لسبب أساسي وهو أن الكتابة التاريخية تتميز بأبعاد متعددة، فهي تشمل المادة

(المادة التاريخية المتوفرة في المصادر الاولية) والتي تختلف من موضوع له أخر. ثم هناك مسألة اختيار المؤرخ للمادة التي سينطلق منها لمعالجة موضوعه. ومن الجدير بالذكر أن هذه الاخيرة بامكانها أن تتأثر بعوامل ومقاييس متعددة ، وتضيف الى ذلك مساهمته الشخصية في فرض هذه المادة من خلال تفسيراته ومن خلال العلاقة بين ما ينتجه المؤرخ وما يبدعه وبعبر عنه . ويبدو التأريخ معقدا بوضوح لانه يختلف عندما يتعلق الامر بتواريخ مختلفة ، حيث يشمل ذلك عهودا مختلفة من حيث الفترة الزمنية والحدود الجغرافية والمجتمعات المختلفة . ونتيجة لهذا يبقى السؤال ، موضوع ملموس ، محدد من حيث الزمان والمكان .

سنحاول في هذا الفصل أن نقدم بعض العناصر الرئيسية للكتابة التاريخية في الاندلس في القرن الهجري الخامس نظراً لحكونها شكلت مرحلة هامة في التطور العام للتأريخ الاندلسي الذي كان يشكل تقليداً غنياً ومتنوعاً، خصوصاً لدى بعض المفكرين الاندلسيين البارزين المعاصرين لعهد الطوائف ممن أنتجوا أعمالا متميزة تشكل كتابة تاريخية ممتازة في نظر المؤرخين المعاصرين (۱). وهذا مما يتيح لنا إمكانية الحديث عن التقليد الاندلسي في مجال التأريخ في القرن الخامس للهجرة وعن المؤرخين البارزين الذين شكلوا جزاً لا يتجزأ من هذا التقليد ، والذين ساهموا في إغنائه وتوجيهه توجيها جديداً وفي تطوره إذ كان لمه تأثير عميق في المكتابة توجيها خديداً وفي تطوره إذ كان لمه تأثير عميق في المكتابة توجيها خلال القرون التي تلت القرن الهجري الخامس، ليس في

الانداس فحسب بل وخارج حدودها خصوصاً في المغرب الكبير والمشرق (2) .

من البديهي أن أية دراسة تاريخية ذات أهبية لا بد لها أن تشمل دراسة مؤرخين جديين. إذا ، ما هي تبعة الكتابة التاريخية في الاندلس في عهد دول الطوائف ؟ وما الفائدة من دراسة التأريخ خلال فترة تاريخية محددة ؟ من المتفق عليه لدى العلما حديثا أن التأريخ كان متطوراً جداً ولعل ذلك واضح في الاقتباسات الموجودة في الدراسات المتعددة حول مؤرخ أندلسي بارز ونعني به ابن حيان ولكن ما هي المقاييس التي يجب الاعتماد عليها للتفريق بين التأريخ الجيد والردى ؟ وما هي العناصر التي جعلت من التأريخ الاندلسي تأريخا منفرداً عن غيره ؟ ولماذا وجب التركيز على القرن المجري الخامس وحده ؟ كيف يمكن لنا أن نقارن بيسن التأريخ في الانداس عموماً وما هي أبرز خصائصه وأهمها ؟ كيف تأثر كل في الانداس عموماً وما هي أبرز خصائصه وأهمها ؟ كيف تأثر كل فرد من المؤرخين البارزين بالحركة العامة للكتابة التاريخية خلال همذه الحقبة التاريخية ؟

هذه بعض الاسئلة المطروحة في هذا الفصل وسوف نحاول الاجابة عنها جزئياً إن لم نتوقف في الاجابة عنها كلياً. إلا أن الهدف الحقيقي لهذا الفصل لا يكمن في معالجة الموضوع بكيفية نعائية بل فريد أساساً أن نثير اهتمام القرائبه وننعشه وأن نقترح المحالات الممكن البحث فيها في إطار هذا الموضوع كما نرغب فيها نمي نقديم أبرز جوانبه لمن يجهلها المدين أبرز جوانبه لمن يجهلها المدين المرز جوانبه لمن يجهلها المدين المدين أبرز جوانبه لمن يجهلها المدين المد

نربد قبل مناقشة طبيعة الكتابة التاريخية في الاندلس في القرن الخامس للهجرة أن نطرح السؤال التالي: ما هي العوامل التي مكنتها من تحقيق أهمية كبرى ؟ لقد ساهمت عوامل متعددة في تشجيع نمو هذه الظاهرة، إلا أن العوامل التالية تبرز أكثر من غيرها: الميراث الثقافي والفكري الاندلسي في القرن الهجري الخامس، والشخصيات الفكرية البارزة المعاصرة لتلك الحقبة التاريخية وحرية الفكر والتعبير، ونزاهة العلما المعاصرين لتلك الحقبة وطاقاتهم الابداعية ونطور التاريخ بصفته مجالا معرفياً متخصصاً.

1) الميراث الثقافي والفكري الاندلسي:

بلغ تطور مختلف فروع المعرفة في الاندلس بما فيها التاريخ أوجه في القرن الخامس العجري بفضل التقليد الثقافي والفكري الاندلسي الموروث عن القرون الثلاثة السابقة ، وعن القرن الرابع للعجرة على وجه الخصوص، وإننا نتوفر على دراسات متعددة حول تلك الحصيلة الثقافية والفكرية الاندلسية خلال عهد دولة بني أمية (وكان الحكم الثاني وهو آخر خليفة أموي فعلي قد اشتهر بعلمه وبمكتبته الفريدة والزاهرة) (3) وتعود هذه الحصيلة الثقافية والفكرية في حد بعيد الدى تأثير المشرق في جل المجالات المعرفية . ولقد

البارزين أمثال أبي الطيب المتنبي (5) لقد تأثر ابن حيان بالمؤرخين الاندلسيين الذين سبقوه تأثيراً عميقاً (6) لكن تاريخه للاندلس في عهد دول الطوائف وهو عصره والمعروف بكتاب «المثين» يعتبسر عملا تاريخياً أصيلاً (7) كما ثائرت شخصية الجغرافي أبي عبيد البكري بالرحالة القادمين من المشرق ولو أنه زار مختلف الامصار في الاندلس والمغرب ووصفها فإن وصفه الفريد للجزيرة العربية يبقى مبنياً على الروايات التي سمعها في الاندلس (8) وإن حصوله على هذه المعلومات من المشرق بطريقة غير مباشرة لا تنقص من القيمة الثقافية التي تتميز بها كتابات هذا الجغرافي الاندلسي البارز. وبامكاننا أن نذكر المزيد من الامثلة من هذا النوع في مجالات معرفية متنوعة (9).

ومع هذا ، علينا ان نؤكد في هذا المجال - أن الميراث الاندلسي في القرن الهجري الحامس أنتج حركة ثقافية وفكرية أندلسية خلال تلك الحقبة . ومن هنا يأتي انتما المفكرين الاندلسيين العظام في القرن الخامس الى حركة شمولية كان وعيهم بها تاما (10) . ويعكس هذا مثلا فيما سماه بعض العلما المشارقة بالتعصب الاندلسي، ولكن الافتخار بانتما شخص الى تقليد ثقافي أمر مشروع . كان الاندلسيون في القرن الخامس للهجرة يفتخرون بتراثهم الثقافي والحضاري ولقد عبروا عنه بحرية مطلقة ويعكس هذا الافتخار والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي وضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس

ركز الباحثون الذين درسوا هذا التأثير على أمنية هذه الظاهرة بشدة.

ولربما لم يصل تطور المعرفة في الانداس إلى قمته إلا في القرن الخامس للهجرة ويعود ذلك أساسا إلى كون المعرفة أصبحت تتميز بطابع أصيل يرتبط بعما ارتباطاً جذرياً.

وبعبارة أخرى، أصبحت المعرفة في الاندلس في القرن الخامس للهجرة معرفة أندلسية بالدرجة الاولى وتتضح أهمية هذا التحول الجذري أو هذه الثورة الثقافية في شتى مجالات المعرفة وهذا لا يعني أن العلما الاندلسيين انفصلوا عن جذورهم بانحرافهم التقليد الثقافي والفكري لينتجوا عطا جديدا وأصيلا وأندلسيا بكل ما في الكلمة من دلالة. مثلا، يعتبر معجم نراجم طبقات علما وفقها و القرن الخامس الهجري الذي صنفه ابن بشكوال امتداداً لدراسة ابن الفرضي حول العلما الاندلسيين إلى نهاية القرن الرابع للهجرة(4) وخلافًا لكتاب والعقد، لابن عبد ربه الذي يشكل جمعًا لمختارات . شعرية مشرقية (باستثناء شعره) ، جمع ابدن بسام في كتابه الضخم · الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أشعار الاندلسيين المعاصرين للقرن الخامس الهجري ونثرهم في ثمانية أجزا ، وكان الهدف الاساسي من أنجازه هذا العمل أن يضع نعاية للموقف الذي كان سائدا قبل ذلك والقائل بتبعية الاندلس الثقافية للمشرق العربي خاصة في ميدان الشعر . ولقد عبر ابن بسام عن نيته هذه صراحة في مقدمته ، إلا أنه قارن بين أبيات الاندلسيين وأبيات الشعرا العرب

البارزين أمثال أبي الطيب المتنبي (5) لقد تأثر ابن حيان بالمؤرخين الاندلسيين الذين سبقوه تأثيراً عميقاً (6) لكن تاريخه للاندلس في عهد دول الطوائف وهو عصره والمعروف بكتاب «المثين» يعتبسر عملا تاريخياً أصيلاً (7) كما ثائرت شخصية الجغرافي أبي عبيد البكري بالرحالة القادمين من المشرق ولو أنه زار مختلف الامصار في الاندلس والمغرب ووصفها فإن وصفه الفريد للجزيرة العربية يبقى مبنياً على الروايات التي سمعها في الاندلس (8) وإن حصوله على هذه المعلومات من المشرق بطريقة غير مباشرة لا تنقص من القيمة الثقافية التي تتميز بها كتابات هذا الجغرافي الاندلسي البارز. وبامكاننا أن نذكر المزيد من الامثلة من هذا النوع في مجالات معرفية متنوعة (9).

ومع هذا ، علينا ان نؤكد في هذا المجال - أن الميراث الاندلسي في القرن الهجري الحامس أنتج حركة ثقافية وفكرية أندلسية خلال تلك الحقبة . ومن هنا يأتي انتما المفكرين الاندلسيين العظام في القرن الخامس الى حركة شمولية كان وعيهم بها تاما (10) . ويعكس هذا مثلا فيما سماه بعض العلما المشارقة بالتعصب الاندلسي، ولكن الافتخار بانتما شخص الى تقليد ثقافي أمر مشروع . كان الاندلسيون في القرن الخامس للهجرة يفتخرون بتراثهم الثقافي والحضاري ولقد عبروا عنه بحرية مطلقة ويعكس هذا الافتخار والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي وضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس

البارزين أمثال أبي الطيب المتنبي (5) لقد تأثر ابن حيان بالمؤرخين الاندلسيين الذين سبقوه تأثيراً عميقاً (6) لكن تاريخه للاندلس في عهد دول الطوائف وهو عصره والمعروف بكتاب «المثين» يعتبسر عملا تاريخياً أصيلاً (7) كما ثائرت شخصية الجغرافي أبي عبيد البكري بالرحالة القادمين من المشرق ولو أنه زار مختلف الامصار في الاندلس والمغرب ووصفها فإن وصفه الفريد للجزيرة العربية يبقى مبنياً على الروايات التي سمعها في الاندلس (8) وإن حصوله على هذه المعلومات من المشرق بطريقة غير مباشرة لا تنقص من القيمة الثقافية التي تتميز بها كتابات هذا الجغرافي الاندلسي البارز. وبامكاننا أن نذكر المزيد من الامثلة من هذا النوع في مجالات معرفية متنوعة (9).

ومع هذا ، علينا ان نؤكد في هذا المجال - أن الميراث الاندلسي في القرن الهجري الحامس أنتج حركة ثقافية وفكرية أندلسية خلال تلك الحقبة . ومن هنا يأتي انتما المفكرين الاندلسيين العظام في القرن الخامس الى حركة شمولية كان وعيهم بها تاما (10) . ويعكس هذا مثلا فيما سماه بعض العلما المشارقة بالتعصب الاندلسي، ولكن الافتخار بانتما شخص الى تقليد ثقافي أمر مشروع . كان الاندلسيون في القرن الخامس للهجرة يفتخرون بتراثهم الثقافي والحضاري ولقد عبروا عنه بحرية مطلقة ويعكس هذا الافتخار والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي بوضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس والوعي الجماعي وضوح في الرسائل حول محاسن أهل الاندلس

994 - 1064 م،) (11). وهي تستحق تحليلا دقيقا ولكننا سوف نكتفي في إطار هذا الفصل بتقديم بعض الملاحظات.

حان وعي ابن حزم بهذه الحركة التي كان يشكل جزاً منها تاماً. وكثيرا ما اعتبر وعي الاندلسيين بانتمائهم الثقافي نوعا من التعصب المأعمى والشعور ببغض الاجانب.

ومع ذلك ، فإننا لا نستغرب من افتخار الاندلسيين بانجازاتهم الثقافية والفكرية والحضارية ونرى في ذلك سلوكا عاديا ، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار تفوقهم على المشارقة في مجالات متعددة ثم تفوقهم المؤكد على المغاربة في حل فروع المعرفة السائدة خلال القرون الوسطى في المغرب والاندلس وباستثنا الثقافة الشعبية الشفوية ، لم توجد في المغرب حسب المقاييس الاندلسية ثقافة قبل القرن العجري الخامس . وليس سعلا على بصفتي مغربيا أن أصرح بعده الحقيقة ولكن يمكن لنا أن نقدم نفس الملاحظة إذا قارنا بين بعده الحقيقة ولكن يمكن لنا أن نقدم نفس الملاحظة إذا قارنا بين ولقد اعترف المؤرخون الاسبان حديثا بحقيقة هذا التفوق ومنهم ولقد اعترف المؤرخون الاسبان حديثا بحقيقة هذا التفوق ومنهم رامون مننديث بيدال .

ازدهرت الحركة الثقافية العامة في القرن الخامس ازدهارا عظيما ويبدو دُلك واضحا في عدد من المجالات التي ظهرت (سوام الدينية أو العلمية منها) مع أنها كانت كثيرة التداخل في الاندلس نظرا للشمولية التي تطبع الاسلام الذي يعرض للحياة في أبعادها الروحية والدنيوية ويضم بالتالي العلم بجميع أبعاده من جهة كما يظهر ذلك في العدد الكبير من التآليف التي انتجت خلال تلك الحقبة (12). ولئن اشتهرت بعض المدن والمناطق بطاقتها الانتاجية ، خصوصا قرطبة ، فقد شملت هذه الحركة جل أطراف الاندلس (13) . ونتيجة لتعميم التعليم وانتشار المعرفة في الاندلس في ألقرن الخامس للهجرة ، أصبحت هذه الحركة تتصف ببعد كمي ينعكس في الانتاج الثقافي والفكري الضخم الذي تميزت بم هذه العقبة وببعد كيفي ينعكس في الشخصيات الثقافية البارزة المعاصرة التي ارتفعت الى مستوى عالمي في ميادين متعددة بما فيها التاريخ (14). فعلى سبيل المثال، إن أبرز الشعرا" والفقها" والمؤرخيس وغيرهم من المفكرين الاندلسيين ظهروا في القرن الخامس بالذات. وإن كان هؤلاً المثقفون البارزون من انتاج بيئتهم فإنهم اغنو بدورهم الحركة الثقافية العامة في الاندلس وساهموا في المزيد من تقدم المعرفة في الاندلس فيما بعد . كما كان لهم تأثير في انتشار المعرفة والفكر خارج الاندلس، وفي المغرب، وفي أنحا أخرى من العالم الاسلامي من جعة ، وفي أوربا من جعة أخرى ا

وإن كان من الواضح أن للميراث الثقافي والحركة العامة في الاندلس دوراً هاماً في انتاج الشخصيات الثقافية البارزة فسي القرن العجري الخامس، فإن أهمية مساهمة هذه الشخصيات العظيمة للحركة أمر بديهي ومن الاهمية بمكان أن نطرح السؤال التائي: هل أبرزت الحركة الثقافية والفكرية العامة في الاندلس المفكرين الاندلسيين البارزين في القرن العجري الخامس، أم أنتج هؤلا هذه الحركة ؟ لا يمكننا أن ننكر أن ابن حزم وابن بشكوال وابن زيدون وأبا الوليد الباجي وابن عبد البر والبكري وابن بسام وعشرات من الاسما الاندلسية اللامعة من نتاج الحركة الثقافية والفكرية العامة في الاندلس خلال القرن الخامس للعجرة بحيث إنعم كانوا يشكلون جزاً لا يتجزأ منها ولا يمكننا أن نتصور احتمال إنجازاتهم الفكرية لولا وجود هذه الخركة.

ومن جهة أخرى ، يمكننا أن نتسائل ، لماذا لم يكن ابن عبد البر مؤرخا في مستوى ابن حيان أو لماذا أنتج ابن حزم وليس ابن بشكوال أول كتاب في مقارنة الاديات من نوعه في التاريخ البشري ؟ بعبارة أخرى ، لا ينقص تأثير الحركة الشمولية والبيئة الاجتماعية من قيمة المساهمة الشخصية لعلما القرن الخامس الهجري ومفكريه بحيث اعترف بعبقريتهم كل من اهتم بفكرهم وتعمق في دراستهم وفي نهمهم (15) . وتجدر الاشارة الى أنه بالرغم من نهمنا

لمساهمة الاندلس في القرن العجري الخامس على المستوى الثقافي، فإن المجال ما يزال مفتوحا في هذا المضمار. ومن أكثر الاسباب أهمية لحدود معرفتنا هذه الحقيقية التي تتجلى في كون المصادر الاولية لدراسة القرن الخامس للعجرة لم تستغل بفعالية لحد الآن، زيادة على ان المصادر التي وصلتنا لا تشكل إلا جز صئيلا مما أنجز فعلا. وسوف نكتفي بذكر بعض الامثلة لابراز هذه الحقائق. ففي مجال التاريخ، لم تصلنا إلا نصوص محدودة من كتاب ففي مجال التاريخ، لم تصلنا إلا نصوص محدودة من كتاب المقرب. . . لابن عذاري و « ذخيرة ، ابن بسام) كما أن المؤرخين يشكون فيما إذا كان عمل «البطشة الكبرى ، لابن عنادي و ساد على «البطشة الكبرى ، لابن المؤرخين الفرن المراعات والنزاعات التي نخرت عظم قرطبة في القرن العجري الخامس الى حين احتلالها من طرف المعتمد بن عباد العجري الخامس الى حين احتلالها من طرف المعتمد بن عباد العجري الخامس الى حين احتلالها من طرف المعتمد بن عباد والذي ذكره بعض المؤرخين القدما يشكل كتابا تاريخيا مستقبلا أو كان يشكل جزاً من النسخة الاصلية الضائعة لكتاب أو كان يشكل جزاً من النسخة الاصلية الضائعة لكتاب المتيدن ، (16) .

وفي إطار العلوم الدينية ، لا نتوفر حاليا على عدد يذكر من الكتب التي أنجزها العلما في القرن الخامس والتي ذكرها ابن بشكوال في • كتاب الصلة ، ، إلا أن الطاقة الانتاجية الضخمة لهذه الشريحة المجموعة شكلت موضوع دراسة انجزها الاستاذ أورفوا دومينك وتشير نتائج تحاليله الكيفية بوضوح الى عمق كبير من حيث الكم (17).

إن الامثلة التي يمكن ذكرها متعددة ولكننا سوف نكتفي هنا بالاشارة الى أسباب النقص في تصورنا الحالي للحركة الثقافية العامة في الانداس في القرن الهجري الخامس، فعلاوة على ما نعرفه عن الشخصيات الثقافية الاندلسية البارزة كانت هناك دون شك شخصيات أخرى لا نعرف عنها إلا القليل أو لا نعرف عنها شيئاً (18) ومع ذلك، فبالرغم من إدراكنا بما نجهله عن هذه الحركة وشخصياتها البارزة، فإن ما نعرفه فعلا عنها لا يستهان به كما أن ما يمكننا أن نعرفه من خلال المصادر الاولية المنشورة لا يقل أهمية.

كانت الحركة الثقافية والفكرية العامة في الاندلس خلال القرن الخامس العجري تشكل الارضية والقوة المحركة والمنعشة لكل شخصية ثقافية هامة. وقد برزت هذه الحركة العامة بخصائصها المختلفة التي أبرزها الملامع التالية:

أ) تميزت بالشبولية بحيث كانت تضم مجالات مختلفة من العلوم الدينية والاجتماعية والطبيعة والتجريبية تظهر في تداخل المعرقة ضمن هذه الحركة بوضوح في الارتباط المباشر للفروع المعرفية المختلفة.

ب) يظهر الطابع العام والشعبي لهذه الحركة في تنوع الانتما الاجتماعية الاجتماعية الاجتماعية الله شرائع مختلفة تنتمي إلى الارياف وإلى المناطق الحضرية على السوا (بما في ذلك جل المدن الاندلسية وعدد كبير من

قراها) ويجب أن نضع هذه الظاهرة في إطار الحركية الاجتماعية التصاعدية والتنازلية ، وفي الحركية الاجتماعية العمودية التي كان يتميز بها المجتمع الاندلسي . فعلى سبيل المثال ، يظهر التوزيع الجغرافي للعلما الاندلسيين في الاسما التي كانوا يحملونها مثل القرطبي (من قرطبة) والاشبيلي (من إشبيلية) والباجي (من باجة) والداني (من دانية) .

ج) برز نطور النقد الفكري والسياسي والتاريخي والجدال الديني والمذهبي داخل هذه الحركة بوضوح. ومن بين الامثلة التي يمكن ذكرها انتقادات ابن حزم الصارمة الخيره والانتقادات الموجعة ضده (مثلا، انتقاد ما ألفه في المنطق) (19)، والجدال بين الاديان (مثلا، بين الاسلام واليهودية كما يعكس في جدال ابن حزم وابن النفرالة أو في المناظرة بينه وبين أبي الوليد الباجي التي تعكس الصراع بين المذهب الظاهري والمذهب المالكي في الاندلس) وينعكس النقد السياسي في المواقف المختلفة التي اتخذها ابن حزم نجاه ملوك الطوائف. واكتسى النقد التاريخي أهميته خلال هذه الحقبة ويعكس ذلك مثلا في الانتقادات العنيفة التي قدمها ابن حيان

د) يتجلى الطابع الشمولي أو «الدولي» في المساهمة العالمية لمفكريها، مثلا، يمكن لنا أن نذكر أعمالا مثل «الفصل في الملل والنحل » لابئ حزم و «الذخيرة في محاس أهل الجزيرة ، لابسن بسام ضبن هنذا الصنيف

هـ) يظهر دور هذه الحركة بصفتها إطارا عاما ووسسة قائمة في وعي المثقفين الجماعي بالانتما إليها ، وينعكس ذلك في كون الاندلسيين كانوا يخاطبون بعضهم في تآليفهم الامر الذي يشير إلى ارتباطهم واتصال بعضهم بالبعض الآخر ، إلا أنهم كانوا يخاطبون العلما المشارقة في نفس الوقت ، المأمر الذي يشير الى اتصالاتهم بالخارج ، ويبدوا هذا الوعي واضحا مثلا ، في الرسائل في محاسن أهل الاندلس مثل تلك التي وضعها ابن حزم .

و) لقد أدى المستوى الثقافي لعدد من ملوك الطوائف في الاندلس ومكانة الثقافة في السياسة الى إنعاش هذه الحركة ، لان ملوك الطوائف كثيرا ما كانوا يشجعون المثقفيان الاندلسيين البارزين ماديا ومعنويا .

ويجب أن نضع ذلك في الاطار السياسي العام حيث كانت السياسة أحيانا تعتمد على الآداب والثقافة بصفتهما وسيلتين للدعاية والاشعار، مثلما كان الدين يستغل لاهداف سياسية.

ز) وأخيراً، من المهم أن نلاحظ أن الانشطة الثقافية والفكرية الرائعة في الاندلس في القرن الهجري الخامس تناقضت مع الوضعية السياسية والاقتصادية المأساوية التي ازدهرت فيها بل قد يشعر المر بإغرا ليتسال هل ساهمت التقلبات الاقتصادية والسياسة المثيرة التي تميز بها عصر دول الطوائف بوصفها قوة محركة المثيرة التي تميز بها عصر دول الطوائف بوصفها قوة محركة ايجابية في إنعاش الحركة الثقافية والفكرية الاندلسية.

من الاسباب الاساسية التي تكمن ورا الانتاج الثقافي المأصيل الذي ظهر في الاندلس في القرن الخامس للهجرة بالرغم من النمو الاقتصادي السلبي والاضطرابات السياسية التي تميز بها ذلك العصر، يمكن ذكر الدوافع التالية: حرية الفكر والتعبير، والاستقامة الثقافية والابداع وكان التاريخ من بين العلوم الاجتماعية التي استفادت من هذا «الانفجار » الثقافي. ومسن الغريب أن نلاحظ أنه وجد أوضاعا مناسبة بالرغم من بعض مواقف ملوك الطوائف. ورغم الحالة المزرية للاوضاع السياسية والاقتصادية خلال تلك الحقبة ، بلغ الحالة المزرية للاوضاع السياسية والاقتصادية خلال تلك الحقبة ، بلغ الانجاه الثقافي والفكري الذي تطور في عهد بني أمية الى أرقى مرحلة نضجه خلال عصر دول الطوائف حينما وصل عدد من المجالات المعرفية (بما فيها العلوم الدينية وغيرها) درجة فريدة من الاصالة والابداع في الاندلس

إن وجود الابداع والاصالة غير ممكن دون حرية التعبير، فكيف يمكن لنا أن نتحدث عن حرية التعبير وعن حرية التفكير في إطار الدول الطائفية حيث كان سلوك معظم ملوك الطوائف يتصف بأبشع أشكال الطغيان ؟ دون أن نذكر أمثاة ملموسة مثل الاغتيالات المتعددة التي دبرها المعتضد بن عباد ومنها اغتياله لابيه إسماعيل ولبعض الشخصيات الثقافية البارزة مثل الفقيه العوزني (20)، وسوف نكتفي بملاحظة انعدام الاستقرار عند ملوك الطوائف وقد

كانوا نتيجة لهذه الحالة مستعدين لتجاوز أقصى الحدود إذا أعبحت سلطتهم مهددة أو في حالة تقوية مواقفهم ونفوذهم بانخاذهم إجراءات مغينة ذهدف الى القضاء على المعارضة السياسية . ونظرا لكون سلطتهم كانت مهددة باستمرار ، فإنهم كانوا يعيشون في حالة نفسية جنونية كما كانت ردود فعلهم عنيفة الأدنى اثارة سريعة وتلقائية مثلا ، بالرغم من حساسيته الشعرية لم يتردد المعتمد بن عماد في ضرب أقرب الاصدقاء إليه وهو ابن عمار ضربة ذهبت بحياته وذلك بعد أنثار ضد المعتمد بمورسية (21) .

هل كانت هناك حرية التعبير والتفكير في الاندلس في القرن الخامس للهجرة ؟ وأية حريسة كانت؟ إن حرية التفكير والتعبير تتطلب ثمنا. وقد كان هذا الاخير أحيانا ورتفعا جدا . وفي إطار أوضاع كان مصير الافراد يتقلب فيها بين عشية وضحاها ، وحيث كانت الجرائم السياسية منتشرة وحيث كان الدور السياسي للثقافة يكتسي أهمية بالغة (مثلا ، يمكن ذكر الشعر ، خصوصا المدح ، كوسيلة للدعاية وتشجيع العلما بهدف المحافظة على سمعة الحاكم لدى العامة والعجا بصفته سلاحا سياسيا قائلا والانتقادات الموجهة الى الحكام والتطور العام في عصر دول الطوائف) كان مصير المثقفين والعلما مهدداً بتغيرات مثيرة نتيجة للتطورات السياسية . المثقفين والعلما معدداً بتغيرات مثيرة نتيجة للتطورات السياسية . مثلا ، أحرقت كتب ابن حزم بإشبيلية . ليس لان المعتضد كان معتما باهتمامات ابن حزم في مجالات مختلفة مثل الفقه والسياسية التي معتما باهتمامات ابن حزم في مجالات مختلفة مثل الفقه والسياسية التي والفلسفة والدين أو الادب ولكن نظراً لخطورة النتائج السياسية التي

اتخذتها مواقف ابن حزم المتطرفة ضد الدول الطائفية عندما رفض شرعية أنظمتها السياسة. ولا شك أن بعض الانتقادات الشديدة التي وجهها ابن حيان الى بعض ملوك الطوائف أو إلى شخصيات معينة في كتابة والمتين و كان بامكانها أن تكلفه حياته الامر الني يدفعنا الى طرح السؤال التالي: أكان بعيدا عن الدول الطائفية التي كان ينتقد أصحابها بشدة أم إنه احتفظ بكتبه خلال حياته لتعرف بعد وفاته. أم صحت الحالتان ؟

وبالرغم من هذه العراقيل المتعددة أصبحت حرية التعبير ممكنة ومما يؤكد ذلك كتابات المؤلفين المعاصرين في مجالات متعددة. ولعل ما يفسر ذلك تنوع النظم السياسية الذي كان يتصف به عصر دول الطوائف. فنظيرا لوضعية ملوك الطوائف التي تمييزت بالاصطدامات العسكرية والسياسة المستمرة بينهم استطاع المفكرون الاندلسيون أن يجدوا المأوى في بعض أنحا الاندلس. وقد كان اضطهاد الشخص من طرف ملك طائفي معين يشكل أحسن توصية في أعين الملوك الآخرين الذين كان يحاربهم. ومن ثم كان ابن حزم مضطهدا في بعض الدول الطائفية مثل إشبيلية. ومكرما في غيرها مثل ميورقة، حيث شارك في مناظرته الشهيرة مع أبسي الوليد الباجي (22) وأدى التنوع بصفة خاصة في مجال التاريخ، والانجاهات ويتضع هذا التنوع بصفة خاصة في مجال التاريخ، خصوصا في مختلف أنواع الكتابات التاريخية التي وصلتنا من الاندلس في القرن الخامس للهجرة.

ومن جعة أخرى ، لم يتخذ جميع المثقفين الاندلسيين موقف معارفا لملوك الطوائف قبل ظهور يوسف بن تاشفين على ساحة الاحداث ، كما لم يعان جميع العلما من الاضطعاد على يد ملوك الطوائف . بل على العحكس من ذلك ، حثيرا ما كانوا بحاجة سياسية ماسة إليهم مما دفعهم الى منافسة بعضهم لجلب أحثر عدد من العلما والمثقفين الى بلاطاتهم . وتتجلى أهمية هذا الانجاه فى كون بعض ملوك الطوائف البارزين كانوا من العلما والشعرا المرموقين ومن بين هؤلا يمكن ذكر المعتمد بن عباد الشاعر الاشبيلي وملكها وحاكم سرقسطة وحتى عبد الله بن بلقين حاكم الاشبيلي وملكها وحاكم سرقسطة وحتى عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة الذي تشكل مذكراته تاريخا هاما لغرناطة في عصر الطوائف.

ومن وجهة نظر العالم الاندلسي، كان هذا الاخير في موقف يمكنه من اختيار الدولة الطائفية التي يستطيع أن يحصل فيها على أكثر درجة ممكنة من الحرية أو على أعلى دخل مالي، وكان ذلك بختلف من عالم لآخير، ومنع ذلك وجد بعيض أنماط العلما والمثقفين والادبا أنفسهم في مواقف متميزة بالمقارنة مع غيرهم. مثلا، ربما كان الشعيرا أكثر امتيازا في بالطات ملوك الطوائف، خصوصا أولئك الذين كانوا مولعين بالشعر مثل حكام إشبيلية وكذا أولئك الدين اعتمدوا الادب وسيلة حكام إشبيلية وكذا أولئيك الدين اعتمدوا الادب وسيلة لتحقيق أهداف سياسية.

ولا يجب أن نبالغ في دور ملوك الطوائف في إنعاش المعرفة . لقدجا تطور معظم فكر العلما خارج الدوائر الرسمية في الدول الطائفية . بعبارة أخرى، عملوا بطريقة مستقلة. مثلا نلاحظ غياب الرسميين في بلاطات ملوك الطوائف وأن الكتابة التاريخية تطورت بكيفية مستقلة في الاندلس في القرن الخامس للهجرة. وربما كان أقرب نموذج للتاريخ الرسمي هو دكتاب التبيان، لعبد الله بن بلقين حاكم غرناطة. إلا أن هذا الكتاب يتميز بدرجة معينة من التجرد والموضوعية نظرا لكونه كتب في المغرب عقب سقوط غرناطة في أيدي المرابطين. وعلاوة على ذلك، لم يكتب بهدف تحقيق أغراض سياسية ملموسة فإن المؤلف أنجز عمله بعد إبعاده عصن السلطة.

ومن جهة أخرى، فإن وجود درجة كبيرة من النقد في الكتب التاريخية التي ألفها المعاصرون مثل ابن حيان وعبد الله ابن بلقين وابن حزم وغيرهم، يعكس رغبة شديدة في التعبير عن الحقيقة كما رأوها. ويعكس كذاك الميل الى تكوين آرا مستقلة وكذا درجة عظيمة من الاستقامة الخلقية والثقافية التي كانست تميز العلما والمؤرخين الاندلسيين البارزين في القرن الخامس للعجرة، لربما استطاع عدد من المثقفين الاندلسيين أمثال ابن حيان وابن حزم والفقيه الهوزني أن يمارسوا حياة أفضل لولا تعبيرهم عن آرائهم وانتقادهم لغيرهم علانية (23). إلا أن عددا من العلما الاندلسيين المعاصرين للقرن الخامس للهجرة اعتبروا راحتهم العلما الاندلسيين المعاصرين للقرن الخامس للهجرة اعتبروا راحتهم الشخصية أقل أهمية من حاجاتهم للتعبير عن شعورهم وآرائهم إزا التدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الاندلس

آنذاك ولاتخاذ موقف ضد الاتجاه العام الانتخاري الذي وقع فيه ملوك الطوائف لم يبق المثقفون الاندلسيون محتوفي الايدي أمام الاخطار الوشيكة التي كانت تعدد الاندلس. ولقد شكلت هذه الاخيرة دفاعا هاما لرد فعلهم عندما حاولوا أن يفسروا الجوانب المختلفة للتغيرات والتقلبات العامة في عصرهم التي يصعب تفسيرها في أول وهلة . كما كانت ردود فعلهم شديدة أمام الفساد الدي عمم جميع أنحا الاندلس فعبروا عن آرائهم بحرية تامة حتى عندما هددت حياتهم لانتهاجهم الخلقي في ميدان الثقافة .

بعبارة أخرى ، كانوا ملتزميدن بمبادي صارمة إلتزاما تاماً ورفضوا اتخاذ أي موقف يتنازلون من خلاله عن معتقداتهم لعذا ، كانت الجعود الثقافية لعدد من المثقفين الاندلسيين ترمي إلى فهم ظواهر مختلفة وتحليلها بدلا من استغلال هذه الجهود لجمع الاموال وتكديسها مع أن هناك بعض الاستثناءات .

4) التاريخ بصفته مادة متخصصة :

لقد شكل التاريخ في الاندلس مادة تخصص ليس لأنه كان يشكل وسيلة للحصول على لقمة عيش، ولكن لكون بعض العلما الاندلسيين قضوا حياتهم في دراسة التاريخ وكتابته ليست وسيلة للتسلية بل بصفته فنا وعلما . إن السؤال الذي يطرح

بالحاح في هذا الصدد هو: عن أي نوع من التاريخ نتحدث والحي المحانة التي حظي بها التاريخ في ذهن العالم أو الورخ الاندلسي في القرن الخامس للعجرة ؟ يجب على الباحث ألا يشوه نظرة المؤرخ الاندلسي المعاصر لعهد الطوائف إلى المشكل وإلا فما أدرك مكانة التاريخ في الاندلس خلال تلك الحقبة حق الادراك: لقد كان أسمى هدف لدراسة التاريخ في الاندلس بكل وضوح دينيا بحيث كان يعتبر واجبا دينيا وجب القيام به في الدنيا مقابل أجر يجازى به المؤلف في الآخرة وانفرد علما القرن الخامس ومؤرخوه بإحدى الميزتين ، أولاهما تكوين ديني عميق (وهذه حالة العلما والفقها إذ نجد أسما بارزة مثل ابن حزم وابن بشكوال) وثانيتهما تأثير ديني عميق ناتج عن البيشة الاجتماعية وعن طبيعة وثانيتهما تأثير ديني عميق ناتج عن البيشة الاجتماعية وعن طبيعة النعليم في الاندلس (وينطبق مثلا على ابن بسام وهو ليس فقيها إنما نلمس أحيانا طابعا دينيا في أسلوبه من خلال المصطلحات اللغوية التي كان يلجأ إليها) . وإن ملاحظتنا هذه لا تنفي وجود الاسباب المادية لاهتمام الاندلسيين بالتاريخ .

إذا كان الدافع الاعظم والاسمى للكتابة التاريخية في الاندلس واجبا دينيا ومع ذلك لم تتحول الى مادة روحية ودينية . بل إن البعد الديني كان مكملا للتاريخ مع محافظته على طابعه الاساسي المادي . وعلينا أن نتذكر أن العلما الاندلسيين المسلمين كانوا يعتبرون البعدين الروحي والمادي مكملين لبعضهما .

ومن جهة أخرى، تجدر الاشارة إلى ملاحظة نعتبرها بالغة الاهمية والتي تكمن في كون الكتابة التاريخية التي ازدهرت في الانداس في القرن الخامس للهجرة كانت تشكل جزاً لا يتجزأ من المعرفة.

هناك علاقة معرفية بين التأريخ وبين مناهج العلوم الدينية والمادية خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنهما كانا يعتبران آنذاك جزءاً لا يتجزء من المعرفة. ومن هنا تتبين خاصية تكامل المعرفة في إطار الدراسة العامة والخلفية الثقافية لدى العالم الاندلسي.

بعبارة أخرى ، كان اكتساب المعرفة مختلفا نظرا لحكون العلما كانوا يختارون مجالات معرفية مختلفة حسب ميولالتهم واهتماماتهم ، ولكنهم كانوا يعتبرون جميعا علما أله وهذا يعني أن تكامل المعرفة وتداخل فروعها قد مكن العلما المهتمين بمجالات معينة من اغنا مستواهم الثقافي عن طريق تعرفهم على فروع معرفية تدخل ضمن تخصصهم . مثلا ، نلاحظ أن المؤرخ كان يستفيد استفادة كبيرة من تكوينه في النحو واللغة من جهة ومن مطالعت الواسعة في مجالات مختلفة من جهة أخرى . كما أن جميع المؤرخين الذين سوف نتطرق لمناهجهم الثاريخية في هذا الفصل إسرزوا في الندب علاوة على تخصصات أخرى .

لقد نوه كل من ابن الخطيب والغافقي بأسلوب عبد الله بن بلقين الأدبي الذي يتميز بالبلاغة والوضوح (24)، وينفرد شعر ابن

حزم بالعجا المقدع وبخصائص أدبية أخرى (25) ، وقسد درس ابن حيان على يد أشهر النحويين في عصره بحيث انفرد بأسلوب أدبي متميز نال إعجاباً حبيراً في القرون الوسطى (26) ، وما يزال يجلب اهتمام المتخصصين العصريين في الادب العربي (27) . وقد تميزت ثقافة كل من ابن حزم وابن حيان بتضلعهما في العلوم الدينية حما حفظ عبد الله بن بلقين القرآن وعدداً من الاحاديث حما يظهر ذلك في الاقتباسات المتعددة في حتابه (28) . وحذلك شمل اهتمام المؤرخين الاندلسيين في عصر الطوائف مجالات لا تعتبر عمادة ضمن المجالات التي لها ارتباط بالتاريخ ومن بينها الشعر والمنطق والتنجيم (29)

إن تداخل المعرفة بفروعها المختلفة يدفعنا إلى طرح سؤال أساسي وهو: هل شكل تمازج الفروع المختلفة عرقلة أمام تطور التخصص في مجالات معينة ؟ هل تطور التاريخ بصفته مجالا مستقلا المتخصص أم كان من انتاج غير المتخصصين ؟ هل كان التأريخ من انتاج الدارسين عامة والمتخصصين في مجالات غير التاريخ أم كان من عمل مؤرخين متخصصين لما تزمين ؟ كيف ينعكس هذا في مناهجهم وفي تطوراتهم التاريخية ؟ توجد إرهاصات الجواب عن هذا السؤال ضمن الفرضية القائلية بأن وجود المتخصصيان لا ينفي وجود () لان كليهما مهتم بجوانب مختلفة لمعرفة واحدة . لهذا يمكننا أن نتحدث عن المؤرخيان الاندلسيين واحدة . لهذا يمكننا أن نتحدث عن المؤرخيان الاندلسيين المتخصصيان وغيار المتخصصيان خلال القرن الخاماس الهجري .

ومن ناحية أخرى ، لا يعني وجود تداخل بين الفروع المعرفية المختلفة في الاندلس، أن التخصص لم بكن موجودا . إن مجرد استعمالنا لمصطلح فروع المعرفة يشير الى انقسام هذه الفروع الى مجالات مستقلة متخصصة . وعلى العكس من ذلك ، قطور التخصص الى درجة حبيرة في الاندلس في عصر الطوائف وإن كانخص الى درجة حبيرة في الاندلس في عصر الطوائف وإن كان هذا واضحا بالنسبة للباحث العصري فإنه لم يكن أقل وضوحا بالنسبة للعلما المعاصرين لتلك الحقبة والذين كانوا يعترفون بتخصص بعضهم في مجالات معينة دون استخدامهم لهذا المصطلح ، ولم يعرقل ذلك تطور التاريخ بل ساهم طابع تداخل المعرفة في إغنائه بصفته مادة للتخصص كما أغنى مناهجه .

والان، فلنحاول أن نناقش مركز المؤرخين الاندلسيين المعاصرين لعهد الطوائف في إطار ثلاثة أصناف للكتابة التاريخية:

أ) إن المؤرخ الذي يدرس التاريخ بصفة شمولية ، يعني في إطار شامل وعام بجيث لا يستطيع أن يقدم دراسة عميقة لانه يبقى سطحيا .

ب) المؤرخ المتخصص الذي يختار موضوعا محددا من حيث الزمان والمكان ثم يحاول أن يحلله على أساس منهج يتصف بتكامل المعرفة أو بتركيزه على مواضيع خاصة أو على الجوانب التي يعتبرها أكثر أهمية من غيرها.

ج) المؤرخ المتخصص الذي يحاول أن يتخذ منهاجا تركيبيا بحيث يختار موضوعا عاما وشموليا ثم يحاول أن يدرسه بعمق بالرغم

من تعقيده ومن انصافه بالتكامل المعرفي وهو المعتم بموضوع يتطلب منه التخصص في مجالات متعددة في نفس الوقت .

يعتبر تصورنا للمؤلف التاريخي تصورا نسبيا، ذلك أن المؤرخين يختلفون في تطبيق مقاييس مختلفة في أحكامهم على التآليف التاريخية حسب الابعاد التي يقع اختيارهم على التركيز عليها. ثم هناك سؤال آخر يطرح في هذا المجال وهو أيجب علينا أن نخضع المؤرخين المعاصرين للقرون الوسطى للمقاييس والاحكام السائدة في وقتهم أم لمقاييسنا العصرية ؟ مثلا، يبدو أن ابن حيان يعتبر

من المؤرخين القلائل الذين تنطبق عليهم المقاييس والمعايير المطلوبة من المؤرخين العصريين فيما يخص المناهج التاريخية . ومع ذلك فقد يسقط ابن حيان نفسه في الامتحان إن نحن قسونا عليه في امتحانه .

وهناك مسألة أخرى ذات أهمية بالغة وتخص نوعية الحكتابة التي نعتبرها حتابة تاريخية وتلك التي يجب أن نخلع عنها تلك التي نعتبرها كتابة تاريخية والبديهي أن الكتابة التاريخية تعنى حتما بالماضي، ولكن هل يجب علينا أن نقبل جميع الكتابات المرتبطة بالماضي أو كانت تشكل جزاً منه بصفتها كتابات تاريخية ؟ وقد يتضح هذا السؤال أكثر إن طرحنا سؤالا آخر: لمن يكتب المؤرخ؟ مثلا، لا نواجه صعوبة في الجواب عن هذا السؤال بالنسبة لابدن حيان لانه كتب تاريخ الاندلس لمعصاريه وللاجيال اللاحقة لعصره بهدف فهم ذلك التاريخ.

إلا أن هناك تآليف أخرى وضعت لاسباب مختلفة لا علاقة لها بالتاريخ بصفته مادة، بحيث قد نعتبرها كتابات تاريخية، وقد نرفض نعتها بذلك . مثلا ، تتميز التسآليف الجغرافية بخصائص منفردة ، ولكن نظرا للعلاقة البارزة بين الجغرافية والتاريخ ، درس الاستاذ فرانثيسكو بونس بوجيس كلا من المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين في كتاب واحد (82) .

وأخيرا ، يبدو أننا خرجنا من مناقشتنا لمكانة التأريخ في القرن الخامس للعجرة بتصور يتصف بالالتحام ليس بالنسبة للتاريخ

وحده بل وللعلوم الاخرى التي كانت توجد في الاندلس آنـذاك. ومع هذا فإن كان هذا التطور فعلا ملتحما فذلك لا يعني غياباً تاساً للنقاشات والصراعات إن وجود عدد كبير من المناصر التي تناقض بعضها البعض يشير في حد ذاتمه الى حتمية الصراع الفكري والثقافي. وإن قمنا بدراسة للعلاقة الجدلية بين الاتجاهات المختلفة داخل مادة تخصص واحدة مثل التاريخ أو الفقه أو السياسة في الانداس في القرن الخامس للعجرة فسوف نخرج بنتائج طريفة . ومع ذلك، لم تصل درجة هذا الصراع قط الي مرحلة الانفجار التي تشل الابداع الثقافي. بل على العجس من ذلك إنه كان يطعمه. لا يمكن لاحد أن ينكر وجود الخلافات بين العلما الاندلسيين أو بين هؤلا ب من جعة وبين المسيحيين واليعود في الاندلس من جهة دانية . إلا أن البهديدات الخارجية وصلت الى درجة عظيمة من الخطورة فلم تتخذ الخلافات الداخلية صبغة الانفجار إلا قليلا أو نادرا. بدلا من ذلك ، كانت تحصرها وكان هدف عدد من الانشطة الثقافية الاندلسية مواجعة التيارات الفكرية الخارجية خصوصا ثلك التي كانت تأتي من المشرق وذلك بعدف تكوين بديـل أندلسي (38). ويعتبر المستوي الرفيع الذي وصل إليه التأريخ الاندلسي إحدى الوسائل التي عير بواسطتها الاندلسيون عن هويتهم وذائيتهم وشخصيتهم .

هناك ارتباط وثيق بين السؤال الآتي: ما هو التأليف التاريخي؟ وبين سؤال آخر وهو ما هو التاريخ؟ ليس هذا بالمكان المناسب

للجواب عن السؤال الاخير . أولا ، هناك عشرات من المفاهيم التي يمكن وضعها لتحديد طبيعة التاريخ وإذا قرر المر الانطلاق مسن تحديث معين للتاريخ فقد يرفض اعتبار عدد من التاليف بصفتها تاريخية بالرغم من انطباق المفاهيم الاخرى لمصطلح التاريخ عليها لذلك تعتبر مسألة وضع تحديد معين للتاريخ نسبية، ليس لان المصطلح محدود (إلا إذا قرر المؤلف ذلك) ، بل لانه شمولي ، وليس لانه يحتوى على عدة محدود من العناصر ، بل لان العناصر التي تشكل التاريخ متعددة ومتنوعة الى درجة كبيرة . قد نجانب تعقيد هذا السؤال إذا اعتبرنا جل المصادر التاريخية الاولية التي يعتمد عليها المؤرخون العصريون المنخصصون في القرون الوسطى تآليف تاريخية من نوع أو آخر . وفي حالة الاندلس ، نجد الحوليات التي تعد عادة ضمن التآليف التاريخية مع أن علما الاجتماع والانتروبولوجيين وحتى الفلاسفة قد لا يعتبر ونها أكثر من أوصاف لاحداث سياسية (84). ومغ أننا نعتبر عادة كتب سير وطبقات العلما والفقعا ضمن المصادر الفقعية ، إلا أن قيمتها التاريخة ذات أهمية بالغة بحيث إنها تعكس مساهمة شريحة اجتماعية ثقافية وديئية خاصة. فمثلا ، رغسم القيمـة الفقهية والدينيـة لـ • كتاب الصلة ، لابن بشكوال أو لـ «التكملة لكتاب الصلة» لابن الابار، فإن هذين المصدرين يعتبران أساسيين لدراسة الدور الاجتماعي للغقها والعلما الاندلسيين في القرن الخامس والسادس للعجرة (35). كما أن رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة تعتبر من أهم المصادر لتكوين تصور عن الحياة

الاجتماعية والاقتصادية بإشبيلية (36) . واشتفر كتاب • طوق الحمامة، ببعده الأذبي والنفسي مع أن الحكايات التي رواها ابن حزم في هذا الكتاب كانت حقيقية فهي تعكس أهم جوانب الحياة الاجتماعية بقرطبة في القرن الخامس للعجرة بالتفصيل والتدقيق (87). كما يشتمل على الاشعار التي وصلتنا عبر كتب المجموعات الشعرية والادبية مثل والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام و «مطمح الانفس ، و «قلائد العقيان ، لابن خاقان على أبيات شعرية يستطيع المؤرخون أن يقارنوا مضمونها بالمعلومات التاريخية الموجودة في مصادر أخرى وذلك تصد تحديد مدى صحة الحقائق التاريخية والمواقف السياسية وسلوك الشخصيات والتطورات التاريخية (88) ، لقد وضع عبد الله بن بلقين في الاصل • كتاب التبيان، على شكل مذكراته إلاأنه يشكل وثيقة سياسية واجتماعية ونفسية فريدة لفهم الاندلس في القرن الخامس للهجرة (89). لا نتوفر حاليا على تآليف يعود تاريخها الى القرون الوسطى في التاريخ الاقتصادي، إلا أننا نتوفر على مادة اقتصادية لا يستهان بها في المصادر الأدبية والفقهية والسياسية التي وصلتنا من القرن الخامس للهجرة. كما أنه بما مكان المؤرخ العصري أن يحدد النتائم والخلفيات الاقتصادية للتواريخ السياسية التي نتوفر عليها (40) بل هناك من بين الباحثين العصرين من تخصص في التاريخ الاقتصادي للاندلس أو في تاريخ فروع معينة من العلوم مثل الرياضيات (41). وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن مفهوم التاريخ في القرون الوسطى قد

ينطبق أولا ينطبق على الاندلس في القرن الخامس للهجرة فسوف تتضع فسبية هذا التاريخ بوضوح أكثر. هناك الاعتراض القائل بأن مصطلح القرون الوسطى لا ينطبق على العالم الاسلامي الذي كانت الاندلس تشكل جزاً منه ثقافيا ولغويا وفكريا واجتماعيا إن لم نقل سياسيا واجتماعيا ، ثم هناك مسألة أخرى وهي أن ما كان يقبل بصفته معاصرا في القرن الخامس يعتبر اليوم تاريخيا ونتيجة لذلك يمكن اعتبار جل ما ظهر في القرن الخامس كتبا ومصادر تاريخية ، لان المؤرخ المعاصر لن يستطيع أن يفهم التاريخ الاندلسي في القرن الخامس للهجرة ويدرسه بدون اعتماده على هذه المصادر.

إن طابع التنوع في الكتابة التاريخية في الانداب في القرن الهجري الخامس يتطلب دراسة خاصة به لان السؤال: ما هي الكتابة التاريخية قد يصعب الجواب عنه . لقد حاولنا في الفصل الحالي التركيز على هذا التنوع وسوف نحاول في القسم التالي أن ندرس مؤرخاً طرفياً وفريداً ونعرض لمنهجه التاريخي حتى فرى كيف استطاع ـ اعتمادا على منهاجه التاريخي ـ أن ينظر إلى الواقع التاريخي الاندلسي . أو بعبارة أدق ، كيف مكنه ذلك المنهج مدن النظر إليه على مستوى يختلف اختلافا تاما عن غيره، وذلك من خلال تركيزه على بعد مختلف للواقع التاريخي الذي كان يشكل جزاً لا يتجزأ منه . قد يعترض القاري على اعتبار عبد الله بن بلقين مؤرخا على أساس أن جل ما حكتب كان متعلقا بعصره وليس تاريخيا وأنه لم يكن مستقلاً عن المواضيع التي عالجها من حيث تاريخيا وأنه لم يكن مستقلاً عن المواضيع التي عالجها من حيث

الزمان. ولذلك فإنه لم يستفد من الحاجز الزمني المذي يفصل المؤرخ عن الحقبة التاريخية التي يتطوق لها عادة ، بعبارة أخرى، يمكن أن نطرح سؤالا هاما في هذا الصدد: ما هي الفترة الزمنية التي يجب أن تفصل المؤرخ عن الحقبة التي يدرسها ؟ هناك حجة مضادة يمكن تقديمها وهي القائلة بأن الشخصيات التاريخية المعاصرة تفهم عصورها بعمق ويعود ذلك بالذات إلى ارتباطها بها مباشرة ولكونها تشكل جز الا يتجزأ منها وعلاوة على ذلك، يستطيع النؤرخ المعاصر في كثير من الاحيان أن يعبر عن نسوع من الابتعاد والحياد على شرط أن يكون واعيا بانتمائه الى الواقع الذي يدرسه .

إننالا نشك إطلاقا في كون عبد الله بن بلقين كان مؤرخا، بل إنه كان علاوة على ذلك مؤرخا عظيما كما سنرى في القسم التالي:

مثال عبد الله بن بلقين الزيري:

لقد عبر الباحثون العصريون عن إعجابهم بقيمة كتابة عبد لله ابن بلقين التاريخية من خلال كتابه الوحيد الذي يحمل عنوان «كتاب التبيان». لقد وضع هذا الكتاب أصلا على شكل مذكرات ولكنه تحول الى تأليف تاريخي طريف. ومع أنه نال إعجاب بعض العلما البارزين مشل لسان الدين بن الغطيب في القرن الثامن

الهجري إلا أننا نستطيع اليوم أن نقدر هذا التأليف التاريخي الفريد من نوعه ونتمعن فيه بفضل إفرست ليفي بروفنصال حين احتشف المخطوط الوحيد الذي وصلنا من هذا الكتاب في محتبة القرويين ثم حققه ونشره بالقاهرة سنة 1955م (42).

أنجز ليفى بروقنصال ترجمة ناقصة لهذا الكتاب بالفرنسية ما بين سنة 1935 و 1939 (43) . ثم نقله الدكتور أمين نوفيق الطيبي الى الانجليزية سنة 1971 (44). ثم تبعه الاستاذ غارسيا غومث الذي نقله الى الاسبانية بالاشتراك مع ليفي بروفنصال ونشره سنة 1980 (45). ولقد مكننا نشر هذا العمل التاريخي بالعربية وترجمته الى ثلاث لغات أوربية من اكتشافه كمصدر تاريخي بالدرجة الاولى ثم بصفته عملا تاريخيا يتميز بالدقة المنهجية . صحيح لقد تم استغلال هذا المصدر حديثًا من طرف المؤرخين المعتمين بدولة غرناطة الطائفية التي حكمها بنو زيرى ومنهم عبد الله بن بلقين مؤلف الكتاب الذي نناقش أهميته التاريخية (46) . ولثن كان كل من الاساتدة أندرو هانلر (Andiour Hanler) والاستاذ إسماعيل العربي وأخرون مثل ليفي بروفنصال وغارسيا غومث وأمين توفيق الطيبي قد ركزوا على قيمته الوحيدة بصفته مصدراً تاريخيا لفهم عصر الطوائف، فإن منهجية عبد الله التاريخية لم ننل لحد الآن ما تستحقه من اهتمام الدارسين. وتعود أهمية هذا الكتاب بصفته مصدرا تاريخيا الى حد بعيد الى أصالة منهجية عبد الله التاريخية ونظرته الى تاريخ غرناطة . لقد تطرق بعض الباحثين الى بعص

جوانب هـذه المنهجية (47) . الا أن هناك جوانب أخرى مـا زالت تنتظر من يكشف عنها .

تعتبر منهجية عبد الله ثمرة لبعض الاختيارات الاساسية التي اتخذها والتي كان لها تأثير إيجابي من ناحية أخرى .

لقد تعرض ابل بلقين في دكتاب التبيان، لثاريخ منطقة محددة تنحصر في حدود دولة غرناطة الطائفية وذلك خلال حقبة تاريخية محددة خلال حكم دولة معينة هي دولة بني زيري . يعني زاوي بن زيري (حكم من 408 ـ 410 هـ ـ 1018 ـ 1019 م) . وحبوس بن ماكسان (حكم من 410 ـ 429 هـ ـ 1019 ـ 1088 م) . وباديس بن حبوس (حكم من 429 ـ 465 هـ ـ 1073 ـ 1073 م) . وعبد الله بن بلقين نفسه (حكم من 425 ـ 485 هـ ـ 1073 ـ 1070 م) (48) .

لقد استطاع المؤلف بسبب اختياره الايجابي بحصر موضوع دراسته في غرناطة خلال حقبة زمنية محددة أن يدرس مادة كان يعرفها معرفة شخصية دقيقة وأن يسيطر عليها سيطرة تامة ويتعمق فيها وذلك سوا عندما تطرق لأبعادها الشمولية أو لتفاصيلها الدقيقة.

إن التعمق الذي يتصف به هذا الكتاب يعود الي حد بعيد إلى حون تاريخ عبد الله لغرناطة يتطرق للأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار الانداس العام. ونتيجة لذلك، فقد تطرق عبد لعلاقاته ولاتصالاته مع الزعما المعاصرين لتلك الحقبة ومنهم ألفونسو

السادس ملك ليون وقشتالة والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وأخيه تميم بن بلقين صاحب مالقة (49). وقدم لنا عبد الله بن بلقين روايات عن الأحداث الهامة مثل احتلال ألفونسو السادس لطليطلة سنة 478 ه. _ 1085م. ومعركة الزلاقية في السنة التي تلتها والحصار الذي أقامه يوسف بن ناشفيان والاندلسيون حول حصان ليياط (Alodo) (50).

ومع ذلك فإن اختيار عبد الله التركيز على تاريخ غرناطة كان له أثر سلبي بحيث إنه لم يعالج التاريخ الاندلسي عبوما بالعبق الذي كان بإمكانه أن يفعل لو وسع موضوعه ليشمل تاريخ المناطق الاندلسية الاخرى وقد يأسف المؤرخ العصري لحكون عبد الله لم يكتب تاريخ الاندلس كلها ، لاننا نلاحظ من خلال الطريقة التي كتب بها تاريخ غرناطة ومن خلال المادة الغنية والنفسية التي قدمها حول الاندلس عموما أنه كان بإمكان هذا المؤلف المؤهل أن يمتعنا بتاريخ فريد للاندلس ونتيجة لذلك ، فإن أمين توفيق الطيبي انتقده لكونه نجاهل بعض الاحداث والتطورات الهامة في التاريخ الاندلسي والمغربي مثل وزناتة ... ، (15) . و د ... الغا الخلافة الاموية في قرطبة (422 هـ وزناتة ... ، (51) . و د ... اغتيال إسماعيل بن عباد في المعركة مع باديس وحلفائه في قراع قرطبة (52) . و د ... اغتيال إسماعيل بن عباد في المعركة مع باديس وحلفائه في قراع قرطبة (53) .

1099 ... ، (58) و د ... استيلا المجوس على بربسترو وسقوط كومبرا في يد ؟ فرنادو الاول ، (54) .

كما انتقد الدكتور الطيبي ابن بلقين على تزييفه لبعض الاحداث لتتلام مع مصالحه ومن هذه الانتقادات ما قدمه الطيبي في النص التالي :

ومنهم عبد الله نفسه وثانيهما أنه لم يرغب في جلب الانظار إلى الخلافات بين أولى الانتكار المنظرة المناسبة والسيطرة الله المناسبة الله المناسبة والسيطرة عليها المناسبة الله المناسبة المناسبة

وهناك نقص آخر ذو أهمية كبرى في • كتاب التبيان • وهو الغياب التام للتواريخ ومع ذلك إننا نستطيع أن نعدد تواريخ الاحداث الهامة مثل معركة الزلاقة اعتمادا على المصادر المعاصرة مع أن المصادر المتأخرة كثيرا ما تخطئ في تجديد التواريخ (56) .

وقد تطرق الطيبي لثغرة أخرى في • كتاب التبيان ، لعبد الله بن بلقين ونعني ميل المؤلف السي اتخاذ مواقف سلبية تجاه بعض

الناس عندما يخدم ذلك مصلحته الشخصية كما حصل عندما طرد عبد الله مقاتل بن عطية البرزالي المعروف بالرويو (El Royo) من منصب العامل على ليوسنة بالرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها له وبالرغم من مؤهلاته للقيام بواجبه في ذلك المنصب والتي اعترف بها ابن الخطيب (57).

ومن جعة أخرى . هناك أمثلة متعددة تؤكد أن المعلومات التي قدمها عبد الله كانت أحيانا صحيحة حيث أخطات المصادر المتأخرة . مثلا ، تعتبر رواية عبد الله لمعركة الزلاقة أكثر دقسة وواقعية من عدد الروايات التي بالغ أصحابها فيها ويعود ذلك إلى كون عبد الله بن بلقين كان من بين المشاركين في المعركة .

وأخيرا ، نستطيع أن نضيف انتقادات أخرى الى تلك التي ذكرنا آنفا وذلك من خلال ذكرنا لاهم التطورات التاريخية في الاندلس خلال القرن الخامس للهجرة التي لم يحدثنا عنها عبد الله ، إلا أن أي انتقادات يمكننا أن نوجهها لعبد الله لا يمكنها أن تتصف بالموضوعية إلا إذا انتقدناه على ما قدمه فعلا وايس على ما كان بودنا أن يقدمه لنا .

وإذا قمنا بتمحيص متوازن لما أنتجه ولطريقته في الكتابة التاريخية فسوف تكون النتيجة إيجابية علاوة على ذلك ، فإن حصر اهتمام عبد الله بغرناطة يمنع المؤرخ العصري مصدراً لا غنى عنه في إنجاز تاريخ شمولي للانداس .

هناك من المؤرخين من تطرق للتاريخ الاندلسي بطريقة شمولية مثل ابن حيان إلا أن عبد الله ليس الوحيد الذي ركز مجهوده على منطقة محددة

مثلا، ركز ابن السيرفي (المتوفى في حوالي سنة 557 ه. – 1162 م.) بعده على تاريخ غرناطة في إطار تاريخ الاندلس في عصر المرابطين (58) ويمكن ذكر مثال آخر لمؤرخ اختار التركيز على تاريخ منطقة محددة وهو أحمد بن عمر العذري (المتوفى سنة على تاريخ منطقة محددة وهو أحمد بن العجري الخامس الذي ألف تاريخا للاندلس والمرية على وجه الخصوص (59). لهذا فمن حسن حظنا أن عبد الله حصر مجهوده في منطقة جغرافية كان يعرفها حق المعرفة لانه درسها بطريقة تسلط الاضوا على غرناطة وسكانها من جهة وعلى الاندلس وسكانها بصفة عامة من جهة ثانية.

وتعود قيمة كتاب ابن بلقين بصفته مصدرا تاريخيا بالدرجة الاولى إلى منفجه الذي يبرز أساسا لكونه يتميز بتكامل المعرفة فيه . بعبارة أخرى ، تعود القيمة العظيمة للمعلومات التاريخية المرتبطة بهذا العصر التي قدمها لنا عبد الله الى تمكنه الخاص من من اختيار المعلومات التي يهتم بها المؤرخون العصريون ويعطونها الاولوية في إطار عام يضم مواد متعددة (مثل المادة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تميز هذا الكتاب أكثر من غيرها) .

مثلا ، لقد ناقش الاسباب الاقتصادية لثورة ليوسنة المتمثلة في إثقال سكانها بالضرائب المفرطة (60) ، وأعطانا فكرة واضحة عن

قيمة المال في الانداس عندما ذكر المبالغ المالية التي فرضها أَلْفُونْسُو السَّادْسُ حَجِزِيةٌ سَنُويَةٌ عَلَى مَمَالِكُ الطَّوَائِفُ (61) ، والمبلغ المالي المذى أداه القادر بن ذي النون لالفونسو السادس مقابل مساعدته لاسترجاع طليطلة (62) أو المبلغ المالي الذي أخذ منه بعد سقوط دولة غرناطة الطائفية في يد الجيش المرابطي (63). كما يبرز البعد السياسي على مستويات مختلفة مثلما حصل عندما قنام بتحايل أطماع ألفونسو السادس التوسعية في الاندلس أو الاسباب التي دفعت بيوسف ابن تاشفين الى انخاذ قرار احتلال دول الطوائف لصالحه (64). ويعد هذا الكتاب أيضا تاريخا اجتماعيا غنيا، لان الشرائح الاجتماعية المختلفة في غرناطة تبرز كما نبرز التقاليد الاجتماعية التي كانت تختلف في شتى مناطق الاندلس وأنحائها (65). ولا يقل البعد الانساني والنفسي عن غيره، ليس فيما يخص الاندلسيين فحسب ، بل حتى المسيحيين في شمال إسبانيا والمغاربة في العدوة. ويبرز هذا البعد بشدة لانه قام بوصف سلوكهم في ظروف متعددة . كما قام بتقديم أسباب ذلك السلوك وقد ركز على هذا البعد بطريقة فريدة لانه ناقش سلوك الشرائع المختلفة من جهة وسلوك الافراد،من الملوك والوزرام والعمال الى العلمام والثوار من جهة أخرى (66).

ومما يثير إعجاب القاري قدرة المؤلف على اختيار المادة الهامة مع تركه للمعلومات السطحية التي تطبع بعض المكتب التاريخية الضعيفة ، كما استطاع المؤلف أن يجانب التكرار وذلك

نظرا لميله الى الاختصار والدقة. مثلا، يحتوي حكاب التبيان، على مادة وافرة حول غرناطة والاندلس في القرن الخامس الهجري لا نجدها في غيرها من المصادر. وعندما تختلف هذه المادة في عتواها مع تلك الموجودة في مصادر أخرى فيما يخص عصر الطوائف تكون الاولى هي الصحيحة في غالب الاحيان (67). يمكن لذا أن نذكر أمثلة متعددة لذلك، ولكننا سوف نكتفي بالاشارة إلى أن الدكتور الطيبي قد أرفق ترجمته «للتبيان» الى الانجليزية بجز ثأن يحتوي على هوامش وملاحظات دقيقة ومفصلة يشرح فيها مضمون الكتاب ويتوسع في تحليلة ومناقشته (68)

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن كتاب عبد الله هذا يكتسي أهمية كبرى خصوصا في القسم الذي تطرق فيه للحقبة التي حكم خلالها ليس فقط لكون هذا القسم يستغرق ثلثي الكتاب بينما يقتصر القسم الذي تطرق فيه لحكم كل من زاوي وحبوس ومكسان على الثلث الاول من الكتاب ، بل إن القسم الذي عالج فيه فترة حكمه يتميز بشعوره بالالفة والمعرفة العميقة لما تطرق له وذلك لاسباب لا نحتاج الى الشرح ويعود نفوقه في هذا القسم أيضا الى أن التقنيات والمناهج التي اعتمدها عندما نعرض لعصره اكثر تطورا من تلك التى استعملها عند معالجته لتاريخ أجداده (69) .

وأخيرا ، أضاف أسلوب عبد الله بن بلقين والطريقة التي كتب بها تاريخه قيمة للمادة التي قدمها، لا لكونه لم يحصر مجهوده في إنجاز تاريخ وصفي يطغى عليه سرد الاحداث ، بل لانه يحلل

المشاكل والاحول المختلفة بحيث يطرح أحيانا أسئلة مشابعة لتلك التي يطرحها المؤرخون العصريون بل إنه يقترح أجوبة ممكنة ويحلسل التطورات الناريخية في إطارها العام ، إما داخل الاطار الاجتماعي العام للمجتمع الاندلسي عندما يتعامل مع المشاكل الانسانية والاجتماعية ، وإما داخل إطار الاتجاهات الدولية العامة عندما يتعامل مع صراعات فرناطة الداخلية واصطداماتها مع دول طائفية أخرى مثل إشبيلية من جهة ، وعلاقات الدول الطائفية جملة مع الممالك المسيحية في إسبانيا الشمالية والمغرب إثر ظهور المرابطين على «الساحة الدولية» من جهة أخرى. وبعبارة أخرى، كان موفقا على «الساحة الدولية» من جهة أخرى. وبعبارة أخرى، كان موفقا على «الساحة الدولية» من جهة أخرى. وبعبارة أخرى، كان موفقا إكثر عندما حلل الجزئيات بعمق دون أن يفصل هذه الاجزا عن إطارها العام على المستوى الاجتماعي والسياسي والعسكري والاقتصادي .

وفي النعاية ، يبرز تاريخ عبد الله لكونه شكل تاريخا داخليا لغرناطة لانه درس موضوعا وحقبة تاريخية عايشها وساهم في صنعها، إلا أنه من المهم أيضا أن نؤكد أنه كتب عن هذه الحقبة بأسلوب خارجي ، بمعنى أنه كتب هذا التاريخ بعد أن أصبح جزاً من الماضي ، بعيدا عن غرفاطة والاندلس بعد نفيه الى أغمات قرب مراكش ونتيجة لذلك ، اذا كان عبد الله قد استطاع ان يستفيد من تجربته بصفته مشاركا مباشرا في التاريخ الذي كتب عنه . فإنه استطاع كذلك أن يكتب بدرجة معينة من التجرد اعتبارا لكونه تاريخ دولة غرناطة الطائفية وتاريخ الدول الطائفية الاخرى

حان قد وصل إلى قمة تطورها ونظرا لكونه استطاع أن يستفيد من التجرد بالرغم من اقترابه الزمني من الفترة التي كتب عنها في الوقت الذي ألف فيه تاريخه بحيث كانت الحقبة التاريخية التي كتب عنها تشكل حاضره في ماض قريب له.

لقد وضع الاستاذ غارسيا غوميث عنوانا جديدا لترجمته الاسبائية دكتاب التبيان، وهو «القرن الحادي عشر في ضمير المتكلم..، ويعكس العنوان الذي وقع اختيار الاستاذ غوميث عليه بكل وضوح الروح التلقائية العميقة التي تميز هذا الكتاب. يبرز البعد الشخصي بل الذاتي لهذا الكتاب على مستويات متعددة :

يتجلى المستوى الاول في سرد المؤلف للاحداث وفي وصف للبتطورات التي كان حاضرا فيها أو عليشها والتي يعد بعضها من أهم الاحداث في التاريخ الاندلسي ومنها معركة الزلاقة واحتلال يوسف بن تاشفين لغرناطة وبعض الدول الطائفية الاخرى مثل إشبيلية وألمرية وبطليوس (70).

وينعكس المستوى الثاني للبعد الشخصي في كتابة عبد الله التاريخية بوضوح في الاقتباسات المباشرة التي نقلها في كتابه . لم يكتف المؤلف بنقل اقتباساته الشخصية عندما كتب: « فقلت : (لمبعوث ألفونسو) . . . ، (71) و « فقلت له : (لتميم بن بلقين حاكم مالقة) . . . ، (72) .

بل نقل اقتباسات غيره عندما قال مثلا: ﴿وقال لِي رسوله.. ، (73) أو ﴿ وقال لِي ابن القليعي : . . . ، (74) ، كما أن عبد الله بن

بلقين كان أحيانا ينقل اقتباسات مباشرة وغير مباشرة في شكل حوار كما هو الحال في قوله: • فقال له ابن أرقم: (..) فقال له اليهودي: (..) فقال ابن أرقم ... • (75) ، وعندما تطرق عبد الله بن بلقين للمفاوضات التي أجراها مع مبعوث الفونسو السادس، قدم لنا النقاش الذي دار بينهما كما لو كان كاتبا عصريا يسجل ما يجري في اجتماع رسمي، بحيث نقل اقباساً مباشراً داخل اقتباس مباشر آخر عندما قال:

• وقال لي عند ذلك رسوله: (إن كنت تريد تخلط مع هذا المعاقدة استعانة به على شيء من بلادك التي عند ابن عباد، فهو يجد لك فيها في وجهته هذه) فأجبته: . . . ، (76) .

وهناك مستوى نفسي ثالث يميزه البعد الشخصي والذاتي أكثر من غيره في سرد عبد الله وهو الذي يعكس في مناقشته وعرضه لنواياه ولنوايا غيره . مثلا ، يعكس هذا المستوى في قوله : « فقلت في نفسي . . . » (77) . وعندما وصف نية ألفونسو السادس لإجرا مفاوضات مع كل من عبد الله ومع ابن عمار وزير المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية على مستوى شخصي . كل على انفراد بهدف تشجيع عداوتهما واضعافهما (78)، أو عندما وصف نية يوسف بن تاشفين لاحتلال إشبيلية عندما أمر المعتمد بأن يأتي إليه قائلا، «فريد الاجتماع بك فيما نحن بسبيله» ، وهو يعرف مسبقا أن الجواب سوف يكون بالنفي ليستعمل ذلك حجة لاحتلال إشبيلية "(79) .

أما المستوى الرابع الذي اعتمده عبد الله ليعكس الواقع الاجتماعي والسياسي بوضوح تام فيتجلى في اتخاذه وغيره مثل يوسف ابن ناشفين قرارات سياسية مختلفة في ضو المعلومات والنصائح التي قدمها لهم مخبروهم ومستشاروهم. مثلا وصف لنا عبد الله كيف اتخذ يوسف بن تاشفين بعض القرارات المتعلقة بسياسته تجاه ملوك الطوائف بعد أن قدم له العلما وغيرهم آرا هم ونصائحهم بينما حصل ألغونسو السادس هو الآخر على قرارات مفصلة للاوضاع داخل دول الطوائف من المبعوثين الذين كان يكلفهم بمعام إلى ملوك الطوائف مثل بيدرو أنسوريث (Podro Ansurez) وسسنندو دافيديث (Sismondo Davidiz) ثم يعودون إليه بالنصائح بشأن السياسة الملائمة التي يجب اتخاذها. وبالرغم من أن النصائح والمعلومات التي قدمها مخبرو عبد الله إليه لم تكن صائبة على الدوام ، إلا أنه كان دائما يتخذ قراراته بعد مناقشتها مع مخبريه وقد عبر عن ذلك بوضوح في عدة مناسبات: ﴿ وأخبرني رسول ابن صمادح بن أرقم . . . ، (80). و ﴿ أَخْبِرِنِي أَبُو بِكُرِ بِنِ الْمُسْكُنِ . . . (81) . كِمَا إِكَانِ عَبِدِ اللَّهِ يستشير مع علما عرفاطة (أهل الرأي والمشورة) مثلما فعل عندما بعث ألفونسو السادس جيشه قصد تخريب دولة غرناطة الطائفية إن رفض عبد الله أدا أموال الجزية السنوية له بحيث إن عبد الله يخبر قرامُ من نصحه العلما في هذا الموقف الحرج (82).

لقد تمكنا من رصد بعض نقط الضعمف عند عبد الله في هذا القسم، كما أننا تطرقنا للجوانب الايجابية في تاريخه لغرناطة

وللمناهج التاريخية والتقنيات التي اعتمدها . ومع ذلك ، يجب أن نضع هذا التاريخ في إطار الحركة التاريخية العامة في الاندلس في القرن الخامس للهجرة لانه وإن حافظ على خصائص مميزة له ، فقد اتصف بخصائص أخرى كانت تطبع التأريخ الاندلسي عامة في المرحلة التي وصل خلالها إلى عصره الذهبي ، مثلا ، تتميز الكتابة التاريخية المعاصرة لعصر الطوائف التي وصلتنا بالتنوع نظرا لاتصافها بالتكامل المعرفي، وبمنهجيتها الصارمة والدقيقة، وبالأرتباط المباشر للمؤرخين وبالتاريخ الذي حاولوا كتابته وباتخاذهم مواقف فكرية محايدة . وبالتحليل التاريخي العميق الذي يطبع عددا من التآليف المعاصرة والذي ينعكس في نوعية الاستلة التي طرحوها وأجابوا عنها وأخيرا بأصالتها لكونها كانت أكثر نضجا وإبداعا من الكتابات التاريخية التي ظهرت في الاندلس أو حتى في العالم الاسلامي الى ذلك الوقت وكثير من هذه المزايا تنعكس بوضوح تام في كتابة عبد الله التاريخية وغيره من المؤرخين المعاصريسن له. مثلاً، تأثر عبد الله كثيرا شأنه في ذلك شأن المؤرخين الاندلسيين المعاصرين له ، بالتعليم الاسلامي من جهة وبالثقافة العربية من جهة أخرى ، نظرا لاطلاعهم الواسع على أهم ما انتجه المفكرون المشارقة. وينعكس هذا التأثير في تآليفهم وفسي اهتماماتهم وهمومهم الثقافية فكان كل من عبد الله بن بلقين ومعاصريه الانداسيين يعرفون الشخصيات التاريخية في إسبانيا المسيحية في القرن الخامس للهجرة كما أن كتابة عبد الله التاريخية وكتابات معاصريه الاندلسيين كانت تفوق كل ما ظهر في الممالك المسيحية وفي أوربا عبوما في مجال التأريخ. لقد قام الدكتور طوم دروري بانجاز دراسة حول صورة ألفونسو السادس وإسبانيا في عصره عند المؤرخيين العرب (83)، فخرج بتصور واقعي لملك ليون وقشتالة، ولكن إذا حاولنا أن ندرس صورة ملوك الطوائف عند «المؤرخين» المسيحيين فسوف نخرج دون شك بصورة مشوهة للواقع التاريخي لانه لا يمكن بأي حال من الاحوال أن نقارن بين الحوليات المسيحية التي ظهرت في شمال إسبانيا وبين الكتابة التاريخية الاندلسية في القرن الخامس للهجرة: «يمكن القول منذ البداية أن التأريخ المسيحي خلال هذه الفترة (القرن الحادي عشر للميلاد موافق الخامس للهجرة) لم يقترب من تأريخ المسلمين (في الاندلس) من حيث العدد والجودة (84).

ونريد أن نركز على نقطة في النهاية . فمن جهة ، ربما لا تجوز دراسة عبد الله بن بلقين بصفته مؤرخا بدلا من غيره من المؤرخين والمفكرين الاندلسيين العظام الذين وصلت شهرتهم الى مستوى عالمي . فلم ينل عبد الله اعتراف معاصريه من المؤرخين والمؤرخين المتأخرين عنه به عالما عظيما . وخلافا لابن حيان وابن حزم ، لم ينقل المؤرخون المتأخرون كثيرا عن عبد الله كما أن هذا الاخير لم يساهم في توجيه الاتجاهات الفكرية ولم يؤثر فيها كما كان الامر بالنسبة لبعض الاندلسيين المعاصرين له . إننا لا نجد اسمه في كتب السير والطبقات التي كانت تخصص لدراسة

أبرز العلما الاندلسيين في القرن الخامس للعجرة بينما نجد ذكر كل من ابن حزم وابن حيان في مثل هذه الكتب. وخلافا للتاريخ الضخم الذي قام ابن حيان بانجازه وخلافا لكتب ابن حزم الرائدة في ميادين متعددة ، لم يصلنا عن عبد الله بن بلقين إلا مذكراته بعنوان • كتاب التبيان ، وهو تأليف بقى مجهولا خلال مدة قرون ولم ينل تقدير المعتمين بالتأريخ الاندلسي في القرن الخامس للهجرة إلا نادرا وتتناقض شخصية عبد الله بن بلقين مع شخصية كل من ابن حزم وابن حيان ، لانه كان يخالف ابن حيان الذي لم يتردد في انتقاد عدد من معاصريه بأشنع الاساليب وأكثرها عنفا، كما كان يخالف ابن حزم الذي كانت المجادلة تعتبر جزاً من طبيعته ، بحيث إن عبد الله كان أحيانا يتخذ مواقف الاستسلام التام أمام التحديات التي واجهته فالقاري كثيرا ما يتأسف عليه كما هو الشأن عندما قدم لنا وصفا عن الحالة التي فقد فيها سيطرته التامة على تطور الظروف السياسية والعسكرية بسرعة مذهلة في غرناطة بحيث استولى عليها جيش المرابطين فحرره من ثقل كان يفوق كل طاقته . إن مقدرة عبد الله الفكرية ورصيده الثقافي كانا محترمين كما أن بلاغة أسلوبه نالت إعجاب شخصيات أدبية ولغوية بارزة، إلا أن مقارئة معرفته وثقافته بمعرفة كل من ابن حزم وابن حيان يعتبر ضرباً من العبث وضياع الوقت. ومع هذا ، فإن عنصر الاختلاف في « كتاب التبيان، لعبد الله بن بلقين هو

بالذات الذي يعكس بوضوح مدى التنوع في التأريخ الاندلسي في القرن الخامس للعجرة .

إن هذا الكتاب فريد من نوعه الى درجة أننا لا نجد ما يماثله في العالم الاسلامي بل وفي أوربا خلال الحقبة التي ظهر فيها، بالرغم من وجود بعض العناصر التي كان يتميز بها.

لقد شكل هذا الكتاب محاولة رائدة لإنجاز نوع جديد من الكتابة التاريخية بحيث لم تظهر في التاريخ الاوربي إلا بعد تلك الحقبة بقرون وخلافا لغيره من المؤرخين، كان عبد بن بلقين ملكا طائفيا في الوقت ذاته وقد مكنته هذه الخاصية من وضع تأليف طبعه البعد الشخصي بكيفية فريدة وأعطاه تلقائية وطراوة خاصة ، نتيجة معرفته العميقة بأحداث القرن الخامس للهجرة وتطوراته التي لم يتوفر عليها عدد من المؤرخين المعاصربن له ، علاوة على ما تمتع به من فهم عميق وقدرة متميزة على تحليل الاوضاع لم يتمكن من تحقيقهما إلا بفضل معرفته لها بواسطة ممارسته للحكم على غرناطة ، فإن ما نجده من ثغرات في مؤلف عبد الله ابن بلقين وما ينفرد به من مميزات كان ذلك لا يخلو منها التأريخ الاندلسي في القرن الخامس العجري عامة ما دام حكتاب التبيان ، نموذجا من هذا التأريخ .

الهواميش

1) ثقد اثارت منهجبة ابن حيان الناريخية اهتمام عدد من المثقفين العرب والفربيين . وفيما يلي بعض الدراسات التي عائجت هذا الموضوع :

« ابن حيان وتاريخه لاسبانيا الاسلامية» لملشور أنطونيا :

Melchor M. Antuna, Ibn Hayyan y su historia de la Espana musulmana, Cuadernos de Historia de Espana, IV (1945), pp. 5 - 71.

وراجع أيضا المقدمة المطولة الممتازة التي وضعفا الدكتور محمود على معي للقسم الذي قام بتحقيقه من «المقتبس . .» لابن حيان :

خلف بن حيان ، «المقتبس من البا اهل الأندلس» ، تحقيق الدكتور مجبود على معيى ، بيروت ؛ 1973 ، ص ، 7 - 159 ،

 مع أنه لم ينل ما يستحقه من اهتمام المؤرخين المتخصصيات في قاريخ الثقائمة الاندلسية .

لقد عبر الدكتور خوان برئيت عن هذه الفكرة بوضوح قائلا: •لم يتجه تأثير الفكر الاسباني نحو الغرب فقط • بـل كان له أثر واضح في إفريقيـة الشماليـة والمشرق ـ مع أن هذا التأثير نال اهتمام الدارسين اقل من اللاتجاه المعاكس ـ سوا من الناحية الادبية او من الناحية العلمية . سوف نكتفي بذكر بعض الامثلة :

نشأ الزجل في سرقسطة وتبلور في قرطبة ثم صدر إلسى العراق . . . ه قمنا بتعريب هذا النص الوارد بالاسبانية في كتاب «الثقافة الاسبانية ـ العربية في الشرق والغرب الخوال برنيت :

Juan Vernet, La cultura hispano árabe en Oriente y Occidente, Barcelona 1978, p. 8.

- 3) حول مكتبة الحكم الثاني راجع مثلا الاستاذ عنان الذي نقل عن ابن حزم وابن حيان وغيرهما (محمد عبد الله عنان ، «دولة الاسلام في الانداس ، ، ج ، 2 ، القاهرة ، 1960 ، ض ، 455 ـ 457) .
- 4) يعتبر تأليف الفرضي ذا اهبية كبرى ولكن نظرا لكونه اتخذ اسلوبا مركزا جدا أم يقم إلا باختيار اهم المعلومات المرتبطة بتراجم العلما الذين وقع اختياره على دراستهم . (ابو الوليد عبد الله الفرضي وتاريخ علما الاندلس و القاهرة و 1966 و ص . 1) .

وراجع ايضا ابن بشكوال ، «كتاب الصلة . . . ، في جزاين ، تعقيق عزت العطار الحسني ، القاهرة ، 1955) .

5) راجع مثلا ابو الحسن علي بن بسام ، «الذخيرة في محاسف اهل الجزيرة» ، القسم الثاني ، ج ، 1 ، تحقيق د ، إحسان عباس ، ليبيا ـ تونس ، الجزيرة» ، القسم 11 ـ 12 .

6) لقد اعتمد ابن حيان على مصادر معاصرة ومباشرة في كتابه «المقتبس» راجع القسم الذي المعلد المعادر التي اعتمدها في كتابه «المقتبس» راجع القسم الذي يحمل عنوان «مصادر معلومات ابن حيان» في مقاله «ابن حيان وتاريخه لاسبائيا الاسلامية» لانطونيا:

Melchor M. Antuna. Ibn Hayyan y su historia de la Espana musulmana Op. Cit., PP 34-63.

- 7) فيما يخص بعض الاحكام التي عبر عنها المستشرقون حول التأريخ عند أبن حيان راجع الفصل الاول من هـذا الكتاب، ص. 49 والعامش رقم 62 في الفصل نفسه، ص. 80.
- 8) «الدورخون والجغرافيون الاندلسيون ، 800 ـ 1450 م، فرانثيسكو يونس بويخيس .

Francisco Pons Bolgues, Los historiadores y geografos arabigo - espanoles, 800 - 1450 A.D., repr., Amsterdam, 1972, pp. 160 - 164.

9 حول التاريخ الثقافي في الاندلس في القرن الخامس الهجري راجع مثلا اطروحة لنيل شهادة الدراسات العليا عنوانها «الحياة الثقافية باسبانيا الاسلامية في عصر ملوك الطوائف (القرن 11 م.)» لححمد بن عبد السلام:

Mohammad Ben Abdeslam, La vie Intellectuelle dans l'Espagne musulmane sous les muluk at-Tawaif (XIa siecle), thèse Inédite de D. E. S. Université de Paris III, 1971.

10) لقد كان وعي العلما الاندلسيين بانتمائهم إلى حركة ثقافية شهولية واضعاً كم نلاحظ وجود علاقات فيما بينهم بلغت احياناً درجة الصداقة القوية . مثلا ويعتبر ابن حيان من اصدقا ابن حزم كما كان للاثنين علاقة بالشاعر ابن شهيد والجغرافي البكري ومن جهة اخرى وانتمش الجميع بالانتاج الثقافي الذي مينز ذلك العصر وكانت ردود فعلهم إزا التطورات المختلفة تظهر في مواقفهم الخاصة تجاهها ويظهر ذلك يوضوح تام في جدوال البن حزم للفتها المالكيين واليهود الاندلسيين وساهم هذا الاتجاه كثيراً في

تشجيع تطور المواقف النقدية في عدة مجالات معرفية . مثلا ، حول تيار النقد الادبي خلال تلك الفترة راجع الدكتور مصطفى عليان عسبد الرحمان ، الادبي في الاندلس في القرن الخامس العجريء بيروت، 1984.

11) نقل المقري نصوصاً عن ابرز العلما الانداسيين الذين كانوا يدافعون عن القيم الثقافية والحضارية الانداسية حما تطرق للهجومات المضادة لهذا الثيار من المغرب والمشرق. ومن بين الاندلسيين الذين دافعوا عن ثقافتهم نذكر ابن بسام والحميدي وابن سعيد وابن حزم والشقندي (احمد المقري الفيح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، عنه عنه المنا عباس بيروت، 1967، ص 150 _ 222). وتستحق ح. 3، تحقيق د إحسان عباس بيروت، 1967، ص 150 _ 222). وتستحق هذه الرسائل في محاسن اهل الاندلس المزيد من الدراسة والتحليل.

12) يتميز الانتاج الثقافي الانداسي لهؤلا العلما والمفكرين خلال تلك الحقبة التاريخية بمستواه الرفيع وبكثرة المؤلفات في ميادين مختلفة تتراوح بين التاريخ والجفرافية والفقه والادب.

18) يتمثل تفوق العلما القرطبيين خلال القرن العجري الخامس في اسما لامعة مثل ابن حزم وابن حيان وابن زيدون ، وقد استطاعت قرطبة بالرغم من التخريب الذي اصابها خلال تلك الفترة وبالرغم من الازدهار اللذي تبتعت به بعض المدن الاندلسية الاخرى خصوصا (شبيلية ان تحافظ على تفوقها الثقافي على سائر المدن الاندلسية. حول هذه المدينة بصفة عامة راجع د. عبد العزيز سائم وقرطبة حاضرة الخلافة في الانداس وفي جزين وبيروت وخصوصا «بنو جهور بقرطبة» للدكتور خالد الصوفي :

Khaled Souff, Los Banú Yahwar on Cordoba, 1031 - 1070, Cordoba, 1968.

حما هناك دراسة حول تاريخ قرطبة الاقتصادي في القرن الحامس للهجرة الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف:

« قرطبة الاسلامية في القرن العادي عشر . الخامس الهجري العياة الاقتصادية والاجتماعية » الونس الهجري . 1984 .

- 14) حول الثعليم في الانداس راجع الدكتور عبد العبيد عيسى، وقاريخ التعليم في الانداس، القاهرة، 1972 (راجع ص. 167 ـ 172 حول التعليم في عصر ملوك الطوائف)، شكلت هذه الدراسة في الاصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراه قدمها صاحبها في جامعة مدريد (Autonoma) سنة 1970.
- 15) مثلا ، تعكس بعض الاقسام في اعمال مثل «طوق العماية » لابن عزم و «كتاب التبيان» لعبد اللة بن بلقين البيئة التي عاش فيها مؤلفي الكتابين المذكورين بوضوح تام .
- 16) بعد مقارنة الدكتور محبود على مكى للمآرا الدختلفة حول هذه القضية وصل الى استنتاج وهو ان «البطشة الكبرى» لابن حيان كان يشكل كتابا مستقلا في اصله (خلف ابن حيان والمقتبس . . . ، ، تحقيق د محبود على مكى ، بيروت ، 1973 ، ص ، 70 ـ 72) .
- 17) لقد ضاع عدد من المؤلفات التي انتجها الاندلسيون خلال القرن الخامس للهجرة والبعض الاخر لم يصلنا منه سوى جز قليل ويبدو ذلك واضحا مثلا في كتاب والمؤرخون والجغرافيون » المرانثيسكو بونس بويخيس :

Francisco Pons Boigues , Los historiadores y géografos arábigo - espanoles 800 - 1450 A. D..., repr., Amsterdam, 1972.

18) مثلا أقد ضاعت مؤلفات المؤرخ البلنسي ابن علقمة إلا انذا تتوفر على نصوص رائعة منها حول احتلال السيد لبلنسية والمقاومة الاندلسية المطويلة التي قادها الفقيه ابن جحاف وذلك من خلال الاقتباسات التي نقلها ابن الحردبوس في «حتاب الاحتفاء» (أبو مروان عبد الملك بن الحردبوس «حتاب الاحتفاء» (أبو مروان عبد الملك بن الحردبوس «حتاب الاحتفاء» . . . » . المنشور في كتاب «تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابسن الشباط» وتحقيق د . احمد مختار العبادي مدريد ، 1971 . وحول ابن علقمة راجع كتاب «السيد شخصية تاريخية وادبية» لمهكيل دى إبالثا:

Mikel de Epalza et Suzanne Guelloux, Le Cid, Personnage historique et littéraire, Paris, 1983, pp. 36 - 38.

- 19) أبو الحسن علي بن بسام ، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ، القسم الأول ، ج . 1 ، تحقيق د . إحسان عباس ، ليبيا ـ تونس ، ص . 167 .
- 20) ابو الحسن علي بن بسام ، «الذخيرة» ، القسم الثالث ، ج . 1 ، المصدر السابق، ص 137 و «الذخيرة» ، القسم الثاني ، ج 1 ، المصدر السابق، ص . 83 .
- 21) عبد الواحد المراكشي ، «المعجب في تلخيص أخيار المغرب »، تحقيق محمد العربي العلمي ، القاهرة ، 1949 ، ص . 125 ـ 126 ولسات الدين بن الخطيب ، «اعمال الاعلام . . . » تحقيق إفارست ليفي بروفنصال ، الرباط ، 1934 ، ص 187 .
- 22) حول المساهمة الثقافية والحضارية للعلما الانداسيين خلال القرف الخامس للهجرة راجع القسم الاول من الفصل الثالث من هذا الكتاب.
- 29) مثلا ، أنظر الرسائل التي بعثها الفقيه الهوزئي الى المعتضد بن عباد (ابن بسام ، «الذخبرة» ، القسم الاول ، ج . 1 ، المصدر السابق ، ص . 84 ـ 89) .
- 24) د. أمين توفيق الطيبي ، «دراسة حول الامير عبد اللمه بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة» ، «مجلة كلية التربية » ، (جامعة الفاتح) ، رقم 7 ، (1976 ـ 1977) ، ص . 114 وعبد الله بن بلقين ، «كتاب التبيان» ، تحقيق إ، ليفي بروفاطل ، القاهرة ، 1955 ، ص . 208 ـ 210 .
- 25) لقد درس ابن بسام ابن حنزم بصفته شاعرا في إطار مجموعة الشعرا المعاصرين للقرن الهجري الخامس الذي تطرق لهم (الذخيرة القسم الأول ، ح . 1 ، المصدر السابق ، ص ، 167 ـ 180) .
- 26) مثلاً لم يتتلمذ ابن حيان للمؤرخين ولكننا نجد فقعا وتحوييان من بين اساتذته ومنهم الفقيه عبر بن حسين الاموي القرطبي واللغوي والنحوي ابي عبر احمد بن عبد العزيز بن ابي الحبيب القرطبي والشاعر والنحوي

- المشهور سعيد بن الحسن الربعي البغدادي (أبو مروان حيان بن حيات . المشهور سعيد بن الحسن الربعي البغدادي (أبو مريد ، 1973 ص. 21 ـ 23.
- 27) مثلاً القد ركزت جل البعوث التي قدمت لمؤتمر ابن حيات الذي انعقد في الرباط سنة 1980 على البعد الادبي عند ابن حيان بدلا من بعده التاريخي . (نذكر على سبيل المثال «ابو مروان ابن حيان اديبا وكاتبا المدكتور حازم عبد الله خضر و «منهجية ابن حيان في تأريخ الادب ونقده اللدكتور محمد مفتاح («المناهل » وتم 29 (1984). ص . 188 ـ 286).
- 28) ذكر الدكتور الطيبي ما نقله عبد الله بن بلقين من آيات قرآنية واحاديث ليؤكد معرفته الواسعة (د. اميان توفيق الطيبي ودراسة حول الامير عبد الله بن بلقين و المرجع السابق و ص . 115) .
- 29) مثلا اهتم عبد الله بن بلقين بالتنجيم (عبد الله بن بلقين ، الحداث الله بن بلقين ، المصدر السابق ، ص ، 170 ـ 171) . اما ابن حزم فقد وضع تصنيفا للعلوم قام الدكتور يفوت بدراسته (سالم يفوت ، فتصنيف العلوم لدى ابن حزم » ، «مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية » ، الرباط ، (1982) ، رقم 9 ، ص ، 53 ـ 91 .
- 90) يعتبر «كتاب الصلة» لابن بشكوال بالاجماع اهم مؤلف حول العلما" الانداسيين في القرن الخامس للعجرة ولكن يجب وضع هذا الكتاب في إطار التقليد الاندلسي في إنجاز كتب الطبقات التي ما زالت بحاجة إلى الدراسة والتنقيب .
- 31) حول البكري وكتابه «المسالك والممالك» راجع المقدمة التي وضعها الدكتور عبد الرحمن على العجبي . (ابو عبيد البكري ، «جغرافية اوربا من كتاب المسالك والممالك» ، تحقيق الدكتور عبد الرحمان على الحجى ، بغداد ، 1968) .
- 92) لقد احد الاستاذ بيلاط على اهمية هذا الكتاب قائلا: د... بالرغم من المدة التي مرت على نشره ما يزال مفيدا جدا وما يزال يعتبر نقطة الانطلاقة للبحث في التأريخ الاندلسي ه:

- * ... the Ensayo bio bibliografico of Pons Boigues, which despite its age is extremely useful and remains the staring point of research into Andalusian historiography. (Charles Pellet, The Origin and Development of Historiography in Muslim Spain, in Historians of the Middle East, ed. by Bernard Lowis and P. M. Holt, London, 1962, p. 118).
- 33) اتخذ الاندلسيون نفس الموقف بشأن هذه القضية بحيث تخلوا عن الخلافات التي كانت تفرقهم، ومع ذلك ، فقد تهجم ابن حزم على الاندلسيين المعارضين له واتعمهم بفشاهم في تقدير فكره خلافا للمشارقة وذلك في ابيات شعرية (ابن بسام ، «الذخيرة» ، القسم الاول ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص . 173 .
- 34) ومع ذلك لا يمكن اعتبار التاريخ السياسي سطحيا إلا إذا كانت معالجته سطحية .
- 36) ابو القاسم خلف بن بشكوال ، «كتاب الصلة في تاريخ أثبة الانداس ، ، ، ، ، في جزاين ، تحقيق عزت العطار الحسني ، القاهرة ، 1955 وابو عبيد الله محمد بن الابار ، «التحملة لكتاب الصلة» ، تحقيق فرانثيسكو كودرا ، مدريد ، 1868 .
- 36) ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ، «رسالة في القضا والحسبة» المنشورة في كتاب :

Trois traités hispaniques de hisba: Documents arabes sur la vie sociale et économique en Occident musulman au Moyen Age, ed. par. E, Lévi - Provencal, le Caire, 1955, pp. 3 - 65

- 37) ابدو محمد على بن حدرم ، «طوق العمامة في الالفة والالاف» . تحقيق فروق سعيد ، بيروت ، 1972 .
- 38) مثلا راجع مقالة الدكتور الطيبي حول سيرة المعتمد من خلال شعره (الدكتور امين توفيق الطيبي والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (سيرته وشخصيته من خلال شعره و في مجلة كلية التربية و (جمعة الفائع) رقم 3 و (1977 ـ 1978) و ص : 69 ـ 76 .

- 39) أعل أحسن دراسة لـ «كتاب التبيعان» هي قلك التي انجزها الدكتور أمهن توفيق الطيبي بعنوان «دراسة حول الأمير عبد الله » المرجع السابق .
- ان عدد الدراسات الاقتصادية حول الاندلس معدود. راجع مشلا عدد الدراسات الاقتصادية حول الاندلس معدود. راجع مشلا علا عارا: عدم العصادية لاستسلام ملوك الطوائف، المدكتور خوسي ماريا لا كارا: عدم المعدود المعتصادية لاستسلام ملوك الطوائف، المدكتور خوسي ماريا لا كارا: المعتصادية لاستسلام ملوك الطوائف، المعتصادية الم

وراجع الفصل الثاني من هذا الكتاب حول الاتجاهات الاقتصادية في الانداس في عصر ملوك الطوائف، وهناك در سة اقتصادية طريفة حول قرطبة في القرن الفجري الخامس تتميز باستغلال صاحبها المنوازل الفقهية (الدكتور محمد عبد الوهاب خلاق مقرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر...» تونس 1984.

41) راجع مقالة الدكتور احمد جبار دول رياضيين اندلسيين:

Ahmed Djebbar, Deux mathematiciens pau connus de l'Espagne du XIe siecle: Al-Mu'taman et Ibn Sayyid, dact, communication presentée au Colloque International de Marseille-Luminy sur les mathématiques autour de la Méditerranée jusqu'au XVII siècle, 16 - 24 avril 1984, 21 pages.

- 42) عبد الله بن بلقين ، د كتاب التبيان ۽ ، المصدر السابق .
- 43) Abd Alláh b. Buluggin , Les (Memoires) de Abd Allah b. Buluggin , dernier roi ziride de Grenade , trad . au français par E . Lévi Provencel , Al Andalus No 3 (1935) , pp. 238 344 et No . 4 (1935 39) , pp. 29-145 .
- 44) in Tawfiq Tibi ,The Tibyán of Abd Alláh b. Buluggin Last Zirid Amir of Granada, 2 vols. Ph. D. thasis, 1971 (published in the Neiherlands, Brill, 1986).
- 45) E. Lévi Provencal, et E. Garcia Gmez, El siglo onze en primare Persone, las memorias de Abd - Allah, ultimo rey ziri de Granada.., Madrid 1980;
 - 46) Andrew Handler, The Zirids of Granada, Coral Gables, 1974.

- : « عتاب التبيان » ؛ (47 A. T. Tibi, The Tibyan of Abd Alláh b. Buluggin..., vol.1, Op Cit., pp. x xlii .
- 48) نقد قدم الدكتور الطيبي تحليلا نقديا لكل حاكم من دكام بنى زيري بغرناطة .

(!bid - , pp . XXii - XXiii) .

- 49) عبد الله بن بلقين «كتاب التبيان » المصدر السابق ص . 69 و 93 .
 - 60) نفس المصدر ، ص : 76 ، 104 _ 113 .
- (zs. A. T. Tibi, The Tibyán of 'Abd-Alláh b. Buluggin..., vol. l, Op. Cit., p. XXi v.
 - 52) فغس المرجع · ص · XXXii .
 - 58) نفس المرجع · ص ، XXXi ،
 - 64) نفس المرجع ، ص . XXXiii .
 - 65) نفس المرجع · ص ، XXVii .
- حول تحديد الثاريخ الصحيح المعركة الزلاقة راجع المثالة الثالية :

Angus Mackay and M'hammad Benaboud, Yet Again Alfonso VI, Emperor, Lord of the Two Faiths..., in Bulletin of Hispanic Studies, No. LXI (1984), p. 175.

- 57) A. T. Tibi, The Tibyán of 'Abd Alláh b. Buluggin ..., vol. l., Op. Cit., p. Xlii.
- انجز كتابا عنوانه الانوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية •
 إلا أنه ضاع .
- (A. Tibi, The Tibyan of Abd-Allah b. Buluggin, vol . 1, Op. Cit., p. vii).

- 59) نفس البرجع ^و ص ، ١١ .
- 60) عبد الله بن بلقين ، « كتاب التبهان » ، المصدر السابق ، ص ، 130 ـ 130 .
 - 61) ننس المصدر ، ص ، 69 و 75 ،
 - 62 نفس المصدر اص ، 77 .
 - 63) نفس المصدر، ص ، 161 .
 - 64) نفس البصدر ، ص ، 164 ـ 167 .
 - 66) نفس البصدر ، ص . 150 ـ 151 .
- 66) نفس المصدر ، ص . 139 (حول نعمان الثائر) وص . 122 _ 126 (66) (حول مفاوضاته مع مبعوث ألفونسو السادس) ،
 - 67) نفس المصدر ، ص . 109 (حول مسألة حصار حصن ليبط) .
 - 68) صدر هذا الكتاب بعولندا عند الناشر بريل سنة 1986.
- 69) عبد الله بن بلقیت و حکتاب التبیان و المصدر السابق و ص. 1 68 (خول ص. 69 177 (حول عبد الله بن بلتین) و ص. 1 68 (خول باقی حکام بنی زیری بغرناطة) .
 - 10) نفس المصدر. ص. 104 ـ 106 و 149 ـ 171.
 - 71) نفس المصدر ، ص ، 126 .
 - . 107 نفس المصدر ، ص . 107 .
 - . 126 منس البصدر، ص . 126
 - 74) نفس المصدر ، ص . 116 ،
 - 75) تفس المصدر ، ص ، 51 .
 - . 126 _ 126 . ص . 126 _ 126 (76

- . 123 . منفس المصدر ٠ ص . 123 .
- 78) نفس المصدر ، ص . 75 ـ 76 .
 - 79) نئس البصدر، ص. 169.
 - 80) تقس البصدر، ص، 61،
 - 81) نفس البصدر؛ ص ، 118.
- 82) نفس المصدر ، ص . 149 حيث أرسل بعثة تضم العلما إلى يوسف قبل احتلال غرناطة سئة 488 ه .
- 83) « صوره ألفونسو السادس وإسبانيا في عصره عند البؤرخين العرب» لطوم درورى :

Tom Drury, The Image of Alfonso VI and his Spain in Arabic Historians, unpublished Ph. D. thesis, Princeton, 1973

84) نفس الدرجع اص 48.

الفهرس

1

ـ ابن أبي عامر، المنصور 97.

- ابن أبي عامر، عبد الرحمن 31.

ابن بلقين، الأمير عبد الله ـ 58 ـ 57 ـ 49 ـ 48 ـ 91 ـ 3 ـ 97 ـ 79 ـ 77 ـ 7 6 ـ 74 ـ 62 ـ 122 ـ 118 ـ 115 ـ 109 ـ 107 ـ 138 ـ 136 ـ 128 ـ 125 ـ 128 ـ 191 ـ 188 ـ 178 ـ 170 ـ 150 ـ 242 ـ 235 ـ 231 ـ 197 ـ 198 . 259 ـ 257 ـ 250 ـ 244 ـ 248 ـ 116 ـ ابن بلقين، تمييم 118 ـ ابن بل

ـ ابن الأنطس، 109 ـ 110 ـ 112 ـ 198 ـ 198 .

. 247 _ 191

- ابن حزم، على 78 ـ 147 ـ

_182 _ 181 _ 160 _ 158 _ 154

_ 186 _ 185 _ 184 _ 183

_ 229 _ 226 _ 221 _ 220

. 259

_ ابن حيان ، خلف 49 ـ

_ 57 _ 56 _ 53 _ 51 _ 50

_ 184 _ 154 _ 151 _ 150

_ 230 _ 224 _ 220 _ 217

. 259 _ 250 _ 289

_ ابن تاشفین ، یوسف 8 _

_ 68 _ 62 _ 48 _ 86 _ 27

_ 122 _ 117 _ 104 _ 79 _ 74

_137 _ 131 _ 130 _ 129 _ 128

_182 _ 180 _ 178 _ 172 _ 170

_192 _ 190 _ 189 _ 187 _ 186

_247 _ 231 _ 197 _ 195 _ 193

. 251

_ ابن بسام 150 ـ 151 ـ 158 ـ

_174 _ 164 _ 163 _ 160 _ 155

. 219 _ 185 _ 179 _ 177

_ ابن بشكوال 78 _ 148 _

.241 _ 223 _ 166 _ 160 _ 149

۔ ابن جغور، محمد 28. ۔ ابن حمود، یحیی 81. ۔ ابن حمود، القاسم 22 ۔ 23 ۔ 35.

ـ ابن جمود، على 22.

- ابن حود، محد 24.

. ابن خاقان 242 . _

_ ابن خلدون، عبد الرحن 11 _ 50 _ 67 _ 68 .

- ابن خلكان 149 ·

_ ابن الخطيب، لسان الدين 73 _ 235 .

_ ابن طاهر 175 .

ـ ابن الفرضي 155 ـ 219 .

ابن القصيرة 177 - 178 -

. 189

- ابن القليعي 191 .

_ ابن إحسان الفقيه 198 .

_ أبـن سهـل 116 ـ 117 ـ

. 192 _ 191

_ ابن سعدون 195 .

_ ابن السيرفي 250 .

- ابن شالب 116.
- أبن زيدون 154 ـ 177 ـ 179 .
 - ـ الابرو، (نعر) 95.
 - الاسلام الشعبي 158.
 - _ الاسلام الرسميي 158.
 - الاسلام القبلي 159.
 - الجزيرة الخضرا 104 .
- _ أركوش 37 _ 104 _ 110 _
 - المرية 79 94 .
 - ـ الفارهانيث 58.
- الفونسو السادس 17 ـ 23 ـ
- _ 109 _ 107 _ 96 _ 76 _ 49
- _125 _ 129 _ 119 _ 118 _ 116
- _188 _ 187 _ 178 _ 186 _ 130
- _197 _ 196 _ 195 _ 190 _ 189
 - . 255 _ 251 _ 247
 - _ أغمات 178 _ 253 .
- إسبانيا 7 ـ 8 ـ 65 ـ 68 ـ
- _ 99 _ 95 _ 87 _ 75 _ 74 . 189 _ 102
- _ 23 _ 22 _ 15 أشبيليـة ح

- . 38 _ 37 _ 36 _ 35 _ 28 _ 24 . 88 _ 79 _ 75 _ 63 _ 62 _ 46 .109 _ 108 _ 107 _ 103 _ 100 .144 _ 188 _ 116 _ 115 _ 110 .172 _ 171 _ 170 _ 160 _ 157 .198 _ 183 _ 179 _ 176 _ 175 . 254 _ 253 _ 242 _ 229
- ابن ذو النون، القادر 118.
 ابن منظور 152.
- أين الملح. أبو بكر 176 _ 177 .
- أبن النغرالة، يوسف 28 ـ 43 ـ 43 .
- ابن النغرالة، إسماعيل 91. - ابن عباد، القاضي محمد 23 ـ 24 ـ 34 ـ 61 .
 - ابن عباد، إسماعيل 22 ـ 179 .
 - ابن عباد، المتضد 22_52_ - 175 - 108 - 107 - 79 - 53 -183 - 180 - 179 - 177 - 176 - 228 - 189 - 184

- ابن عباد، المتعد 28 ـ 49 ـ 61 ـ 62 ـ 61 ـ 60 ـ 49 ـ 36 ـ 35 ـ 114 ـ 113 ـ 112 ـ 110 ـ 107 ـ 175 ـ 175 ـ 170 ـ 137 ـ 127 ـ 229 ـ 224 ـ 197 ـ 179 ـ 178 ـ 255 ـ 231

- ـ ابن عذاري 149 .
- _ ابن عمار 23 ـ 229 ـ 255.
 - ـ ابن عبدون 241.
- ـ ابن عبد البر 179 ـ 180 ـ 223 .
- _ ابن العلا'، أبو عمرو 164.
- الباجي، أبو الوليد 148 ـ 148 ـ 154
- ـ باديس بن حبوس 97-246.
 - بېشتر 175 .
 - ـ البرزالي محمد 34 .
- _ البكري، أبو عبيد 220 .
- بني أمية 12 21 104 -
 - . 228 _ 215 _ 173 _ 145

- يني أبي عامر 55 ـ 164 .
 بني جعور 16 ـ 62 .
 بني جمود 24 ـ 79 .
 بني خود 10 ـ 108 .
 بني عباد 21 ـ 108 ـ 141 ـ
 177 .
- بني زيري 246. - بني هود 180. - برنجير (القومت) 90. 96 - 190.
 - ـ برشلونة 190.
 - _ بلنسية 34 _ 79 .
- _ بطليوس 46 ـ 103 ـ 110 ـ 129 ـ 196 ـ 254 .
- ـ بيدرو أنسورث 58 ـ 126 ـ 266 .

_ - -

- الحميري 149.

_ حبوس بن ماكسن 246 .

_ 5 _

_ دانيـة 99 _ 107 _ 109 _ 109 _ 109 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119 _ 119

. 139 _ 133 _ 132 _ 130

- دول الطوائف 9 - 10 -

_ 28 _ 27 _ 22 _ 20 _ 18 _ 12

_ 53 _ 49 _ 46 _ 43 _ 38 _ 88

_ 90 _ 88 _ 85 _ 79 _ 68 _ 62

_104_103_99_96_94_92

_144 _ 142 _ 107 _ 106 _ 105

_164 _ 151 _ 150 _ 149 _ 146

_167 _ 164 _ 163 _ 160 _ 157

_189 _ 183 _ 171 _ 170 _ 169

_234 _ 230 _ 228 _ 217 _ 197

. 256 _ 237

_ 5 _

ذي الوزارتين 177 ـ 178 .

- رندة 104 - 149. - الرويو، (ابن العطية) 249

- j -

- زاوي بن زيري 246 . - الـزلاقة 62 - 68 ـ 170 . 249 ـ 247 ـ 190 ـ 189 ـ 249

_ 5 _

_ الكسائي 164 .

- J -

_ ابلة 160 .

ـ أوشة 194.

- ليون 247 ـ 258 .

ـ ليوسنة 81 ـ 249 .

_ ليبط 122 _ 247 .

- 1 -

ـ الله 28 ـ 36 ـ 36 ـ 107 ـ 107 ـ 36 ـ 36 ـ 191

_ مجاهد بن يوسف العامري 99 .

- المذهب المالكي 78_145_ 148 - 158 - 167 - 173 - 178

_ المذهب الظاهري 42 _ 183 _ 184 .

_ المذهب الشافعي 78.

_ مراكش 253.

_ المرية 196 _ 263 _

. 175 36 _

. 188 _ 182

_ مضيق جبل طارق 189 .

_ المغرب 1 _ 8 _ 95 _ 95 _

. 221 _ 217 _ 198 _ 172 _ 166

_ مصر 175 _

_ المقرى 149 ـ 160 .

_ المشرق 8 _ 166 _ 184 _

. 220 _ 218 _ 217

- المهدى، محمد بن عبد الجبار 55

- مورورو 110 .

- ميورقة 183 .

- ن -

ـ النمري، أبو محمد بن

عبد العزيز 161 ـ 179 .

- 00 -

مقلية 175 .

_ 4 _

طليطلة 28 ـ 46 ـ 76 ـ 108 ـ 107 ـ 108 ـ 117 ـ 108 ـ 170 ـ 188 ـ 187 ـ 170

- 2 -

- غ -

_ الغافقي 235 .

.269 _ 249 _ 246 _ 245 _ 232

- _ ف _
- البيري الفقيه 148.
 - ق -
- ـ قرمونة 37 ـ 61 ـ 104 ـ 108 ـ 198 .
- _ قرطبة 28 ـ 28 ـ 31 ـ 36 _
- _ 160 _ 157 _ 100 _ 61 _ 55
- _224 _ 222 _ 198 _ 191 _ 182
 - . 242
- _ قشتالة 107 _ 119 _ 130 _ 130 _ . 258 _ 247
 - _ w _
 - ـ سبتة 191 .
 - ـ سيبويه 164.

- _ السيد ردريغو دياث 34 _ 90 _ 106 .
- سيستندو دافينديث 58 256_79 .
- ـ سرقسطة 63 ـ 79 ـ 103 ـ 122 .
 - ـ سورية 175 .
 - ـ سردينيا 99 .
 - ـ ش ـ
- ـ شلب 87 ـ 176 ـ 179 ـ
 - ـ الشقندي 220 .
 - A -
- ــ العوزني، الفقيــه 175 ـ 176 ـ 188 ـ 282 ـ 282 .



فهرس الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ښې	ص	الصواب	الخطأ	س	ص
المرابي _ السريري	العاربية _ الهربوية	11	54	الطريقة	الطريةة	8	4
الميسم	<u> ئېرىت</u>	14	58	موقفتها	موقتا	2	6
2-3-3	ومقبو	13	89	الدراهيم	ا <u>گ</u> امس	1	6
roconquiste :	recongulato	.4	88	الدستوى	العستوي	15	7
Inquisition	notilstagel	<u>.</u> 7	65	linear .	liner	11	Ч
إلا في اشتراك رأينا	الا في ر ^ا ينا	8	88	nao - tribal sociatics	mos – tribal accieties	4	17
Dosy	Dary	23	68	فبالبرغم	فالبسر غمم	12	17
l'épaque	l'épagne	10	69	ڪ ار_	ےا	ıG	17
remarquable	remergissblu	19	нĐ	دكن قطة	مكه تملته	7	18
ållmiques	ó:hinigues	20	69	أأنقي	ائتى ا	12	24
agnatiquo	egnařigue	26	6#	_ 1030 a 472	n 1090 _ 81 _ ≥ 422	2	28
eu	чп	IJ	70	علی `	على أ	6	31
chrétienne	chrátianne	11	70	القوط	الويز اوت	a	32
Cologiu	Colagiu	Ħ	70	القوط	الويزاوت	ซ	32
classique	clessigna	22	70	رودرينو	حڪر دريغو	21	34
فدريجية	الإوقى ياعة	85	71	الويلد	المطيد	1,6	86
والمايا أوانو	فالديا أوا	26	71	من إ	من من	16	40
religion	raligios	14	78	عامة غرظاه	عامة قرطبة	13	43
fin ·	fla	15	78	السابين	المسيحيين	4	44
Edinburgh	E din berjh	23	78	عرصفة	ولنحركة	5	45
Consideraciones		21	7#	العصبية	3° ****/I	15	48
دائديث	د افيث	26	79	راين حيان	بان حبان	6	50
edio	elo	9	80	نقيل عنيه	تخل	6	ΠII
Asin	Asir	17	80	النية بوضوح	النهة في بوضوح	14	61

الصواب	<u>1.54</u> 1	س	<u>ص</u>	الصواب	س الخطأ	ص
تخبيط	تثييط	21	128	eritica	srifica 18	80
جداعة	بكحياءة	. 7	127	emprunté	емргил е́ 22	60
ولكن	ولڪڻ <u>ولڪڻ ٿ</u>	∴ '2 %	128	Petpril	i'espéer 22	В0
ميرز				document ·· ·· ·· ·-	decument 17	83
4	حدسة	8	131	ရ ်ဝဝဌာ ၊မ	epagna 21	88
Glick	Glich St. St.	2	183	Reconquete	Rocanguéte 31	82
nedih	##ndite	Ż	18∳.	nauveeu	nouvean gg	8.9
Compare Nos 🚊	Comercia	7	134	ёро дізн	épogna 25	Bá
Yenendez	Monandat	13	134	earluse	ganfare 26	69
sramično di sec	henžere.	3	135	ميا	12 من	86
randeur ⁽² 1,7,	grongleur	2	135	الاستقرار.	2. اللاستقرار	89
ក្រុមរៀក សាននៈ	musul (mznos:	. 11	186	Berenguer 1 1 11	Boungeur 7	
papaholes di sud simo	com s tapanales :	.12.	136		17 ا مؤلية ي	
l'influence	i i i i i i i i i i i i i i i i i i i		135		19 بصنحتها	
l'slam	State Pastour	5	185	الى	Ϋ] · Ͱ Β	9
Europe	· · · EuroF	6	135	Mendoza	1410114	. · ;/8
l'anglals 👸 .	in l'aglois	6	1351	فی دین د	دي وي	l ; <u>(</u>
Humbert	Humberr	. 0	135	بينها	اله. يوهيا	
الوادية	الباذية	10	144	رسائل	2 وسائل	3)(0
doctrine	dectalno	4	146	ەن ، ، ، ،	12 من من	9 (0
البنائسات	المثاندات	В	145	Ąį	15 (ئى	
الجمدوق ن	الجمود الجمود	8	146	Slorad	100100	1 1 1
Palacios	Pa aclos	16	147	الشروة . إ	-75-	2 11
البيدوي .	الأبيري	- 1	148	هن .		L 11
المركاتهون	البختصصيان	20	150	reconquista	recogniste - 15	
حاطوست	حطيست	7	161	ميني علق.	٠٠٠٠	1 L1
حفايتت	خطرت	13	i fi t	وهو	12 5 g 17	
لنداخلها	التد خلفيات	L	158	Infancon	infengan ¹ .	
أرع	أربغ أرج	4	154	وبا"ا		B 12
ول ماتين	مذين الناء	ą E	1āā	اورط		9 15
المشمورية ا			168	1	:1 أأوكرةة	9 15

الصواب	الخطأ	اص س	الصواب	للطأ	ص س
siácles	Stécles	16 201	فالعرة	ظاهرات	4 160
	E'Fegnar	17 202	يائرؤون	U) / -	20 160
E. Fagnan	زيزي زيزي	22 203	الملاح	الملاة	g 185
زيزي ڪلا	ڪئلا	5 204	يتستعون	يستمرن	B 166
اب-و	ايـر	4 208	دور	2	20 160
اب-و اصنید ف	الصود	15 206	أجيرت	وثوث	5 168
	Vivoy	7 208	المقريه	ZZ[1]	1 17E
لاسم الثقاريد	ردور. اللثقليد	22 207	في	قمي في	L 178
7,7	الى	8 213	المعاضد	المعتبيد	14 17ā
1. استغلال	وسی ستغلال	8 21×	الذي صعد	الذي إلى	16 177
_	الطبيعة	14 225	للمتضي	ئلجة توبية	7 \80
الطبيعينة	ويبدوا	6 226	الذين	الدين	15 181
ويېدو اد د	لايه	17 228	اندو ^ا	فنلبوا فتلبوا	4 184
لايته م	دىي. ائادنى	5 229	ر إدائقطب	يحتج طب	11 184
اأدنى - د د	الله عندي الماثلا	16 229	امن حزم امن حزم	ابن بـاء	3 186
قائلا 		16 286	الأديان الأديان	الأميان الاديان	12 195
وملتزمين	الملتزمين	19 236	ه.ن	من عن	14 168
غير البشخصيين	()	1000	ابن خدا	جا	20 137
ا) الدؤرخ	أ) إن الدؤرخ	5.3		Recongvisia	в 188
Andrew	Andress		Reconquists تبدو	توسدوا	2 195
Handler	Hanler		i -	موجوين موجوين	9 199
لحصر	يحتمر	13 246	موجودين الصنف	الاصف	19 19
عبد اثله	ڪيمان م	19 246	1	بصائه	16 198
التفيسية	النفسوسة		ظاهريا حكان	Polémipues	20 200
شرعية	شريعة				26 200
مدد من	226	9 249	البهري	الااپيري اند	7 20
الحاص	المُناص من			Alfapui الملجا*	14 20
diam's	4.14		الملما		1 20
starting	staring			El Vira	
Noderlands	Naiherlands	28 269	Fin	Fim	6 20

10.

1 - 44

10

.

11. 15

.

10 - 12 c 4 - 4

5-

1.7

83

1.0

5

17 %

· .

the let of

a, dat

1994

G 8

يتطرق هددًا الكتاب الى جوانب مختلفة من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في الاندلس خلال عهد دول الطوائف (القرن الحامس العجري/ الحادى عشر الميلادي).

تطرق المؤلف في الفصل الاول للمصبية والعلاقات الاجتماعية فحاول أن يثبت أن المجتمع الاندئسي لم يتميز بالعصبية في القرن الخامس للعجرة وأن هناك قوى اجتماعية واقتصادية أخرى كانت بارزة سوا في البنية الاجتماعية أو في إطار العلاقات بين دول الطوائف كما لاحظ غياب العصبية في إطار مواقف أبرز المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة التاريخية.

وقام المؤرخ بدراسة الاتجاهات الاقتصادية في الاندلس في الفصل الثاني ويتطرق لطبيعة الملاقات الاقتصادية بين دول العاواتف وبين الممالك المسيحية في شمال إسبانيا مركزاً على دور الجزية المالية التي كان يغرضها المسيحيون وعلى راسهم الفونسو السادس ملك قشتالة وليون على ممالك الطوائف. وأدت سياسة الفونسو فعلا الى إضعاف ممالك العلوائف سياسياً وعسكرياً والى افلاسهم الاقتصادي، كما تطرق للمواقب الاقتصادية لهذه الاتجاهات على المستوى الداخلى في دول العاوائف

أما الفصل الثالث فيتجلى الجديد فيه أساساً في كون المؤلف حاول أن يعدد الموقف السياسي للعلما الاندلسيين من ملوك الطوائف وتحوله من مواقف فردية متنوعة ومتعددة الى موقف موحد ممادي لهم بعد أن أصبح الفونسو السادس يعدد ملوك الطوائف بإدماج ممالكهم في مملكته وبعد ظهور يوسف بن تاشفين بصفته عنصراً قادراً على قيادة الاندلسيين ضد المسيحيين وقادراً على توحيد صفوصهم في إطار شرعى.

وأخيراً وأهراً والجديد في الفصل الرابع حول التاريخ في الاندلس في تعليل المؤلف لابراز عناصر الفاروف التاريخية التي محنت التاريخ الاندلسي في القرن الخامس الهجري الذي حان يتسم أساساً بالتنوع والايداع من اتخاذه اتجاها جديداً قاده إلى أوجه وتطرق المؤلف لمثال عبد الله بن بلقين مؤرخاً ليبرز أهم المناصر التي ميزت كتابته التاريخية مثل البعد الذاتي والشخصي في منهجيته التاريخية .

رقم الايداع القانوني: 1987/861

الثمن: 70 درهما